أقسام القرآن السبعون وبحوث أخرى

تأليف

الدكتورة فاطمة محمد محجوب

ماجستير ودكتوراه من جامعة تِكْسَس

بالولايات المتحدة الأمريكية

أستاذ علم اللغة بكلية البنات - جامعة الأزهر سابقا

الطبعة الأولى - الجزء الثاني

الناشـــر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٢٥١٢٠٨٤٧

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

محجوب ، فاطمه محمد
اقسام القرآن السبعون وبحوث
اخرى / تأليف فاطمه محمد محجوب :. ط١.-
القاهره : المكتبة الازهريه ـ للتراث ، 2011

ص، سم : (سلسلة بحوث لغويه وقرأنيه)
تدمك 3- 243-315-977-978

١- القرآن ـ اقسام	أ- العنوان

221.1

المكتبة الازهريه للتراث
نشر - توزيع - طباعه

العنوان :
9 درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة
هاتف : 25120847
فاكس : 25128459
ص .ب 34الأزهر
الرمز البريدي : 11675

الطبعة الأولى
1432-2011

رقم الإيداع 16876/ 2010
الترقيم الدولي : 3- 243-315-977-978

البريد الالكتروني elazharia lel torath @hotmail .com.

وبذلك يتضح سر نهضة المسلمين التى حصلت لهم زعامة العلم والحكمة في العالم في سنين معدودة، فإنهم لو كانوا بدءوا حياتهم العلمية على النحو الذى تبدؤها به كل أمة، ما استطاعوا أن يبزُّوا الأمم التى تقدمتهم في هذا السبيل بقرون كثيرة، ولكنهم لبدئهم إياها مستنيرين بهذه الأصول القرآنية العالية، بلغوا منها أوجًا في مدى قصير لم تبلغه أمة في آماد طويلة. وعلى المسلمين اليوم أن يدركوا هذا الأمر الجلل، وأن يجعلوا كتابهم نبراسًا لهم في اقتباسهم العلم عن الأمم الغربية، ليبلغوا منه ما بلغه أسلافهم في عهدهم الأول، ويزيدوا عليه ما هدى إليه البشر في العصور الأخيرة. ا هـ.

(مناهل العرفان ٢/ ٢٨١-٢٨٩).

ويختتم فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى بحثه هذا في الوجه السابع من أوجه إعجاز القرآن وهو عن «أنباء الغيب فيه»، في موضع لاحق من كتابه خصصه لدفع الشبهات الواردة بشأن وجوه الإعجاز الأربعة عشر، فتكلم عن دفع الشبهة السادسة التى تتصل بأنباء القرآن الغيبية، وهو ما نحن بصدده فقال:

الشبهة السادسة ودفعها:

يقولون: إن أنباء القرآن، لا تستقيم أن تكون وجها من وجوه الإعجاز الدالة على أنه كلام الله بل هو كلام محمد استقى أنباءه من أهل الكتاب في الشام وغيرها، أو رمى فيه الكلام على عواهنه فصادف الحقيقة اتفاقا، أو استنبط الأنباء برأيه استنباطا ثم نسبها إلى الله.

وندفع هذه الشبهة **أولاً:** بأن كثير من أنباء الغيب التى في القرآن لم يكن لأهل الكتاب علم بها على عهده.

ثانيًا: أنه صحح أغلاطهم في كثير من هذه الأنباء فليس بمعقول أن يأخذها عنهم وهو الذى صححها لهم!.

ثالثًا: أن أهل الكتاب في زمنه كانوا أبخل الناس بما في أيديهم من علم الكتاب.

رابعًا: أنه لو كان لهذه الشبهة ظل من الحقيقة لطار بها أهل الكتاب فرحًا. وطعنوا بها في محمد وقرآنه، ولطبل لها المشركون ورقصوا. لكن شيئًا من ذلك لم يكن، بل إن جلة من علماء أهل الكتاب آمنوا بهذا القرآن، ثم لم يمض زمن طويل حتى أعطت قريش مقادتها له عن إيمان وإذعان.

خامسًا: أن محمدًا كان رجلاً عظيمًا بشهادة هؤلاء الطاعنين. وصاحب هذه العظمة البشرية يستحيل أن يكون ممن يرمي الكلام على عواهنه خصوصًا أنه رجل مسؤول في موقف الخصومة بينه وبين أعداء ألداء. فما يكون له أن يرجم بالغيب ويقامر بنفسه وبدعوته، وهو لا يضمن الأيام وما تأتي به مما ليس في الحسبان.

سادسًا: أنه على فرض رجمه بالغيب جزافًا من غير حجة، يستحيل في مجرى العادة أن يتحقق كل ما جاء به مع هذه الكثرة. بل كان يخطئ ولو مرة واحدة، إما في غيوب الماضي أو الحاضر أو المستقبل. لكنه لم يخطئ في واحدة منها على كثرتها وتنوعها.

سابعًا: أن هذه الأنباء الغيبية ليست في كثرتها مما يصلح أن يكون مجالا للرأي، ثم إن ما يصلح أن يكون مجالا للرأي أخبر محمد صلى الله عليه وسلم في بعضه بغير ما يقضي به ظاهر الرأي والاجتهاد. انظر ما ذكرناه تحت عنوان أنباء الغيب من هذا المبحث. وتأمل نبوءة انتصار الروم على الفرس وانتصار المسلمين على المشركين في وقت لم تتوافر فيه عوامل هذا الانتصار كما بينا سابقًا[1].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. د. ت، ٢/٣٦٧ - ٣٨٩، ٤٢٢، ٤٢٣.

(٤٩) التنبيه

قال الجرجاني: التنبيه: إعلام ما في ضمير المتكلم للمخاطب.

التنبيه في اللغة: هو الدلالة عما غفل عنه المخاطب، وفي الاصطلاح ما يفهم من مجمل بأدنى تأمل إعلامًا بما في ضمير المتكلم للمخاطب، **وقيل:** التنبيه قاعدة تعرف بها الأبحاث الآتية: مجملة **(التعريفات/ ٩٦، ٩٧)**.

وقال الجوهري: نبهته على الشيء أوقفته عليه فتنبّه هو عليه. أبو زيد: نبهت للأمر بالكسر أنبه نبها، وهو الأمر تنساه ثم تنبه له.

(تاج اللغة وصحاح العربية ٢/٤٣٤).

وقد ورد مثله في **لسان العرب لابن منظور** ٤٨/٤٣٣٢ فارجع إليه.

ويذكر الإمام السيوطي من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام ما سماه «التنبيه على الضلال» وضرب له مثلا قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التكوير: ٢٦)

(التحبير في علم التفسير/ ٩٨)

وفي معرض كلامه عن التكرار في القرآن يذكر الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله - من بين أغراض التكرار اللفظي «التنبيه لتلقي الكلام بالقبول، ومثاله قول الله - سبحانه -: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر: ٣٨،٣٩) فتكرار النداء في قوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾ مرتين أريد به: التنبيه للاستماع والقبول لما يلقى إلى الناس.

(مع القرآن الكريم/ ٢٥٨، ٢٥٩).

وفي مجال الكلام عن الحروف يذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي حرفي التنبيه (ألا) و «أما» فيقول:

ألا: مفتوحة مخفّفة، تستعمل في افتتاح الكلام للتأكيد والتنبيه **(الصاحبي ١٣٢، والمغني ٦٨)** كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ﴾ (هود: ٦٠).

أما: وكذلك (أما) إلا أنها لا تقع إلا في افتتاح قسم. كقولك: أما والله لقد كان كذا (انظر تفصيل ذلك في **المغنى** ٥٤، ٦٨، **والجنى** ٣٩٠، وذكر ابن فارس أنها لم تجئ في القرآن، وهى تحقيق (**الصاحبى** ١٣٣).

(حروف المعانى/١١).

كما يذكر الدكتور فضل حسن عباس من بين أدوات التأكيد «حرفي التنبيه» (ألا) و(أما) فيقول عنهما:

وهما (ألا)، (أما)، وقد كثر الأول في كتاب الله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ (البقرة: ١٣)، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢).

فأنت ترى أن (ألا) تفيد تحقق ما بعدها، فالمنافقون الذين اتهموا المؤمنين بالسفه؛ تؤكد لنا الآية الكريمة أنهم الأحقون بهذا الوصف، والآية الثانية تؤكد أن الذين اتخذوا الله وليًا أو والاهم الله سبحانه وتعالى بعيدون عن أن ينالهم خوف أو حزن.

و (أما) مثل (ألا)؛ إلا أنه يكثر بعدها القَسَم، كقول أبى صخر:

أما والذى أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذى أمْرُه الأمرُ

لقد تركتنى أغبط الوَحْشَ أن أرى ... أليفيْنِ منها لا يرو عنهما الزَّجْر

(البلاغة. فنونها وأفنانها سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١)/١١٩، ١٢٠)

وقد ذكر السيد/ أحمد الهاشمى (أما) وأنها من ضروب الخبر «طلبى» (ص٥٣).

كما ذكر كيف أن ألفاظ الاستفهام قد تخرج عن معناها الأصلى، فيُستفهم بها عن الشيء مع العلم به، لأغراض أخرى تُفهم من سياق الكلام ودلالته، وأحصى من أهمها عشرين غرضًا ذكر من بينها ثلاث حالات من «التنبيه» تحت الأرقام ١٧ - ١٩ جاء بيانها كما يلى (ص ٧٤).

١٧- التنبيه على الخطأ؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١).

١٨- والتنبيه على الباطل؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ (الزخرف: ٤٠).

١٩- والتنبيه على ضلال الطريق؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التكوير: ٢٦).

(جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/ ٥٣، ٧٤)

وقد بسط الشيخ التهانوي الكلام على «التنبيه» فقال عنه - رحمه الله: التنبيه بالباء الموحدة مصدر من باب التفعيل يطلق في عرف العلماء على معان منها بيان الشيء قصدًا بعد سبقه ضمنا على وجه لو توجه إليه السامع لفطن بكليته ليعرفه لكن لكونه ضعيفًا ربما يغفل عنه - كذا في **الأطول** في أول فن المعاني. والفرق بينه وبين التذنيب مع اشتراكهما في أن كُلا منهما يتعلق بالمباحث المتقدمة أن ما ذكر في حيّزه بحيث لو تأمل المتأمل في المباحث المتقدمة لفهمه بخلاف التنبيه. كذا في **الجلبي حاشية المطول**، ومنها بيان البديهي كما في **الأطول** أيضًا هناك، ويؤيد هذا ما وقع في **الشريفية** أن الدليل هو المركب من قضيتين للتأدّي إلى مجهول نظري، وإن ذكر لإزالة خفاء البديهي يسمى تنبيهًا. انتهى.

وقال في **المحاكمات**: الإشارة حكم يحتاج إثباته إلى دليل وبرهان، والتنبيه حكم لا يحتاج إثباته إلى دليل بل يكفي في إثباته وبيانه إما مجرد ملاحظة أطرافه أو التمثيل المزيل للخفاء في نفس الحكم البديهي أو النظر السهل في الفصل السابق على ذلك الحكم بأن تذكر مقدمات ذلك الحكم في ذلك الفصل.

ومنها الإنشاء قال ابن الحاجب في **مختصر الأصول**: غير الخبر يسمى إنشاء وتنبيها، ويندرج فيه الأمر والنهي والتمني والترجي، والقسم والنداء والاستفهام والمنطقيون يقسمون غير الخبر إلى ما يدل على الطلب لذاته إما للفهم وهو الاستفهام وإما لغيره وهو الأمر والنهي، وإلى غيره ويخصون التنبيه والإنشاء بالأخير منهما، ويعدون منه التمني والترجي، والقسم والنداء، وبعضهم يعد التمني والنداء من الطلب. انتهى.

وقال المحقق التفتازانى في حاشيته: تسمية جميع أقسام غير الخبر بالتنبيه غير متعارف وكذا ما نسب إلى المنطقيين من تخصيص الإنشاء بما لا يدل على الطلب بما لم نجده في كلامهم. انتهى.

وفي **بديع الميزان**: غير الخبر إن لم يدل على طلب الفعل دلالة صيغية فهو تنبيه؛ أي: إعلام على ما في ضميره، ويندرج فيه التمنى والترجى والنداء والقسم والاستفهام وألفاظ العقود، وفعلًا المدح والذم، والتعجب اصطلاحًا والمناقشة فيه، ودلالة النداء على طلب الإقبال، والاستفهام على طلب الإعلام التزاميتان فلا يخرجان من التنبيه، وهكذا في **شرح المطالع** وغيرهما، ومنهم من عدَّ التمنى والنداء والاستفهام من أقسام الطلب على ما ذكر السيد الشريف.

ومنها الإيماء وهو عند الأصوليين من أقسام المنطوق الغير الصريح وهو الاقتران بحكم لو لم يكن هو أو نظيره لتعليل ذلك المقصود لكان بعيدًا جدًا؛ أي: اقتران الملفوظ الذى هو مقصود المتكلم بحكم، فيحمل على التعليل لدفع الاستبعاد، ويرجع إلى هذا ما قال معناه اقتران نص الشارع كقوله: اعتق رقبة في المثال الآتى بحكم كقول الأعرابى: واقعتُ أهلى في نهار رمضان لو لم يكن ذلك الحكم أو نظيره للتعليل أى علة لقول الشارع وحكمه كان بعيدًا جدًا من الشارع الإتيان بمثله، ويحتمل أن يكون معناه أن اقتران الوصف المدعى كونه علة لحكم من الشارع لو لم يكن ذلك الوصف أو نظيره علة لحكم كان بعيدًا من الشارع الإتيان بذلك الحكم.

مثال كون العين للتعليل ما قال الأعرابى: هلكت، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ماذا صنعت؟ قال: واقعتُ أهلى في نهار رمضان، فقال: أعتق رقبة الحديث فإنه يدل على أن الوقاع علة للإعتاق، فإن غرض الإعرابى بيان حكم الوقاع، وذكر الحكم جواب له ليحصل غرضه لئلا يلزم إخلاء السؤال عن الجواب، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيكون السؤال مقدرًا في الجواب كأنه قال: واقعت فكفِّر، ولا شكَّ أن الفاء للتعليل فيحمل عليه، والاحتمال البعيد عدم قصد الجواب كما يقول العبد: طلعتَ الشمس، فيقول السيد: اسقنى ماء، فإن ذلك وإن بعد لكنه ليس بممتنع.

واعلم أن مثل ذلك إذا أخذ عنه بعض الأوصاف وعلل بالباقى سمى **تنقيح المناط**، مثاله في قصة الأعرابى أن يقال: كونه أعرابيًا لا مدخل له في العلة إذ الهندى أيضًا كذلك، وكذا كون المحل أهلا فإن الزنا أيضًا أجدر به، أو يقال: وكونه وقاعًا لا مدخل له، فيبقى كونه إفسادًا للصوم فهو العلة.

ومثال كون النظير للتعليل قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سألته الخثعمية أن أبى أدركته الوفاة وعليه فريضة الحج فإن حججتُ عنه أينفعه ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته كان ينفعه ذلك؟**» قالت: نعم. قال: «**فدين الله أحق بأن يُقضى**» سألته الخثعمية عن دين الله فذكر نظيره وهو دين الآدمى، فنبّه على التعليل به أى كونه علة للنفع وإلا لزم العبث، نفهم منه أن نظيره في المسؤول عنه وهو دين الله كذلك علة بمثل ذلك الحكم وهو النفع.

واعلم أن مثل هذا يسمّيه الأصوليون تنبيهًا على أصل القياس، وفيه كما ترى تنبيه على أصل القياس، وعلى علة الحكم فيه، وعلى صحة إلحاق الفرع بها.

أعلم أن من مراتب الإيماء أن يذكر الشارع مع الحكم وصفا مناسبًا له مثل قوله لا يقضى القاضى وهو غضبان، فإن فيه إيماء إلى أن الغضب علة عدم جواز الحكم لأنه مشوش للمنظر وموجب للاضطراب، ومثل أكرِم العلماء وأهِن الجهال، هذا إذا ذكر الوصف والحكم كلاهما فإنه إيماء بالاتفاق، فإن ذكر أحدهما فقط مثل أن يذكر الوصف صريحًا والحكم مستنبط نحو: أحل الله البيع، فإن حل البيع وصف له قد ذكر، فعلم منه حكمه وهو الصحة أو أن يذكر الحكم والوصف مستنبط وذلك كثير منه نحو: حُرّمت الخمر، فقد اختلف في أنه هل يكون إيماء فهو على مذاهب أحدها كلاهما إيماء، والثانى ليس شيء منهما إيماء، والثالث الأول وهو ذكر الوصف إيماء دون الثانى، وهو ذكر الحكم، والنزاع لفظى مبنى على تفسير الإيماء، والأول مبنى على أن الإيماء اقتران الحكم والوصف، سواء كانا مذكورين أو أحدهما مذكورًا والآخر مقدرًا، والثانى مبنى على أنه لابد من ذكرهما إذ به يتحقق الاقتران والثالث مبنى على أن إثبات مستلزم الشيء يقتضى إثباته، والعلة كالحل يستلزم المعلول كالصحة، فيلزم بمثابة المذكور أن يتحقق الاقتران اللازم حيث ليس إثباته إثباتًا لملزومه بخلاف ذلك، فلا يكون الملزوم في حكم المذكور

فلا يتحقق الاقتران هكذا ذكر في العضد وحاشيته للمحقق التفتازاني في مباحث القياس (**كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٤٣٢ - ١٤٣٥**).

وقد أورد الإمام بدر الدين الزركشي «التنبيه» تحت النوع الخامس من أنواع الاستفهام المراد به الإنشاء، وذكر أنه من أقسام الأمر فقال (٢/٣٤٠):

الخامس: التنبيه، وهو من أقسام الأمر، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (الفرقان: ٤٥).

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾ (البقرة: ٢٤٣)

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (الفيل: ١)، المعنى في كل ذلك: انظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ (الحج: ٦٣)

حكاه صاحب «الكتاب» لعله كتاب «الكتاب» في النحو؛ لأبي جعفر النحاس عن الخليل، ولذلك رفع الفعل ولم ينصبه.

وجعل منه بعضهم ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التكوير: ٢٦) للتنبيه على الضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (البقرة: ١٣٠)[1]

(**البرهان في علوم القرآن ٢/٣٤٠**).

---

(١) التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي - تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة/ ٩٦، ٩٧، وتاج اللغة، وصحاح العربية تصنيف الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري رواية الشيخ، أبي محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٢ هـ ٢/٤٢٤، والتحبير في علم التفسير لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي/٩٨، ومع القرآن الكريم بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق/ ٢٥٨، ٢٥٩، وحروف المعاني لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي - حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة. دار الأمل. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م/١١، والبلاغة فنونها وأفنانها. علم المعاني - الدكتور فضل حسن عباس سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١) دار الفرقان. عمان. الطبعة التاسعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م/١١٩، ١٢٠ وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف العلامة السيد/ أحمد الهاشمي بن توفيق وفهرسة حسن نجار محمد/٥٢، ٧٤، وكشاف اصطلاحات الفنون تأليف الشيخ الأجل المولدي محمد أعلى بن علي التهانوي. دار صادر. بيروت ١٢٧٨ هـ - ١٨٦١م ٣/١٤٣٢-١٤٣٥. والبرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/٣٤٠.

(٥٠-٥١) التقديم والتأخير

بسط الكلام عليه الإمام بدر الدين الزركشي في «**البرهان**» (٢/٢٣٣ - ٢٨٧) فأفاد وأجاد، وجمع فأوعى، مما أغنانا عن سائر المصادر التى لدينا والتى سنكتفى بذكر بياناتها في نهاية المادة.

هذا وقد عقد الزركشي له فصلين: الفصل الأول في «أسباب التقديم» (ص ٢٣٣ - ٢٣٨)، والفصل الثاني في «أنواعه» (ص ٢٣٨ - ٢٨٧)، ثم زاد في **البرهان** ٤ (ص ٦٣- ٦٦) ما يتصل بقاعدة ذكر تقديم الرحمة على العذاب في القرآن الكريم.

ونشرع الآن في نقل هذا كله بنصه - إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

قال الزركشي - رحمه الله - تحت عنوان: القول في التقديم والتأخير:

هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم. وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق.

وقد اختلف في عدّه من المجاز، فمنهم من عدّه منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه.

والصحيح أنه ليس منه؛ فإن المجاز نَقْل ما وضع له إلى ما لم يوضع.

ويقع الكلام فيه في فصول:

الفصل الأول

(فى أسباب التقديم والتأخير)

الأول: في أسبابه وهي كثيرة:

أحدهما: أن يكون أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها؛ نحو: جاء زيدٌ راكبًا.

والثاني: أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (غافر: ٢٨) فإنه لو أخر قوله: ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، فلا يفهم أنه منهم.

وجعل السكاكى من الأسباب كون التأخير مانعًا، مثل الإخلال بالمقصود، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (المؤمنون: ٣٣)، بتقديم الحال أعنى: ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ على الوصف، أعنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولو تأخر لتوهم أنه من صفة الدنيا؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل؛ من الدنو، وليست اسمًا، والدنوّ يتعدى بـ «من»، وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أنهم أهم: من قومه أم لا؟ فقدم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود؛ وهو كون القائلين من قومه، وحين أمن هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (المؤمنون: ٢٤)، بتأخير المجرور عن صفة المرفوع.

الثالث: أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدّم لمشاكله الكلام ولرعاية الفاصلة، كقوله: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧)، بتقديم «إياه» على «تعبدون» لمشاكله رؤوس الآى، وكقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (طه: ٦٧)، فإنه لو أخر ﴿فِي نَفْسِهِ﴾

عن ﴿مُوسَىٰ﴾؛ فات تناسب الفواصل؛ لأن قبله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ٦٦)، وبعده: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (طه: ٦٨).

وكقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٥٠). فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده.

وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (إبراهيم: ٥١)، وهو أشكل بما قبله، لأن قبله: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (إبراهيم: ٤٩)

وجعل منه السكاكي (انظر **مفتاح العلوم**/١٢٩): ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه: ٧٠)، بتقديم ﴿هَارُونَ﴾ مع أن ﴿وَمُوسَىٰ﴾ أحق بالتقديم.

الرابع: لعظمه والاهتمام به؛ وذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبر ما - وأناطت به حكما - وقد يشركه غيره في ذلك الحكم، أو فيما أخبر به عنه؛ وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب - فإنهم مع ذلك إنما يبدءون بالأهم والأولى. قال سيبويه: كأنهم يقدّمون الذى شأنه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمّانهم ويعنيانهم. انتهى.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، فبدأ بالصلاة لأنها أهمّ.

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (التغابن: ١٢).

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (فاتحة الكتاب: ٥)، فقدّم العبادة للاهتمام بها.

ومنه تقدير المحذوف في بسم الله مؤخرًا.

وأوردوا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق: ١)، وأجيب بوجهين:

أحدهما: أنّ تقديم الفعل هناك أهمّ، لأنها أول سورة نزلت.

والثاني أن: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ متعلق بـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الثاني (العلق:٣)، ومعنى الأول: أوجد القراءة، والقصد التعميم.

الخامس: أن يكون الخاطر ملتفتًا إليه والهمة معقودة به؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، بتقديم المجرور على المفعول الأول؛ لأن الإنكار متوجّه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل.

السادس: أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجب من حال المذكور، كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، والأصل «الجنّ شركاء»؛ وقدّم، لأنّ المقصود التوبيخ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله.

ومنه قوله تعالى في سورة يس: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ (يس: ٢٠)، وسنذكره.

السابع: الاختصاص: وذلك بتقديم المفعول، والخبر، والظرف، والجار والمجرور، ونحوها على الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ (فاتحة الكتاب: ٥)، أي: نخصّك بالعبادة فلا نعبد غيرك.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٤)، أي: إن كنتم تخصونه بالعبادة.

والخبر كقوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي﴾ (مريم: ٤٦)، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢).

وأما تقديم الظرف؛ ففيه تفصيل، فإن كان في الإثبات دل على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ (الغاشية: ٢٥، ٢٦)، فإن كان في الإثبات دل على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ (التغابن: ١)، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى: وقوله: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٥٨).

أي: لا إلى غيره، وقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثاني؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي اختصاصهم يكون الرسول شهيدًا عليهم.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ (النساء: ٧٩)، أي: لجميع الناس من العجم والعرب، على أن التعريف للاستغراق.

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفي عنه، كما في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (الصافات: ٤٧)، أي: ليس في خمر الجنة ما في خمرة غيرها من الغول.

وأما تأخيره فإنها تُفيد النفي فقط، كما في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢) فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار كان معناه: نفي العيب في الدار، وإذا قلنا: لا في الدار عيب، كان معناه: أنها تفضل على غيرها بعدم العيب.

تنبيه

ما ذكرناه من أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره، والذي عليه محققو البيانيين أن ذلك غالب لا لازم، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ (الأنعام: ٨٤)، وقوله: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ (إبراهيم: ١٠)، ما بعد الظرف مبتدأ.

وقد ردّ صاحب **«الفلك الدائر»** (هو عز الدين بن أبي الحديد، صاحب كتاب **الفلك الدائر على المثل السائر**، نقد فيه كتاب ابن الأثير، وطبع في الهند سنة ١٣٠٩هـ. القاعدة بالآية الأولى، وكذلك ابن الحاجب والشيخ أبو حيان، وخالفوا البيانيين في ذلك، وأنت إذا علمت أنهم ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهل الأمر. نعم له شرطان.

أحدهما: ألا يكون المعمول مقدمًا بالوضع؛ فإن ذلك لا يسمى تقديمًا حقيقة، كأسماء الاستفهام، وكالمبتدأ عند من يجعله معمولا لخبره.

والثاني: ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب، مثل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت: ١٧) على قراءة النصب.

وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة؛ وهي قوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ﴾ (الأنعام: ٤٠، ٤١)، التقديم في الأول قطعا ليس للاختصاص، بخلاف الثاني.

الفصل الثانى

فى أنواعه

وهى إما أن يُقدَّم والمعنى عليه، أو يقدَّم وهو في المعنى مؤخر، أو بالعكس.

النوع الأول

ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة، قد يسّر الله منها خمسا وعشرين، ولله دَرُّ ابن عبدون في قوله:

سَقَاك الحَيَا من مَعَانٍ سِفَاحِ   فكم لى بها من مَعانٍ فِصَاحِ

أحدها: السبق

وهو أقسام: منها السبق بالزمان والإيجاد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ (آل عمران: ٦٨) قال ابن عطية: المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥)، فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر، وإنما قُدِّم الملك لسبقه في الوجود.

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ (الأحزاب: ٥٩)؛ فإن الأزواج أسبق بالزمان؛ لأن البنات أفضل منهن، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤).

وأعلم أنه ينضم إليه مع ذلك التشريف، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ (آل عمران: ٣٣).

وقوله: ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ (الأحزاب: ٧).

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٩).

وأما قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (النجم: ٣٦، ٣٧) فإنما قدّم ذكر موسى لوجهين: **أحدهما** أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشارًا من صحف إبراهيم، **وثانيهما** مراعاة رؤوس الآي.

وقد ينضم إليه التحقير، كما في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، تقدّم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة.

وقد لا يلحظ هذا كقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٣٨) وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ (النجم: ٥٠، ٥١).

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السنة على النوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥) لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة.

ذكره السهيلي وذكر معه وجهًا آخر؛ وهو أنها وردت في معرض التمدح والثناء، وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه فبدئ بالأفضل؛ لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرى أن يستحيل عليه النوم.

ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) الظلمات سابقة على النور في الإحساس،وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (النحل: ٧٨) فانتفاء العلم ظلمة، وهو متقدم بالزمان على نور الإدراكات.

ومنه تقديم الليل على النهار. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ (الإسراء: ١٢) ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (سبأ: ١٨). ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ (سبأ: ٣٣) ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: ١٧). ولذلك اختارت العرب التأريخ بالليالي دون الأيام، وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة، وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التأريخ.

فإن قلت: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ (يس: ٤٠).

قلتُ: استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في قواعده بالإجماع على سَبق الليلة على اليوم. وأجاب بأن المعنى: تُدرك القمر في سلطانه، وهو الليل، أى لا تجيء الشمس في (أثناء) الليل، فقوله بعده: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠) أى: لا يأتى في بعض سلطان الشمس وهو النهار. وبين الجملتين مقابلة.

(**القواعد الكبرى، في فروع الشافعية** للشيخ عز الدين بن عبد السلام، ذكره صاحب **كشف الظنون**، وقال: ليس لأحد مثله. وكثير منه مأخوذ من شعب الإيمان للحليمي، وله القواعد الصغرى أيضا).

فإن قيل له: قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ (الحديد: ٦) مشكل على هذا؛ لأن الإيلاج إدخال الشيء في الشيء، وهذا البحث ينافيه.

قلتُ: المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقدارًا من النهار، ومن النهار في الصيف مقدارًا من الليل، وتقدير الكلام: يولج بعض مقدار الليل في النهار، وبعض مقدار النهار في الليل، وعلى غير المشهور، يجعل الليل في المكان الذى كان فيه النهار، ويجعل النهار في المكان الذى كان فيه الليل، والتقدير: يؤلج الليل في مكان النهار ويؤلج النهار في مكان الليل.

ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ (الأنعام: ١)، أي: الليل والنهار، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٢، ٣٣).

وهذه مسألة مهمة قل من تعرض لها، أعني سبق المكان على الزمان، وقد صرح بها الإمام أبو جعفر الطبري في أول تاريخه، واحتج على ذلك بحديث ابن عباس: إن الله خلق التربة يوم السبت، وخلق الشمس والقمر؛ وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار؛ إذ كانا إنما هما أسماء لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر (درج الفلك)، وإذا كان ذلك صحيحًا وأنه لا شمس ولا قمر، كان معلومًا أنه لا ليل ولا نهار. قال: وحديث أبي هريرة - يعني في **صحيح مسلم** - صريح فيه؛ فإن فيه: «وخلق (الله) النور يوم الأربعاء»، قال: ويعني به الشمس، إن شاء الله (**تاريخ الطبري** ١/١٣).

والحاصل: أن تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء المذكورة في الخبر لازم.

فإن قلت: الحديث كالمصرح بخلافه؛ فإنه قال: خلق الله التربة يوم السبت، حين خلق البرية وهي أول المخلوقات المذكورة، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلها متأخرًا عن ذلك.

قلت: قد نبه الطبري على جواب ذلك بما حاصله: أن الله تعالى سمى أسماء الأيام قبل خلق التربة، وخلق الأيام كلها، ثم قدر كل يوم مقدرًا، فخلق التربة في مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت، وكذا الباقي.

وهذا، وإن كان خلاف الظاهر لكن أوجبه ما قاله الطبري؛ من أنه يتعين تأخير الأيام لما ذكرناه من الدليل المستفاد من الخبرين.

والحاصل: أن الزمان قسمان: تحقيقي وتقديري، والمذكور في الحديث التقديري.

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧). ﴿مَشَٰرِقَ

﴿ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ (الأعراف: ١٣٧)، ولذلك لما استغنى عن أحدهما ذكر المشرق فقط، فقال: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾ (الصافات: ٥)، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ (الصافات: ٦).

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ (الملك: ٢)، وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: ٤٤) ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨).

ويمكن فيه وجوه أخر:

منها أن فيه قهرًا للخلق، والمقام يقتضيه.

ومنها أن حياة الإنسان كلا حياة، ومآله إلى الموت، ولا حياة إلا بعد الموت.

ومنها أن الموت تقدم في الوجود، إذ الإنسان قبل نفخ الروح فيه كان ميتًا لعدم الروح، وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود؛ بدليل: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾، وإن أريد به بعد الوجود، فالناس متنازعون في الموت: هل هو أمر وجودى كالحياة أولا؟

وقيل بالوقف، فقالت الفلاسفة: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيًا.

والجمهور على أنه أمر وجودى يضاد الحياة، محتجين بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، والحديث في الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه.

وأجيب عن الآية بأن الخلق بمعنى التقدير، ولا يجب في المقدار أن يكون وجوديًا، وعن الثانى بأن ذلك على طريق التمثيل؛ لبيان انقطاع الموت وثبوت الخلود.

فإن قلنا: عدمي، فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة، وعلى الصحيح تقابل التضاد، وعلى القول بأنه وجودى يجب أن يقال: تقديم الموت الذى هو عدم الوجود؛ لكونه سابقًا أو معدوم الحياة، الذى هو مفارقة الروح البدن

يجوز أن يكون لكونه الغاية التى يساق إليها في دار الدنيا؛ فهى العلة الغائية بعدم تحقيقها، لتحققه، فخص العلة العامة كما وقع تأكيده في قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٥)، أو تزهيدًا في الدار الفانية، وترغيبًا فيما بعد الموت.

فإن قيل: فما وجه تقدم «الحياة» في قوله: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٥) وقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

قلنا: إن كان الخطاب لآدم وحواء، فلأن حياتهما في الدنيا سبقت الموت، وإن كان للخلق بالخطاب لمن هو حى يعقبه الموت، فما التقديم بالترتيب، وكذا الآية بعده.

فإن قيل: فما وجه تقديم الموت على الحياة في الحكاية عن منكر البعث: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (المؤمنون: ٣٧).

قلت: لأجل مناسبة رؤوس الآى.

فإن قلت: فما وجه تقدم التوفي على الرفع في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ (آل عمران: ٥٥) مع أن الرفع سابق؟

قيل: فيه جوابان:

أحدهما: المراد بالتوفي النوم، كقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ (الأنعام: ٦٠).

وثانيهما: أن التاء في «مُتَوَفِّيكَ» زائدة، أى: موفيك عملك.

ومنها سبق إنزال، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران: ٣، ٤)، وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وأما قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩٩)، فإنما قدم القرآن مُنَبِّهًا له على فضيلة المنزل إليهم.

ومنها سبق وجوب، كقوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (الحج: ٧٧)، وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح: ٢٩).

فإن قيل، فقد قال: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣).

قيل، يحتمل أنه كان في شريعتهم السجود قبل الركوع، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية.

وقيل، المراد بـ «اركعي» اشكري.

وقيل، أراد بـ «اسجدي» صلّي وحدك، وبـ «اركعي» صلّي في جماعة، ولذلك قال: ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

ومنها سبق تنزيه، كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فبدأ الرسول قبل المؤمنين، ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾، فبدأ بالإيمان بالله، لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع، ثم قال: «وملائكته» مراعاة لإيمان الرسول، فإنه يتعلق بالملك الذى هو جبريل أولاً، ثم بالكتاب الذى نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول. وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه، فترتب الذكر المنزل عليه بحسب ذلك، فظهرت الحكمة والإعجاز، فقال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ؛ لأن الملك هو النازل بالكتاب، وإن كان الكتاب أقدم من الملك، ولكن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم للملك كانت قبل سماعه الكتاب. وأما إيماننا نحن بالعقل، آمنا بالله، أى: بوجوده، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عرفنا اسمه، ووجوب النظر المؤدى إلى معرفته، فآمنا بالرسول، ثم بالكتاب المنزل عليه، وبالملك النازل، فلو

ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبدأ بالرسول قبل الكتاب؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم، الذى هو إمام المؤمنين. ذكره السهيلى في أماليه.

وقال غيره: في هذا الترتيب سرٌّ لطيف، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى، والوسائط في ذلك الملائكة، والمقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسل، فلا بدّ **أولاً** من أصل، **وثانيًا** من وسائط، **وثالثًا** من حصول تلك الرحمة، **ورابعًا** من وصولها إلى المقابل لها؛ والأصل المقتضى للخيرات والرحمة هو الله، ومن أعظم رحمةٍ رحِم بها عباده إنزال كتبه إليهم، والموصل لها هم الملائكة، والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء؛ فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع.

الثانى: بالذات:

كقوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ (النساء: ٣). ونحوه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ (المجادلة: ٧) وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢) وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم﴾ (سبأ: ٤٦) فوجه تقديم المثنى أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة لله، وترك الهوى، مجتمعَيْن متساويَيْن أو منفردَيْن متفكرَيْن، ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها.

الثالث: بالعلة والسببية:

كتقديم «العزيز» على «الحكيم»، لأنه عز فحكم، وتقديم «العليم» على «الحكيم» لأن الإتقان ناشئ عن العلم، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢).

ويجوز أن يكون قدّم وصف العلم هنا ليتّصل بما يناسبه، وهو ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾، وفي غيره من نظائره، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله.

ومنه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)؛ فإن التوبة سبب الطهارة.

وكذا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الجاثية: ٧) لأن الإفك سبب الإثم.

وكذا: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (المطففين: ١٢).

وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ (الفرقان: ٤٨، ٤٩)، قدم إحياء الأرض؛ لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي، وقدم إحياء الأنعام؛ لأنه مما يحيا به الناس؛ بأكل لحومها وشرب ألبانها.

وكذا كل علة مع معلولها، كقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨) **قيل**: قدم الأموال من باب تقديم السبب؛ فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤونته، فهو سبب التزويج، والتزويج سبب للتناسل؛ ولأن المال سبب للتنعيم بالولد، وفقده سبب لشقائه.

وكذا تقديم البنات على البنين في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ (آل عمران: ١٤)، وأخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين لأنهما أقوى في الشهوة الجبلية من المال، فإن الطبع يحث على بذل المال، فيحصل النكاح، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبلية، والبنون أقعد من الأموال، والذهب أقعد من الفضة، والفضة أقعد من الأنعام، إذ هي وسيلة إلى تحصيل النعم، فلما صدرت الآية

بذكر الحب، وكان المحبوب مختلف المراتب، اقتضت حكمة الترتيب أن يقدم ما هو الأهم فالأهم، في رتبة المحبوبات.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ (النساء: ١٤٧) قدم الشكر على الإيمان؛ لأن العاقل ينظر (إلى) ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكرًا مبهمًا؛ فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به، ثم شكر شكرًا متصلاً (في الكشاف «منفصلاً») فكان الشكر متقدمًا على الإيمان؛ وكأنه أصل التكليف ومداره. انتهى.

وجعله غيره من عطف الخاص على العام؛ لأن الإيمان من الشكر، وخصّ بالذكر لشرفه.

الرابع: بالرتبة:

كتقديم «سميع» على «عليم» فإنه يقتضي التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات، وإن من سمع حسك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن.

وكقوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣ وآيات كثيرة)، فإن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله: ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ: ٢)؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم، وهو قوله: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ: ٢)، فالرحمة شملتهم جميعًا، والمغفرة تخص بعضًا، والعموم قبل الخصوص بالرتبة.

وقوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١١) فإن الهماز هو المغتاب؛ وذلك لا يفتقر إلى شيء بخلاف النميمة.

وقوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (الحج: ٢٧) فإن الغالب أن الذين يأتون رجالاً من مكان قريب، والذين يأتون على الضامر من البعيد، ويحتمل أن يكون من التقديم بالشرف؛ لأن الأجر في المشي مضاعف.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ (البقرة: ٢٣٩) مع ' الراكب متمكن من الصلاة أكثر من الماشي، فجبرا له في باب الرخصة.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)، فقدم الطائفين لقربهم من البيت؛ ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون؛ لأنهم يخصون موضعا بالعكوف والطواف بخلافه فكان أعم منه، والأعم قبل الأخص، ثم ثلث بالركوع، لأن الركوع لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده.

ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة:

الأول: كيف جمع الطائفين والقائمين جمع سلامة، والركع جمع تكسير؟ **والجواب:** أن جمع السلامة أقرب إلى لفظ الفعل، فطائفون بمنزلة يطوفون، ففي لفظه إشعار بصلة التطهير، وهو حدوث الطواف وتجدده، ولو قال: بالطواف لم يفد ذلك، لأن لفظ المصدر يخفى ذلك؛ وكذا القول في القائمين، وأمّا الراكعون فلما سبق أنه لا يلزم كونه في البيت ولا عنده؛ فلهذا لم يجمع جمع سلامة؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير، كما احتيج فيما قبله.

الثاني: كيف وصف الركع بالسجود، ولم يعطف بالواو؟

والجواب: لأن الركع هم السجود، والشيء لا يعطف على نفسه؛ لأن السجود يكون عبارة عن المصدر، وهو هنا عبارة عن الجمع، فلو عطف بالواو لأوهم إرادة المصدر دون اسم الفاعل؛ لأن الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعًا، ولو عطف بالواو لأوهم أنه مستقلّ، كالذي قبله.

الثالث: هلا قيل: السجد كما قيل الركع، وكما جاء في آية أخرى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح: ٢٩)، والركوع قبل السجود؛ والجواب: أن السجود يطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع، فلو قال: السجد، لم يتناول إلا المعنى الظاهر، ومنه: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، وهو من رؤية العين، ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر، فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري؛ بخلاف الركع، فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم،

دون إعمال المناسب، فجعل السجود وصفًا للركوع وتتميما له؛ لأن الخشوع روح الصلاة وسرّها الذي شرعت له.

الخامس: بالداعية:

كتقدم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: ٣٠)، لأن البصر داعية إلى الفرج، لقوله صلى الله عليه وسلم: **«العينان تزنيان والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه».**

السادس: التعظيم:

كقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (النساء: ٦٩).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ١٨).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٥٥).

السابع: الشرف وهو أنواع:

منها شرف الرسالة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (الحج: ٥٢) فإن الرسول أفضل من النبي، خلافا لابن عبد السلام.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤) ومنها شرف الذكورة:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ (النجم: ٢١).

وقوله: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١).

وأما تقديم الإناث في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ (الشورى: ٤٩)، فلجبرهن، إذ هن موضع الإنكار، ولهذا جُبر الذكور بالتعريف، للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم.

ويحتمل أن تقديم الإناث، لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئة الله تعالى، لا على وفق غرض العباد.

ومنها شرف الحرية، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ (البقرة: ١٧٨)، ومن الغريب حكاية بعضهم قولين في أن الحر أشرف من العبد أم لا، حكاه القرطبي، في تفسير سورة النساء فلينظر فيه.

ومنها شرف العقل، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ (النور: ٤١).

وقوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ (النازعات: ٣٣).

وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ (السجدة: ٢٧)، فمن باب تقديم السبب، وقد سبق.

ومنها شرف الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ (الأعراف: ٨٧)، وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع، والطائع على العاصي، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال.

ومنها شرف العلم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩).

ومنها شرف الحياة، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ (الروم: ١٩).

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ (فاطر: ٢٢). وأما تقديم الموت في

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (الملك:٢)، فمن تقدّم السبق بالوجود، وقد سبق.

ومنها شرف المعلوم، نحو: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (المؤمنون: ٩٢)، فإن علم الغيبيات أشرف من المشاهدات.

ومنه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ (الأنعام: ٣).﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (التغابن:٤)

وأما قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧)، أي: من السر، فعن ابن عباس وغيره: السرّ: ما أسررت في نفسك، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك، مما يكون في عدة علم الله فيهما سواء، ولا شك أن الآتي أبلغ، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أفعل تفضيل يستدعي مفضلا عليه، علم حتى يتحقق في نفسه، فيكون حينئذ تقديم السر من النوع الأول.

وثانيهما: مراعاة رؤوس الآي.

ومنها شرف الإدراك، كتقديم السمع على البصر، والسميع على البصير، لأن السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (البقرة: ٧)، لأن الحواس خدمة القلب، وموصلة إليه؛ وهو المقصود؛ وأما قوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ (الجاثية: ٢٣)، فأخر القلب فيها؛ لأن العناية هناك بذمّ المتصامّين عن السماع؛ ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن في آذانهم حتى لا يسمعوا، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ (الجاثية: ٧، ٨).

ومنها شرف المجازاة، كقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

ومنها شرف العموم؛ فإن العام أشرف من الخاص، كتقديم العفوّ على

الغفور؛ أي عفوٌ عما لم يؤاخذنا به مما نستحقه بذنوبنا، غفور لما وَاخَذَنَا به في الدنيا، قَبِلَنَا ورجعنا إليه؛ فتقدم العفو على الغفور، لأنه أعم، وأخرت المغفرة لأنها أخص.

ومنها شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ (النحل: ١١٦)، وإنما تقديم الحرام في قوله: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ (يونس: ٥٩) فللزيادة في التشنيع عليهم، أو لأجل السياق؛ لأن قبله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ (النحل: ١١٤)، ثم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ (البقرة: ١٧٣).

ومنها الشرف بالفضيلة، كقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النساء: ٦٩).

وقوله: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ (الأحزاب: ٧).

وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ (الأنبياء: ٤٨).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (يونس: ٧٥).

وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٢، والشعراء: ٤٨)، فإن موسى استأثر باصطفائه تعالى له بتكليفه، وكونه من أولي العزم.

فإن قلت: فقد جاء هارون وموسى في سورة طه بتقديم هارون؟

قلنا: لتناسب رؤوس الآي.

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ (البقرة: ٩٨) لأن جبريل صاحب

الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية.

ومنه تقديم المهاجرين في قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ (التوبة: ١١٧).

وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ (التوبة: ١٠٠)، ويدل على فضيلة الهجرة قوله صلى الله عليه وسلم: **«لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»**، وبالآية احتج الصديق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم.

ومنه قوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، فإن الصلاة أفضلُ من السلام.

وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، قدم القريب لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي.

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ (المائدة: ٦).

وتقديم اليمين على الشمال في نحو: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ (سبأ: ١٥)، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ (المعارج: ٣٧).

ومنه تقديم الأنفس على الأموال في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ (التوبة: ١١١)، وأما تقديم الأموال في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال: ٧٢)، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال، فهو من باب السبق بالسببية.

ومنه: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ (الفتح: ٢٧)، فإن الحلق أفضل من التقصير.

ومنه تقديم السماوات على الأرض، كقوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ (العنكبوت: ٤٤) وهو كثير، وكذلك كثيرًا ما يقع «السماوات» بلفظ الجمع، و «الأرض» لم تقع إلا مفردة.

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (يونس: ٦١)؛ فإنه لما ذكر المخاطبين، وهو قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: ٦١)، وهو خطاب لأهل الأرض، وعملهم يكون في الأرض، وهذا بخلاف الآية التي في سبأ، فإنها منتظمة في سياق علم الغيب.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (آل عمران: ٥).

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الزمر: ٦٧)؛ فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد؛ وإنما هو لأهل الأرض.

وكذا قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

ومنه تقديم الإنس والجن في قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ (الإسراء: ٨٨).

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ (الرحمن: ٣٩).

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ (الرحمن: ٥٦).

وقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ (الجن: ٥).

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (الرحمن: ١٤، ١٥).

وأما تقديم الجن في مواضع أُخَر، كقوله: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ (الأنعام: ١٣٠) فلأنهم أقدم في الخلق، فيكون من النوع الأول - أعني التقديم بالزمان - ولهذا لما أخر في آية الحجْر صرح بالقبلية بذكر الإنسان، ثم قال: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾ (الحجر: ٢٧).

ويجوز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأعجب؛ لأن خلقها أغرب، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ (النور: ٤٥).

أو لأنهم أقوى أجسامًا، وأعظم أقدامًا، ولهذا قُدّموا في: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الرحمن: ٣٣)، وفي: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ (النمل: ١٧).

ومنه تقديم السُّجّد على الراكعين في قوله: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣)، وسبق فيه شيء آخر.

ومنه تقديم الخيل على البغال، والبغال على الحمير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ (النحل: ٨).

ومنه تقديم الذهب على الفضة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ (التوبة: ٣٤).

فإن قلت: فهل يجوز أن يكون من تقديم المذكر على المؤنث؟

قلت: هيهات، الذهب أيضًا مؤنث، ولهذا يصغر على ذُهَيبة ك «قدم».

ومنه تقديم الصوف في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾

(النحل: ٨٠) ؛ ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من الملابس؛ وأنه شعار الملائكة في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥) **قيل**: سيماهم يومئذ الصوف. وعن علي: الصوف الأبيض؛ رواه أبو نعيم في مدح الصوف، وفي الصحيح في موسى عليه السلام: «**عليه عباءة**».

ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (الحج: ١٨)، وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ (الفرقان: ٦١)، ولهذا قال تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥)؛ والحكماء يقولون: إن نور القمر مستمد من نور الشمس، قال الشاعر:

يَا مُفْرَدًا بِالْحُسْنِ وَالشَّكْلِ ... مَنْ دَلَّ عَيْنَيْكَ عَلَى قَتْلِي

الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ ... وَالشَّمْسُ مِنْ نُورِكَ تَسْتَمْلِي

وأما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٥، ١٦) فيحتمل وجهين: مناسبة رؤوس الآي أو أن انتفاع أهل السماوات به أكثر. قال ابن الأنباري: يقال: إن القمر وجهه يضيء لأهل الشمس، وظهره إلى الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء.

الثامن: الغلبة والكثرة:

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (فاطر: ٣٢)، قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥).

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (آل عمران: ١٥٢).

﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ (النور: ٢٦).

وجعل منه الزمخشري: ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ (التغابن: ٢) يعني بدليل قوله: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٣) وحديث بعث النار.

وأما قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا ﴾ (آل عمران: ٣٨)، قدم ذكر العذاب لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى وراموا قتله.

وجعل من هذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ (المائدة: ٣٨)؛ لأن السرقة في الذكور أكثر.

وقدم في الزنى المرأة في قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ (النور: ٢) لأن الزنى فيهن أكثر. وأما قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ﴾ (النور:٣) فقال الزمخشري: سيقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جنيا؛ والمرأة هي المادة التي نشأت منها الخيانة؛ لأنها لو لم تطمع الرجل، (ولم تومض له) وتمكنه لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل، فيه لأنه هو الراغب والخاطب يبدأ الطلب (الكشاف ٣/١٦٨).

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾ (النور: ٣٠)، قال الزمخشري: قدم غض البصر؛ لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى به أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. (**الكشاف** ٣/ ١٨١).

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن، ولهذا ورد: «**إن رحمتي غلبت غضبي**».

وأما تقديم التعذيب على المغفرة في آية (المائدة: ١١٨)، وهو قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾. فللسياق.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ (التغابن: ١٤)، **قال ابن الحاجب في أماليه:** إنما قدم الأزواج لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقوع ذلك في الأزواج أقعد منه في الأولاد؛ فكان أقعد في المعنى المراد فَقدّم، ولذلك قدمت الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: ١٥)، لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق: ٦، ٧)، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ (الإسراء: ١٦)، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها، وكان تقدمها أولى.

التاسع: سبق ما يقتضي تقديمه:

وهو دلالة السياق، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: ٦)؛ لما كان إسراحها وهي خماص، وإراحتها وهي بطان، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩١)، لأن السياق في ذكر مريم في قوله: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (الأنبياء: ٩١)، ولذلك قدّم الابن في غير هذا المكان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ (المؤمنون: ٥٠).

وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ (الأنبياء: ٧٩) فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم؛ ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٨)، ويحتمل أن المراد بالحكم الحكمة، وبها فسر الزمخشري قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ (يوسف: ٢٢)؛ وأما تقديم الحكيم على العليم في سورة (الأنعام) وهو قوله تعالى في آية (٨٣): ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، فلأنه مقام تشريع الأحكام، وأما في أول سورة (يوسف) فقدّم العليم على الحكيم وهو قوله

تعالى في (آية ٦): ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ لقوله في آخرها: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: ١٠١).

ومنه تقديم المحو على الإثبات في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد: ٣٩)، فإن قبله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨). ويمكن أن يقال: ما يقع عليه المحو أقل مما يقع عليه غيره، ولا سيما على قراءة تشديد «يُثَبِّت»؛ فإنها ناصَّةٌ على الكثرة، والمراد به الاستمرار لا الاستئناف.

وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى: ٢٤)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ (الرعد: ٣٨)، قدم ﴿رُسُلًا﴾ هنا على ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ وفي غير هذه بالعكس؛ (وهو قوله تعالى في سورة (الروم: ٤٧): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ لأن السياق هنا في الرسل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ (البقرة: ٢٤٥)، قدم القبض لأن قبله ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥)، وكان هذا بسطا، فلا يناسب تلاوة البسط، فقدّم القبض لهذا، وللترغيب في الإنفاق؛ لأن الممتنع منه سببه خوف القلة، فبين أن هذا لا ينجيه، فإن القبض مقدر ولابد.

العاشر: مراعاة اشتقاق اللفظ:

كقوله: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدثر: ٣٧).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥).

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: ١٣).

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الواقعة: ٤٩، ٥٠).

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة: ٣٩، ٤٠).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ (الحجر: ٢٤).

وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل: ٦١) ففي التأخير؛ لأنه الأصل في الكلام، وإنما ذكر التقدم مع عدم إمكان التقدم، نفيًا لأطراف الكلام كله.

وكقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ (البروج: ١٣).

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٩).

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ (الروم: ٤).

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٧٠).

وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ (الحديد: ٣).

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

فإن قلت قد جاء: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ (النازعات: ٢٥). ﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ (النجم: ٢٤، ٢٥).

قلت: لمناسبة رؤوس الآي.

ومثله: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المرسلات: ٣٨)، ولأن الخطاب لهم، فقدّموا.

الحادي عشر: للحث عليه خيفة من التهاون به:

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين، في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ﴾ (النساء: ١١)، فإن وفاء الدين سابق على الوصية، لكن قدم الوصية، لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها، بخلاف الدين.

ونظيره: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَٰثًا﴾ (الشورى: ٤٩)، قدم الإناث حثًا على الإحسان إليهم.

وقال السهيلى في «النتائج» : نتائج الفكر في علل النحو؛ ذكر فيه أن الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب، ورتبه على ترتيب أبواب الجمل. قاله صاحب (**كشف الظنون**):

إنما قدّمت الوصية لوجهين:

أحدهما: أنها قُربة إلى الله تعالى، بخلاف الدين الذى تعوّذ الرسل منه، فبدئ بها للفضل.

والثانى: أن الوصية للميت، والدين لغيره، ونفسك قبل نفس غيرك، تقول: هذا لى وهذا لغيري، ولا تقول في فصيح الكلام: هذا لغيرى وهذا لى.

الثانى عشر: لتحقق ما بعده واستغنائه هو عنه فى تصوره:

كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (مريم: ٩٦).

وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ (فصلت: ٣٣).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟﴾ (الأعراف: ١٥٣).

الثالث عشر: الاهتمام عند المخاطب:

كقوله: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ (النساء: ٨٦).

ونظيره قوله عليه السلام: **«وأن تقرأ السلام على مَنْ عرفته ومَنْ لم تعرفه»**.

وقوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ (الأنفال: ٤١) لفضل الصدقة على القريب.

وكقوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢).

وقوله: ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ (النساء: ٩٢)، فقدم الكفارة على الدية، وعكس في قتل المعاهد حيث قال: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢).

قال الماوردى في «الحاوى»:

الحاوى الكبير في الفروع للقاضى أبى الحسن على بن محمد الماوردى البصرى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠، ذكره صاحب **كشف الظنون**. وقال: «وهو كتاب عظيم في عشرة مجلدات. ويقال: إنه ثلاثون مجلدًا لم يؤلف في المذهب مثله»: ووجهه أن المسلم يرى تقديم حق الله على نفسه، والكافر يرى تقديم نفسه على حق الله، قال: وقال ابن أبى هريرة: إنما خالف بينهما ولم يجعلهما على نسق واحد؛ لئلا يلحق بهما ما بينهما من قتل المؤمن في دار الحرب، في قوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (النساء: ٩٢) فضم إليه الدّية إلحاقًا بأحد الطرفين، فأزال هذا الاحتمال باختلاف اللفظين (ابن أبى هريرة هو أبو على الحسن بن الحسين الشافعي، عرف بابن أبى هريرة، شرح مختصر المزني، ومات سنة ٣٤٥، (**طبقات الشافعية** ٢: ٢٠٦).

وقال الفقيه نجم الدين بن الرِّفعة (هو أحمد بن علي، المعروف بابن الرفعة إمام الشافعية في عصره. وانظر ترجمته في **طبقات الشافعية** ٥: ١٧٧ - ١٧٨): يحتمل أن يقال: إنه لما كان الكفر يهدر الدماء وهو موجود، كان الغاية ببذل الدم عند العصمة لأجل الميثاق أتمّ، لأنه يغمض حكمه، فلذلك قدمت الدية فيه، وأخرت الكفارة، لأن حكمها قد سبق، ولما كانت عصمة المسلم ثابتة، وقياس الأصول أنه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ، لأنه لا إثم فيه، خصوصًا على المسلمين لرفع القلم عن الخطأ، كانت العناية بذكر الكفارة فيه أتم؛ لأنها التى تغمض، فقدمت.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ (الكهف: ٨٥، ٨٦) قيل: لماذا بدأ بالمغرب قبل المشرق، وكان مَكّنَ ذى القرنين

من ناحية الشرق؟ **قيل:** لقصد الاهتمام، إما لتمرّد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت، أو غير ذلك مما لم ينته إلينا علمه.

ومن هذا أن تأخر المقصود بالمدح والذم أولى من تقدمه؛ كقوله: نِعْمَ الرجلُ: زيدُ، أحسن من قولك: زيد نعم الرجل، لأنهم يقدّمون الأهم، وهم في هذا بذكر المدح والذمّ أهم.

فأما تقديمه في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠، ٤٤)، فإن الممدوح هنا بـ «نعم العبد» هو سليمان عليه السلام، وقد تقدم ذكره. وكذلك أيوب في الآية الأخرى والمخصوص بالمدح في الآيتين ضمير سليمان وأيوب، وتقديره: نعم العبد هو إنه أوّاب.

الرابع عشر: للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد:

كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، على القول بأن «الله» في موضع المفعول الثاني لـ «جعل»، و«شركاء» مفعول أول، ويكون «الجن» في كلام ثانٍ مقدر، كأنه **قيل:** فمن جعلوا شركاء؟ **قيل:** الجن؛ وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم شركاء لله، كان الجن مفعولا أولاً، وشركاء ثانيًا، فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة؛ لأنه جرى على الجن، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة، وليس كذلك، وفيه زيادة سبقت.

الخامس عشر: للتنبيه على أن السبب مرتب:

كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ (التوبة: ٣٥) قدّم الجباه ثم الجنوب؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولا عن السائل، ثم ينوء بجانبه، ثم يتولى بظهره.

السادس عشر: التنقل:

وهو أنواع: إما من الأقرب إلى الأبعد، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ (البقرة: ٢١، ٢٢) قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم، وقدم الأرض على السماء.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (آل عمران: ٥) لقصد الترقي.

وقوله: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (المؤمنون: ٨٦).

وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ (الجاثية: ٣، ٤).

وإما من الأعلى، كقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨).

وقوله:: ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ﴾ (هود: ٤٩).

وإما من الأدنى، كقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ (التوبة: ١٢١)

وقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ (الكهف: ٤٩).

وقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

فإن قلت: لم لا اكتفى بنفي الأدنى، ليُعلم منه نفيُ الأعلى بطريق الأولى؟ قلت: جوابه مما سبق من التقديم بالزمان.

وكقوله: ﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (المدثر: ٣١)، وبهذا يتبين فساد استدلال المعتزلة على تفضيل الملك على البشر بقوله: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ﴾ (النساء: ١٧٢)، فإنهم زعموا أن سياقها يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى، إذ لا يحسن أن يقال: لا يستنكف فلان عن خدمتك، ولا من دونه بل ولا من فوقه.

وجوابه: أن هؤلاء لما عبدوا المسيح، واعتقدوا فيه الولدية لما فيه من القدرة

على الخوارق والمعجزات، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص وغيره؛ ولكونه خلق من غير تراب. والتزهيد في الدنيا وغالب هذه الأمور هي للملائكة أتم، وهم فيها أقوى، فإن كانت هذه الصفات أوجبت عبادته، فهو مع هذه الصفات لا يستنكف عن عبادة الله، بل ولا من هو أكبر منه في هذه الصفات، للترقي من الأدنى إلى الأعلى في المقصود، ولم يلزم منه الشرف المطلق والفضيلة على المسيح.

السابع عشر: الترقي:

كقوله: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾ (الأعراف: ١٩٥) فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقي؛ لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث، فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول، فهو أشرف منه.

وقد قرن السمع بالعقل ولم يقرن به البصر في قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس: ٤٢، ٤٣)، وما قرن بالأشرف كان أشرف؛ وحكى ذلك عن علي بن عيسى الربعي:

قال الشيخ أبو الفتح القشيري:

فإن قيل: قد كان الأولى أن يقدم الوصف الأعلى، ثم ما دونه، حتى ينتهي إلى أضعفها؛ لأنه إذا بدأ بسلب الوصف الأعلى، ثم بسلب ما دونه، كان ذلك أبلغ في الذم؛ لأنه لا يلزم من سلب الأعلى سلب ما دونه، كما تقول: ليس زيد بسلطان، ولا وزير، ولا أمير، ولا وال، والغرض من الآية المبالغة في الذم.

قلت: ما ذكرته طريقة حسنة في علم المعاني، والمقصود من الآية طريقة أخري، وهي أنه تعالى أثبت أن الأصنام التي تعبدها الكفار أمثال الكفار، في أنها مقهورة مربوبة، ثم حطها عن درجة المثلية بنفي هذه الصفات الثابتة للكفار عنها. وقد علمت أن المماثلة بين الذوات المتنائية إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينها؛ إذ هي أسباب في ثبوت المماثلة بينها، وتقوى المماثلة بقوة أسبابها، وتضعف

بضعفها، فإذا سلب وصف ثابت لإحدى الذاتين عن الأخرى انتفى وجه من المماثلة بينهما، ثم إذا سلب وصف من الأول انتفى وجه من المماثلة أقوى من الأول، ثم لا يزال يسلب أسباب المماثلة، أقواها فأقواها؛ حتى تنتفي المماثلة كلها بهذا التدريج. وهذه الطريقة ألطف من سلب أسباب المماثلة؛ أقواها ثم أضعفها فأضعفها.

الثامن عشر: مراعاة الإفراد:

فإن المفرد سابق على الجمع، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ (الكهف: ٤٦). وقوله: ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (المؤمنون: ٥٥)، ولهذا لما عبر عن المال بالجمع أخر عن البنين في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ (آل عمران: ١٤).

ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة، في قوله ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ (غافر: ٢٨)، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

التاسع عشر: التحذير منه والتنفير عنه:

كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ (النور: ٣)، قرن الزنى بالشرك وقدّمه.

وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ (آل عمران: ١٤) قدّمهن في الذكر؛ لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد، وفي صحيح مسلم (٤ : ٢٩٨) **«ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»**. ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا، وختم بـ «الحرث» وهما طرفان متشابهان، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي، ولما ذكر بعد ذلك ما أعده للمتقين أخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي، وختم بالرضوان، وكم في القران من مثل هذا العجب إذا حضر له الذهن، وفرغ له الفهم!

ومنه تقديم نفى الولد على نفى الوالد، في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: ٣)؛ فإنه لما وقع في الأول منازعة الكفرة وتقولهم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر، اعتناء به، قبل التنزيه عن الوالد الذى لم ينازع فيه أحد من الأمم.

العشرون: التخويف منه:

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥)، ونظائره السابقة في الثامن.

الحادى والعشرون: التعجيب من شأنه:

كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

قال الزمخشرى (**الكشاف** ٣: ١٠١): قدم الجبال على الطير؛ لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان ناطق.

قال ابن النحاس (لعله محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس الحلبى شيخ الديار المصرية، المتوفى سنة ٦٩٨، وانظر **بغية الوعاة** ٦، وليس مراد الزمخشرى بـ «ناطق» ما يراد به في حد الإنسان.

الثانى والعشرون: كونه أدل على القدرة:

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ (النور: ٤٥).

والثالث والعشرون: قصد الترتيب:

كما في آية الوضوء، فإن إدخال المسح بين الغسلين، وقطع النظير عن النظير مع مراعاة ذلك في لسانهم، دليل على قصد الترتيب.

وكذلك البداءة في الصفا بالسعي. ومثله الكفارة المرتبة في الظهار والقتل.

وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا، وهى أن الكفارة المرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ،

والمُخَيّرة بدأ فيها بالأخف، كما في كفارة اليمين، ولهذا حملوا آية المحاربة في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ (المائدة: ٣٣) على الترتيب لا التخيير؛ لأنه بدأ فيها بالأغلظ طردًا للقاعدة، خلافا لمالك حيث جعلها على التخيير.

الرابع والعشرون: خفة اللفظ:

كما في قولهم: ربيعة ومضر؛ مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، لأنهم لو قدّموا مُضر لتوالى حركات كثيرة، وذلك يثقل، فإذا قدموا ربيعة ووقفوا على مضر، بسكون الراء، نقص الثقل لقلة الحركات المتوالية.

وقد يكون تقديم الإنس على الجن من ذلك؛ فالإنس أخف لمكان النون والسين المهموسة.

الخامس والعشرون: رعاية الفواصل:

كتأخير الغفور في قوله: ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج: ٦٠)، وقوله ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤).

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخير ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم نحرير، وشجاع باسل، وسبق له نظائر.

وكقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠، ٣١)، ولو قال: صلوه الجحيم لأفاد المعنى، ولكن يفوت الجمع.

وقيل: فائدته الاختصاص:

وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٤)، فقدم «إياه» على «تعبدون» لمشاكلة رؤوس الآي.

تنبيه

قد يكون في كل واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، فإما أن يُعتقد إعادة الكل، أو يرجح بعضها لكونه أهم في ذلك المحل. وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر. وإذا تعارضت الأسباب رُوعي أقواها، فإن تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أي الأمرين شاء.

النوع الثاني: مما قدم النية به التأخير

فمنه ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم المفعول على الفاعل في نحو قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨)، و ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ (الحج: ٣٧)، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ (البقرة: ١٢٤).

ونحوه مما يجب في الصناعة النحوية كذلك، ولكن ذلك لقصد الحصر.

كتقديم المفعول. كقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ (الزمر: ٦٤)، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ (الزمر: ١٤).

وكتقديم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢) ولو قال: «وظنوا أن حصونهم مانعتهم» لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم.

وكذا: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾ (مريم: ٤٦)، ولو قال: «أأنت راغب عنها» ما أفادت زيادة الإسكان على إبراهيم.

وكذلك: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (الأنبياء: ٩٧)

ولم يقل: «فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة»، وكان يستغنى عن الضمير، لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص.

ومنه ما يدل على المعني، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة: ٧٢) قال البغوي: هذا أول القصة، وإن كانت مؤخرة في التلاوة.

وقال الواحدي: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أخر في الكلام لأنه سبحانه لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ (البقرة: ٦٧) الآية علم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقر علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة: ٧٢) على جهة التوكيد، لا أنه عرّفهم الاختلاف.وتأويله: وإذا قتلتم نفسًا فادّارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة: ٦٧).

وأما الزمخشري ففي كلامه ما يدل على أن إيرادها إنما كان يتأتى على الوجه الواقع في القرآن، لمعنى حسن لطيف استخرجه وأبداه.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية: ٢٣)، وأصل الكلام: «هواه إلهه»، كما تقول: اتخذ الصنم معبودًا، لكن قدّم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقًا زيدًا، لفضل عنايتك بانطلاقه.

ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف: ١)، أي: أنزله قيمًا ولم يجعل له عوجا. قاله جماعة منهم الواحدي.

ورده فخر الدين في تفسيره بأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا﴾ (الكهف: ١، ٢)، معناه أنه كامل في ذاته، وأن «قيمًا»، معناه أنه مكتمل لغيره، وكونه كاملاً في ذاته، سابق على كونه مكتملا لغيره؛ لأن معنى كونه «قيما» أنه قائم بمصالح الغير. قال: فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح ما ذكر في الآية، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه. انتهى.

وهذا فهم عجيب من الإمام، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذي عوج متأخر عن كونه «قيما» في المعنى، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب. وقد يكون أحد المعنيين ثابتا قبل الآخر ويذكر بعده.

وأيضًا فإن هذا البحث إنما هو على تفسير القيم بالمستقيم، فأما إذا فسر بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير.

وهاهنا أمران:

أحدهما: أن الأظهر جعل هذه الجملة - أعنى قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ من جملة صلة «الذي» وتمامها، وعلى هذا لا موضع لها من الإعراب لوجهين: أحدهما أنها في حيز الصلة؛ لأنها معطوفة عليها. **والثانى:** أنها اعتراض بين الحال وعاملها. ويجوز في الجملة المذكورة أن يكون موضعها النصب؛ على أنها حال من «الكتاب»، والعامل فيها «أنزل».

قاله جماعة، وفيه نظر.

وأما قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ فيجوز في نصبه وجوه:

أحدها: وهو قول الأكثر - أنه منصوب على الحال من ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ والعامل فيه «أنزل»، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجًا»، فتكون الجملة على هذا اعتراضًا.

والثانى: أن يكون منصوبًا بفعل مقدّر، وتقديره: «ولكن جعله قيما»، فيكون مفعولا للفعل المقدّر.

والثالث: أن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾، وتكون حالاً مؤكدة.

واختار صاحبُ **الكشاف** انظر (**الكشاف** ٢: ٥٤٨)، أن يكون «قيمًا» مفعولاً لفعل مقدّر كما ذكرناه؛ لأن الجملة التى قبلها عنده معطوفة على الصلة، و«قيمًا» من تمام الصلة، وإذا كان حالا يكون فيه فصلٌ بين بعض الصلة وتمامها، فكان الأحسن جعله معمولا لمقدر.

وقال جماعة منهم ابن المنير في **تفسير البحر** بعد نقله كلام الزمخشري: وعجيب من كونه لم يجعل الفاصل المذكو حالاً أيضًا، ولا فصل، بل هما حالان متواليان من شيء واحد، والتقدير: أنزل الكتاب غير معوج.

وهذا القول - وهو جعل الجملة حالاً - قد ذكره جماعة قبل ابن المنير.

والظاهر أن الزمخشرى لم يرتض هذا القول، لأن جعل الجملة حالاً يفيده ما يفيد العطف، من نفى العوج عن الكتاب مطلقًا، غير مقيد بالإنزال وهو المقصود. فالفائدة التى هى أتمّ إنما تكون على تقدير استقلال الجملة، كيف والقول بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس - رضى الله عنهما! - نقله الطبرى وغيره.

وقال الواحدي: هو قول جميع أهل اللغة والتفسير. والزمخشرى ربما لاحظ هذا المعنى، ولم يمنع جواز غير ما قال، لكنّ ما قال هو الأحسن.

وقال غير ابن المنير في الاعتراض على الزمخشري: إن الجملة وإن كانت مستقلة فهى في حيز الصلة للعطف، فلم يقع فصل، ويؤيد ما ذكره صاحب **الكشاف** أن بعض القراء يسكت عند قوله: «عوجًا» ويفصل بينه وبين «قيما» بسكتة لطيفة، وهى رواية حفص عن عاصم، وذلك يحتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله.

قال ابن المنير: وتحتمل السكتة وجهًا آخر، وهو أن يكون ذلك لرفع توهم أن يكون «قيما» نعتًا للعوج؛ لأن النكرة تستدعى النعت غالبًا، وقد كثر في كلامهم إيلاء النكرة الجامدة نعتها، كقوله: ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، و﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، فإذا ولى النكرة الجامدة اسم مشتق نكرة ظهر فيه معنى الوصف، فربما خيف اللبس في جعل «قيما» نعتًا لـ «عوج» فوقع اللبس بهذه السكتة.

وهذا أيضا فيه نظر، لأن ذلك إنما يتوهم فيما يصلح أن يكون وصفا، ولا يصلح «قيما» أن يكون وصفا لـ «عوج» فإن الشيء لا يوصف بضده؛ لأن العوج لا يكون قيما، والأولى ما ذكرناه أولاً.

الثاني: نقل الإمام عن بعضهم أن «قيما» بدل من قوله: «عوجًا»، وهو مُشكل، لأنه لا يظهر له وجه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ (يوسف: ٢٤)، **قيل**: التقدير: لقد همّت به لولا أن رأى برهان ربه وهم بها. وهذا أحسن؛ لكن في تأويله قلق، ولا يحتاج إلى هذا التأويل إلا على قول من قال: إن الصغائر يجوز وقوعها منهم.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ (هود: ٧١) **قيل**: أصله: فبشرناها بإسحاق فضحكت. **وقيل**: ضحكت أي: حاضت بعد الكبر عند البشرى، فعادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة.

وقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف: ٧٩)، قدّم على ما بعده، وهو مؤخر عنه في المعنى؛ لأن ذلك يحصل للتوافق.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ (الأعلى: ٥)، أي: أحوى غثاء، أي: أخضر يميل إلى السواد، والموجب لتأخير ﴿أَحْوَىٰ﴾ رعاية الفواصل.

وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ (آل عمران: ٨٥)، قال ابن برهان **النحوي**: أصله: ومن يبتغ دينا غير الإسلام.

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (فاطر: ٢٧)، **قال أبو عبيدة**: **الغربيب**: الشديد السواد، ففي الكلام تقديم وتأخير. وقال صاحب «**العجائب والغرائب**».

(هو محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء؛ قال صاحب **كشف الظنون**: «أورد بعض الوجوه في الآية، وذكر كل عجيب وغريب»)، **قال ابن عيسى**: **الغربيب**: الذي لونه لون الغراب، فصار كأنه غراب قال: والغراب يكون أسود وغير أسود، وعلى هذا فلا تقديم ولا تأخير فيه.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) على قول من يقول: إن الذكر هنا القرآن.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النور: ٢٧).

وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر: ١).

وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ (الشمس: ١٤) أي: فعقروها ثم كذبوه في عقرها وفي إجابتهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ (الأنعام: ٢)، تقديره: ثم قضى أجلا وعنده أجل مسمى، أي: وقت مؤقت.

وقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ (الحج: ٣٠) أي: الأوثان من الرجس.

﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤)، أي: يرهبون ربهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٥)، أي: الذين هم حافظون لفروجهم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ (إبراهيم: ٤٧) أي: مخلف رسله وعده.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤)، أي: بل الإنسان بصير على نفسه في شهود جوارحه عليه.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الأنبياء: ٣٧)، خلق العجل من الإنسان.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (طه: ١٢٩)، أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازمًا لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ (الفرقان: ٤٥)، أي: كيف مده ربك.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨) أي لشديد لحب الخير.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ (الأنعام: ١٣٧) أي: زين للمشركين شركاؤهم قتل أولادهم؛ لأن الشياطين كانوا يحسنون لهم قتل بناتهم خشية العار.

وقوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ (النساء: ٨٣).

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (التوبة: ٥٥)، أي: فلا تعجبك أموالهم، ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ (إبراهيم: ١٨)، تقديره: مثل الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ٧٧)، أي: فأنا عدوّ آلهتهم وأصنامهم، وكل معبود يعبدونه من دون الله.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟﴾ (سبأ: ٥١)، أي: فزعوا وأخذوا، فلا فوت، لأن الفوت يكون بعد الأخذ.

وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، يعني القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ (الغاشية: ١، ٢). وذلك يوم القيامة، ثم قال: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ (الغاشية: ٣)، والنصب والعمل يكونان في الدنيا، فكأنه على التقديم والتأخير، معناه: وجوه عاملة ناصبة ويوم القيامة خاشعة، والدليل عليه قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (الغاشية: ٨).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (غافر: ١٠)، تقديره: لمقت الله إياكم في الدنيا حين دعيتم إلا الإيمان فكفرتم، ومقته إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم إذ دُعيتم إلى النار.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧)، لأن الفجر ليس له سواد، والتقدير حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل؛ أي: حتى يتبين لكم بياض الصبح من بقية سواد الليل.

وقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ (النساء: ٧٣).

وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ﴾ منظوم بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ من قوله تعالى في سورة (النساء ٧٢): ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ لأنه موضع الشماتة.

وقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (النحل: ٥١)، أي: اثنين إلهين، لأن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز، و«إلهين» لا يقع إلا على ما لا يجوز، فـ «إلهين» أخص، فكان جعله صفة أولى.

النوع الثالث: ما قدّم في آية وأخر في أخرى

فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ (الجاثية: ٣٦)، فتقديم «الحمد» في الأول جاء على الأصل، والثاني على تقدير الجواب، فكأنه قيل عند وقوع الأمر: لمن الحمد؟ ومَن أهله؟ فجاء الجواب على ذلك، نظيره: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

وقوله في سورة يس: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ (يس: ٢٠)، قدّ، المجرور على تكذيبهم، فكان مظنّة التتابع على مجرى العبارة، تلك القرية، ويبقى مخيّلا في فكره: أكانت كلّها كذلك، أم كان فيها ..... (موضع النقط كلمات غامضة غير واضحة) على خلاف ذلك، بخلاف ما في صورة القصص (سورة القصص ٢٠)، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾.

ومنها قوله في سورة النمل: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (النمل ٦٨)، وفي سورة المؤمنون: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (المؤمنون ٨٣)، فإن ما قبل الأولى ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا﴾ (النمل: ٦٧)، وما قبل الثانية ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ (المؤمنون: ٨٢)، فالجهة المنظور فيها هناك

كون أنفسهم وآبائهم ترابًا، والجهة المنظور فيها هنا كونهم ترابًا وعظامًا، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث.

ومنها قوله في سورة المؤمنين: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (المؤمنون: ٣٣)، فقدّم المجرور على الوصف؛ لأنه لو أخبر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل عليه الموصوف، وتمامه: ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (المؤمنون: ٣٣) - لا حتمل أن يكون من نعيم الدنيا. واشتبه الأمر في القائلين: أهم من قومه، أم لا؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ (المؤمنون: ٢٤)؛ فإنه جاء على الأصل.

ومنها قوله في سورة طه: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه: ٧٠). بخلاف قوله في سورة الشعراء: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الشعراء: ٤٨).

ومنها قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وقال في سورة الإسراء: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾ (الإسراء: ٣١)، قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية، لأن الخطاب في الأولى في الفقراء، بدليل قوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾، فكان رزقهم عندهم أهمّ من رزق أولادهم، فقدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء؛ بدليل ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب، دون رزقهم، لأنه حاصل، فكان أهم، فقدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.

ومنها ذكر الله في أواخر سورة الملائكة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (فاطر: ٣٨)، فقدم ذكر السماوات؛ لأن معلوماتها أكثر، فكان تقديمها أدل على صفة العالمية، ثم قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ (فاطر: ٤٠) فبدأ بذكر الأرض، لأنه في سياق تعجيز الشركاء عن الخلق والمشاركة، وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء

بكثير؛ فبدأ بالأرض مبالغة في بيان عجزهم؛ لأن من عجز عن أيسر الأمرين كان عن أعظمهما أعجز، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ (فاطر: ٤١)، فقدّم السماوات تنبيها على عظم قدرته سبحانه؛ لأن خلقها أكبر من خلق الأرض، كما صُرح به في سورة المؤمن وهو قوله تعالى في الآية ٥٧ ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧).

فإن قلت، فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبيه البين، الذي لا يشك فيه أحد؟ ومَنْ قَدَرَ على إمساك الأعظم كان على إمساك الأصغر أقدر.

قلت، أراد ذكرها مطابقة؛ لأنه على كل حال أظهر وأبين؛ فانظر أيها العاقل حكمة القرآن، وما أودعه من البيان **والتبيان**، تحمد عاقبة النظر، وتنتظر خير منتظر!

ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها؛ لقصد أن يقع البداءة والختم به، للاعتناء بشأنه، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ (الجمعة: ١١) إلى قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ (الجمعة: ١١).

وكذلك قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣٣) فإنه لولا ما أسلفناه، لقيل: ما تكتمون وتبدون؛ لأن الوصف بعلمه أمدح، كما **قيل:** ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ (الأنعام: ٣)، و ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ (الرعد: ٩) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (النحل: ١٩).

فإن قلت، فقد قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧).

قلت، لأجل تناسب رؤوس الآي.

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر، واللفظ واحد، والقصة واحدة؛ للتفنُّن في الفصاحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ (البقرة: ٥٨)، وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ (الأعراف: ١٦١).

وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ (البقرة: ٧)، وقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾ (الجاثية: ٢٣)، **قال الزمخشرى في كشافه القديم**: علم بذلك أن كلا الطريقين داخل تحت الحسن؛ وذلك لأن العطف في المختلفين، كالتنبيه في المتفقين، فلا عليك أن تقدم أيهما شئت، فإنه حسن مؤد إلى الغرض. **وقد قال سيبويه**: ولم يجعل للرجل منزلة بتقديمك إياه، بكونه أولى بها من الجائي؛ كأنك قلت: مررت بهما، يعنى في قولك مررت برجل وجاءني، إلا أن الأحسن تقديم الأفضل، فالقلب رئيس الأعضاء، والمضغة لها الشأن، ثم السمع طريق إدراك وحى الله، وكلامه الذى قامت به السماوات والأرض، وسائر العلوم التى هى الحياة كلها.

قلت: وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة[1].

ثم تابع الإمام بدر الدين الزركشى موضوع التقديم والتأخير الذى نحن بصدده في موضع لاحق هو «**البرهان**» (٤/٦٣-٦٦) بأن ساق «**قاعدة**» بشأن ذكر «الرحمة والعذاب» في القرآن الكريم فقال - رحمه الله:

من أساليب القرآن: حيثُ ذكر الرحمة والعذاب، أن يبدأ بذكر الرحمة، كقوله تعالى: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ (المائدة: ١٨)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾ (فصلت: ٤٣)، وعلى هذا جاء قولُ النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى: «**إن رحمتى سبقت غضبى**».

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيبًا وزجرًا:

---

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢٣٢/٣ - ٢٨٧، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين في ثنايا النص.

منها: قوله في سورة المائدة: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة: ٤٠)، لأنها وردت في ذكر قطاع الطريق والمحاربين والسرّاق.

وهو ما ورد في الآية ٣٣ قبلها: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾.

والآية ٣٨: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. فكان المناسب تقديم ذكر العذاب؛ ولهذا ختم آية السرقة بـ «عزيز حكيم»، وفيه الحكاية المشهورة.

هي ما نقله أبو حيان في البحر (٣: ٤٨٤) «روى أن بعض الأعراب سمع قارئًا يقرأ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ إلى آخرها، وختمها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، فقال: ما هذا كلام فصيح؛ فقيل له: ليست التلاوة كذلك؛ وإنما هي: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: بخ بخ!! عزّ فحكم فقطع، وختمها بالقدرة مبالغة في الترهيب، لأن من توعده قادر على إنفاذ الوعيد، كما قاله الفقهاء في الإكراه على الكلام ونحوه.

ومنها: قوله في سورة العنكبوت: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢١)، لأنها في سياق حكاية إنذار إبراهيم لقومه.

ومثلها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟﴾ (العنكبوت: ١٩، ٢٠) إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠)، وبعدها: ﴿بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

ومنها في آخر الأنعام، قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٦٥)، لأن سورة الأنعام كلها مناظرة للكفار ووعيد لهم، خصوصًا وفي آخرها قبل هذه الآيات بيسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، إلى قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي﴾ (الأنعام: ١٦٤)، وهو تقريع للكفار وإفساد لدينهم إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٦٥)، فكان المناسب تقديم ذكر العقاب ترهيبًا للكفار، وزجرًا لهم عن الكفر والتفرق، وزجرًا للخلائق عن الجور في الأحكام.

ونحو ذلك في أواخر الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٦٧) لأنها في سياق ذكر معصية أصحاب السبت وتعذيبه إياهم، فتقديم العذاب مناسب.

والفرق بين هذه الآية وآية الأنعام، حيث أتى هنا باللام، فقال: ﴿لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ دون هناك، أن اللام تفيد التوكيد، فأفادت هنا تأكيد سرعة العقاب؛ لأن العقاب المذكور هنا عقاب عاجل، وهو عقاب بني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ، لأنه في سياق قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف: ١٦٧)، فتأكيد السرعة أفاد بيان التعجيل، وهو مناسب، بخلاف العقاب المذكور في سورة الأنعام، فإنه آجل، بدليل قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، فاكتفى فيه بتأكيد «إن»، ولما اختصت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلاً اختصت بزيادة التأكيد لفظا بـ «إن»، وجميع ما في القرآن على هذا اللفظ يناسبه التقديم والتأخير، وعليه دليلان: **أحدهما**: تفصيلي، وهو الاستقراء، فانظر أي آية شئت تجد فيها مناسبًا لذلك، **والثاني**: إجمالي وهو أن القرآن كلام أحكم الحكماء، فيجب أن يكون على مقتضى الحكمة؛ فوجب اعتباره كذلك. وهذان دليلان عامان في مضمون هذه الفائدة وغيرها.

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ (الأنعام: ١٤٧)، ولم يقل: «ذو عقوبة شديدة»، لأنه إنما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله في الاجتراء على معصيته؛ وذلك أبلغ في التهديد، معناه: لا تغتروا بسعة رحمة الله، فإنه مع ذلك لا يرد عذابه.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ (مريم: ٤٥)، وقد سبقت[1].

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي -تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٤/ ٦٣ - ٦٦. وقد وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين في ثنايا النص.
انظر أيضا: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: تأليف الدكتور أحمد مطلوب ٢/٢٢٥ - ٢٢٩، ودلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني - تحقيق لجنة بمعرفة الناشر. دار ابن خلدون، الإسكندرية.
د. ت/ ٨٢ - ١٠٤، والإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ٢/١٧-٢١، والتحبير في علم التفسير لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت/٩٦، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية. بيروت. د. ت ٢/٤٠٢ - ٤٠٥، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف العلامة السيد/ أحمد الهاشمي - تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد/ ١٢٤، ١٢٥، والبلاغة: فنونها وأفنانها. علم المعاني - الدكتور فضل حسن عباس سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١) (٢١٨-٢٥٦)، وقاموس القرآن الكريم. المدخل - إعداد نخبة من العلماء والباحثين. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ١٩٩٢م. الكويت/ ١٣١.

(٥٢-٥٣) التأويل والتفسير

قال الجرجاني:

المؤوَّل ما ترجح من المشترك بعض وجوهه بغالب الرأى لأنك متى تأملت موضع اللفظ، وصرفت اللفظ عما يحتمله من الوجوه إلى شيء معين بنوع رأى فقد أولته إليه، قوله: (من المشترك) قيد اتفاقى وليس بلازم إذ المشكل والخفى إذا علم بالرأى كان مؤولاً أيضًا، وإنما خصّه بغالب الرأى لأنه لو ترجح بالنص كان مفسرًا لا مؤولاً (التعريفات/ ٢٤٩).

ثم قال الجرجانى فى موضع لاحق:

المفسَّر: ما ازداد وضوحًا على النص على وجه لا يبقى فيه احتمال التخصيص إن كان عامًّا، والتأويل إن كان خاصًّا، وفيه إشارة إلى أن النص يحتملهما كالظاهر نحوقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر: ٣٠، وص:٧٣)، فإن الملائكة اسم عام يحتمل التخصيص كما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ ﴾ (آل عمران: ٤٢)، والمراد جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فبقوله كلهم انقطع احتمال التخصيص لكنه يحتمل التأويل والحمل على التفوق فبقوله: (أجمعون) انقطع ذلك الاحتمال فصار مفسرًا (ص ٢٧٩).

وجاء عن «التأويل» مادة «أول» في **معجم الألفاظ** ما يلى:[1]

تأويلا: تفسيرا

تأويلا: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩)، و (الإسراء: ٣٥).

تأويل: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف: ٦).

كما يرد اللفظ في (يوسف: ٢١، ٤٤، ١٠٠، ١٠١) وفي (الكهف: ٧٨، ٨٢).

تأويله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ (آل عمران: ٧ مكرر)، (الأعراف: ٥٣ مكرر)، و (يونس: ٣٩)، (يوسف:

(١) التعريفات للسيد الشريف على بن محمد بن على السيد الزين أبى الحسن الحسينى الجرجانى الشافعى - تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة / ٢٤٩، ٢٧٩.

٣٦، ٣٧، ٤٥) (المعجم ١٠٣/١) وجاء عن «التفسير»، مادة ف س ر في معجم الألفاظ ما يلي:

تفسيرًا: شرحًا وتبيينًا.

تفسيرًا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣)[1].

كما جاء في **معجم الألفاظ** طبعة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م مادة ف س ر:

تفسيرًا: منه المادي، التفسير: كشف المغطى، ومنه المعنوى، التفسير: كشف المراد، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو تفسيرته، وهى اسم كالشهية فسّر الأمر - تضرب ونصر - فسرًا، وفسرّه: بيّنه - على المبالغة - ويقال في بيان الألفاظ وغيرها، كتفسير الرؤيا.

وورد منها المصدر فقط مرة واحدة في:

تفسيرًا: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣)[2].

والمصادر التى ذكرت التأويل والتفسير والفرق بينهما كثيرة متعددة، ونقتصر منها على ما يلى:

(أ) بصائر ذوى التمييز للفيروزآبادى (٧٨/١ - ٨٠).

عقد الإمام الفيروزابادى الفصل الثالث من بصائره للكلام عن التفسير والتأويل فقال - رحمه الله - فى شرح كلمات لابدّ من معرفتها قبل الخوض فى شرح وجوه التفسير

اعلم أن الكلمات التى يحتاج إلى معرفتها في مقدمة هذا النوع من العلم خمسة عشر كلمة وهى التأويل، والتفسير، والمعنى، والتّنزيل، والوحي، والكلام، والقول، والكتاب، والفرقان، والقرآن، والسورة، والآية، والكلمة، والمصحف، والحرف.

(١) معجم الألفاظ القرآن الكريم. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. طبعة منقحة. الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ١٠٢/١، و ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ٨٥٣/٢، ٨٥٤.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم - إعداد المرحوم الأستاذ أمين الخولى. مجمع اللغة العربية. دار الكاتب العربى. القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م، ٤/ ٢٢٥، ٢٢٦.

انظر أيضًا: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور أحمد مطلوب مطبوعات المجمع العلمى العراقى مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ٢/ ٣١٤ - ٣١٧.

أمّا التفسير فمن طريق اللغة: الإيضاح والتّبيين. يقال: فسرت الحديث أي: بيّنته وأوضحته، واختلف في اشتقاقه.

فقيل: من لفظ التفسرة، وهو نظر الطبيب في البول لكشف العلة والدواء، واستخرا ج ذلك. فكذلك المفسر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها.

وقيل: اشتقاقه من قول العرب: (هذا رأى ابن الأنباري، وانظر البرهان ١٤٧/٢) فسرت الفرس وفسرته أي: أجريته وأعديته إذا كان به حصر (هو احتباس الغائط ونحوه في البطن لا يخرج). وكأن المفسر يجرى فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج شرح الآية، ويحل عقد إشكالها.

وقيل: هو مأخوذ من مقلوبه. تقول العرب: سفرت المرأة إذا كشفت قناعها عن وجهها، وسفرت البيت إذ كنسته ويقال للسفر سفر لأنه يَسفِر ويكشف عن أخلاق الرجال. ويقال للسُّفرة سُفْرة لأنها تُسفَر فيظهر ما فيها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤) أي: أضاء. فعلى هذا يكون أصل التفسير التسفير على قياس صعق وصقع، وجذب وجبذ، وما أطيبه وأيطبه، ونظائره؛ ونقلوه من الثلاثي إلى باب التفعيل للمبالغة. وكأنّ المفسّر يتتبع سورة سورة، وآية آية، وكلمة كلمة، لاستخراج المعنى. وحقيقته كشف المتغلق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس عن الفهم به.

وأمّا التأويل فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقا لما قبله، ملائمًا لما بعده. واشتقاقه من الأول وهو الرُّجوع. فيكون التأويل بيان الشيء الذى يرجع إليه معنى الآية ومقصودها.

وقيل: التأويل إبداء عاقبة الشيء. واشتقاقه من المآل بمعنى المرجع والعاقبة. فتأويل الآية ما تؤول إليه من معنى وعاقبة. **وقيل:** اشتقاقه من لفظ الأوّل. وهو صرف الكلام إلى أوّله. وهذان القولان متقاربان. ولهذا **قيل:** أول غرض الحكيم آخر فعله.

وقيل: اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة. تقول العرب: (أُلْنا وإيل علينا) أي: سُسْنا وسيس علينا، أي: ساسنا غيرنا. وعلى هذا يكون معنى التأويل أن يسلّط المؤوّل ذهنه وفكره على تتبّع سِرّ الكلام إلى أن يظهر مقصودُ الكلام، ويتّضح مراد المتكلم.

والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية، والخوض في بيان موضع الكلمة، من حيث اللغة. والتأويل هو التفحُّص عن أسرار الآيات، والكلمات، وتعيين أحد احتمالات الآية. وهذا إنّما يكون في الآيات المحتملة لوجوه مختلفة، نحو ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) وكقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ (فاطر: ٣٢) وكقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (الفجر: ٣)، وكقوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (البروج: ٣)، فإن هذه الآيات ونظائرها تحتمل معاني مختلفة، فإذا تعيّن عند المؤوّل أحدها، وترجّح، فيقال حينئذ: إنه أول الآية[1].

(ب) البرهان في علوم القرآن (١٤٦/٢ - ١٥٢، ٣/ ٣٦-٣٨).

أدرجه الإمام بدر الدين الزركشي تحت النوع الحادي والأربعين من علوم القرآن، بعنوان «معرفة تفسيره وتأويله» (معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء).

قال - رحمه الله:

وهو يتوقف على معرفة تفسيره وتأويله ومعناه:

قال ابن فارس: معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء، ترجع إلى ثلاثة: المعنى، والتفسير، والتأويل؛ وهي وإن اختلفت فالمقاصد بها متقاربة.

فأما المعنى فهو القصد والمراد؛ يقال: عَنيت بهذا الكلام كذا، أي: قصدت وعمدت. وهو مشتق من الإظهار، يقال: عنت القربة، إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، ومنه عنوان الكتاب.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي -تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٧٨/١ - ٨٠.

وقيل: مشتق من قولهم: عنت الأرض بنبات حسن، إذا أنبتت نباتا حسنا.

قلت: وحيث قال المفسرون: «قال أصحاب المعاني» فمرادهم مصنفو الكتب في معاني القرآن، كالزّجاج ومن قبله وغيرهم، **وفي بعض كلام الواحدي:** أكبر أهل المعاني الفراء والزجاج وابن الأنباري، قالوا كذا وكذا، **ومعاني القرآن** للزجاج لم يصنف مثله. وحيث أطلق المتأخرون أهل المعاني، فمرادهم بهم مصنفو العلم المشهور.

وأما التفسير في اللغة، فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة؛ وهى القليل من الماء الذى ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر، يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها، والسبب الذى أنزلت فيه، وكأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر «فعل» جاء أيضًا على «تفعلة»، نحو: جرب تجربة، وكرم تكرمة.

وقال ابن الأنباري: قول العرب: فسرت الدابة وفسّرتها، إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها؛ وهو يؤول إلى الكشف أيضًا.

فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به، ويقال: فسّرت الشيء أفسره تفسيرًا، وفسرته أفسره فسرًا، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال، وبمصدر الثانى منها سمى أبو الفتح بن جنى كتبه الشارحة «الفَسْر».

وقال آخرون: هو مقلوب من «سفر» ومعناه أيضا للكشف؛ يقال: سفرت المرأة سفورًا، إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهى سافرة، وأسفر الصبح أضاء، وسافر فلان؛ وإنما بنوه على التفعيل؛ لأنه للتكثير، كقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٩) ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ (يوسف: ٢٣)، فكأنه يتبع سورة بعد سورة، وآية بعد أخرى.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣) أي: تفصيلا.

وقال الراغب: الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسرة، وسمى

بها قارورة الماء، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، **فقيل:** سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح.

وفي الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومَدَنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها، وخاصها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها.

وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها؛ وهذا الذي مُنع فيه القول بالرأي.

وأما التأويل فأصله في اللغة من الأول، ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي: إلام تؤول العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ (الأعراف: ٥٣) أي: تكشف عاقبته، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي: صار إليه، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٨٢).

وأصله من المآل، وهو العاقبة والمصير، وقد أولته فآل، أي: صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

وإنما بنوه على التفعيل لما تقدم: ذكره في التفسير.

وقيل: أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤول للكلام يسوّى الكلام، ويضع المعنى فيه موضعه.

الفرق بين التفسير والتأويل:

ثم قيل: التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال: والصحيح تغايرهما. واختلفوا، **فقيل:** التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر.

قال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل في غيرها. والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ.

واعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل.

والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، كالبحيرة والسائبة والوصيلة، أو في وجيز مبين بشرح، كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ (التوبة: ٣٧)، وقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩)، وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عامًا، ومرة خاصًا، نحو «الكفر» يستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود البارئ خاصة، و«الإيمان» المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق تارة. وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة.

وقيل: التأويل كشف ما انغلق من المعنى، **ولهذا قال البجلي:** التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية؛ وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى.

قال أبو نصر القُشيري: ويعتبر في التفسير الاتّباع والسماع؛ وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل، وما لا يحتمل إلا معنى واحدا حُمل عليه. وما احتمل معنيين أو أكثر؛ فإن وُضع لأشياء متماثلة كالسواد، حمل على الجنس عند الإطلاق، وإن وضع لمعان مختلفة، فإن ظهر أحد المعنيين حمل على الظاهر، إلا أن يقوم الدليل، وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازا، أو في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجاز كلفظة «المس» فإن تنافى الجمع فمجمل يتوقف على البيان من غيره. وإن تنافيا، فقد قال قوم: يحمل على المعنيين. والوجه عندنا التوقف.

وقال أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

قالوا: وهذا غير محظور على العلماء بالتفسير، وقد رخص فيه أهل العلم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، **قيل:** هو الرجل يحمل في الحرب على مائة رجل، **وقيل:** هو الذى يقنط من رحمة الله. **وقيل:** الذى يُمسك عن النفقة. **وقيل:** الذى ينفق الخبيث من ماله. **وقيل:** الذى يتصدق بماله كله، ثم يتكفف الناس؛ ولكل منه مخرج ومعنى.

ومثل قوله تعالى للمندوبين إلى الغزو، عند قيام النفير: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة: ٤١) **قيل:** شيوخا وشبابًا. **وقيل:** أغنياء وفقراء، وقيل: عزابا ومتأهلين، **وقيل:** نشاطا وغير نشاط. **وقيل:** مرضى وأصحاء، وكلها سائغ جائز؛ والآية محمولة عليها، لأن الشباب والعزاب والنشاط والأصحاء خفاف، وضدّهم ثقال.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٧)، **قيل:** الزكاة المفروضة، **وقيل:** العارية، أو الماء، أو النار، أو الكلأ، أو الرفد، أو المغرفة؛ وكلها صحيح؛ لأن مانع الكل آثم.

وكقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج: ١١)، فسره أبو عبيد، أى: لا يدوم، **وقال ثعلب:** أى على شك. وكلاهما قريب؛ لأن المراد أنه غير ثابت على دينه، ولا تستقيم البصيرة فيه.

وقيل: في القرآن ثلاث آيات، في كل منها مائة قول، قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء: ٨)، و ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

فهذا وأمثاله ليس محظورًا على العلماء استخراجه بل معرفته واجبة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (آل عمران: ٧).

ولولا أن له تأويلا سائغًا في اللغة لم يبينه سبحانه. والوقف على قوله:

﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ (آل عمران: ٧). **قال القاضي أبو المعالي:** إنه قول الجمهور، وهو مذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وما نقله بعض الناس عنهم بخلاف ذلك فغلط.

فأما التأويل المخالف للآية والشرع، فمحظورٌ لأنه تأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض لقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩) أنهما علي وفاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة: ٢٠٥) إنه معاوية، وغير ذلك.

قال الإمام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري - رحمه الله: وقد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه، لا يحسنون القرآن تلاوة، ولا يعرفون معنى السورة أو الآية، ما عندهم إلا التشنيع عند العوام، والتكثر عند الطغام، لنيل ما عندهم من الحطام، أعفوا أنفسهم من الكد والطلب، وقلوبهم من الفكر والتعب؛ لاجتماع الجهال عليهم، وازدحام ذوي الأغفال لديهم، لا يكفون الناس من السؤال، ولا يأنفون عن مجالسة الجهال، مفتضحون عند السبر والذواق، زائغون عن العلماء عند التلاق، يصادرون الناس مصادرة السلطان، ويختطفون ما عندهم اختطاف السّرْحان، يدرسون بالليل صفحًا ويحكونه بالنهار شرحًا، إذا سئلوا غضبوا، وإذا نفروا هربوا، القِحَة رأس مالهم، والخُرْق والطيش خير خصالهم، يتحلون بما ليس فيهم، ويتنافسون فيما يرذلهم، الصيانة عنهم بمعزل، وهم من الخَنَى والجهل في جوف منزل، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**» وقد قيل:

مَن تحلّى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحانِ
وجَرَى في السّباق جرية سِكّيـ ... ـت نَفَتْهُ الجيادُ عند الرهان

(السّكيت: آخر خيل الحلبة).

قال: حكى عن بعضهم أنه سئل عن «الحاقة» فقال: الحاقة: جماعة من الناس إذا صاروا في المجلس قالوا: كنا في الحاقة. وقال آخر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ (هود: ٤٤) قال: أمر الأرض بإخراج الماء، والسماء بصب الماء، وكأنه على القلب، وعن بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ (التكوير: ٨) قال: إن الله ليسألكم عن الموعودات فيما بينكم في الحياة الدنيا.

وقال آخر في قوله: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦) **قال:** إنهم تعبوا في الدنيا، فإذا دخلوا الجنة تنعموا.

قال أبو القاسم: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن محدم الوراق يقول: سمعت يحيى بن بن معاذ الرازي يقول: أفواه الرجال حوانيتها، وأسنانها صنائعها، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار، والتمار من الزمار، والله المستعان على سوء الزمان، وقلة الأعوان[1].

وقد عاود الإمام الزركشي الكلام عن «التفسير» وأدرجه تحت القسم السادس عشر فقال - رحمه الله:

وتفعله العرب في مواضع التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، **قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى:** قرأت في تفسير الجنيدي أن قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾، تفسير للقيوم.

وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩ - ٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩) فإن هذا تفسير للوعد.

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢/١٤٦-١٥٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ (النور: ٥٥) تفسير لموعد وتبيين له، لا مفعول ثان؛ فلم يتعد الفعل منها إلا إلى واحد.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ (آل عمران: ٥٩) في «خلقه» تفسير للمثل.

وقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: ٤٩)، في «يذبحون» وما بعده تفسير للسوم، وهو في القرآن كثير.

قال أبو الفتح بن جني: ومتى كانت الجملة تفسيرًا لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لأن تفسير الشيء لاحق به، ومتمم له، وجار مجرى بعض أجزائه؛ كالصلة من الموصول، والصفة من الموصوف.

وقد يجيء لبيان العلة والسبب، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (يس: ٧٦)؛ وليس هذا من قولهم، وإلا لما حزن الرسول؛ وإنما يجيء به لبيان السبب في أن لا يحزنه قولهم.

وكذلك قوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (يونس: ٦٥).

ولو جاءت الآيتان على حد ما جاء قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩)، لكانت «أن» مفتوحة، لكنها جاءت على حد قوله... (كذا ورد الكلام ناقصًا).

فائدة

قيل: الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب. **وقيل:** يكون لها موضع إذا كان للمفسَّر موضع؛ ويقرب منها ذكره تفصيلاً، كما سبق في قوله: ﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (الأعراف: ١٤٢) ومثل: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٦) [1].

(١) المرجع السابق ٣/ ٣٦-٣٨.

(جـ) ١، (جـ) ٢.

(جـ) ١- **الإتقان في علوم القرآن** لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/٢٢١ - ٢٢٤.

(جـ) ٢- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**. تأليف أحمد ابن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ٢/ ٥٣٠ - ٥٣٥.

(جـ) ١- أدرجه الحافظ السيوطي في «**الإتقان**» (٢/٢٢١ - ٢٢٤) تحت عنوان «في معرفة تفسيره وتأويله، وبيان شرفه والحاجة إليه».

(جـ) ٢- واختصره طاش كبرى زاده عن كتابه «**مفتاح السعادة ومصباح السيادة**» (٢/٥٣٠ - ٥٣٥)، وقد قسمه إلى ثلاثة مطالب.

ونسوق هنا هذا المختصر، وبالله التوفيق:

قال طاش كبرى زاده - رحمه الله:

علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.

وفيه مطالب:

المطلب الأول

في التفسير والتأويل

واعلم أن التفسير تفعيل من الفسر، وهو البيان والكشف. ويقال: هو مقلوب من السفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاء. **وقيل**: مأخوذ من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني، **وقيل**: من الإيالة، وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه.

واختلف في التفسير والتأويل. فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى. وقد أنكر ذلك قوم، حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون، لو

سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه؛ والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله.

وقال أبو طالب التغلبي (في الإتقان ٢/٢٢١) «الثعلبي» بالثاء المثلثة والعين المهملة): التفسير بيان وضع اللفظ، أما حقيقة أو مجازًا، كتفسير الصراط بالطريق، والغيث بالمطر؛ والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول، وهوالرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ (الفجر: ١٤)، تفسيره أنه من الرصد، يقال: رصدته رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه، على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

قال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل، وغيره، وبحسب المعنى الظاهر، وغيره؛ والتأويل أكثره في الجمل. والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، نحو: البحيرة، والسائبة، والوصيلة؛ أو في وجيز تبين بشرحه، نحو ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة: ٤٣)؛ وأما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾

(التوبة: ٣٧)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩).

وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عامًا ومرة خاصًا، نحو: الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود البارى خاصة؛ والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق أخرى. وأما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو: لفظ وجد، المستعمل في الجدة، والوجد، والوجود. وقال غيره: يتعلق التفسير بالرواية، والتأويل بالدراية.

وقال أبو نصر القشيري: والتفسير مقصور على الاتباع والسماع، والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل. **وقال قوم:** ما وقع مبينًا في كتاب الله، ومعينًا في صحيح السنة، سمى تفسيرًا، لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه.

والتأويل: ما استنبطه العلماء العالمون بمعنى الخطاب، الماهرون في آلات العلوم.

وقال قوم منهم البغوى والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح، علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها وناسخها وخاصها ومطلقها ومجملها وحلالها ووعدها وأمرها، ومقابلات هذه وغيرها وأمثالها.

قال أبو حيان: علم التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هو علم القراءة.

وقولنا: ومدلولاتها، أى: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية يشتمل علم التصريف والبيان والبديع.

وقولنا: ومعانيها التى يحمل عليها حالة التركيب يشتمل ما دلالته بالحقيقة، وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئًا، ويصد عن الحمل

عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاز؛ وقولنا: وتتمات لذلك هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

المطلب الثاني

في وجه الحاجة إلى علم التفسير

اعلم أن كل من وضع من البشر كتابًا، وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشرح لأحد أمور ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوة علمه ربما يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فيشرح بعبارات واضحة، ومن هاهنا شرح المصنفين كلامهم، لأن شرحهم أدل على مرادهم من غيرهم.

وثانيها: إغفاله بعض تتمات المسألة، أو شروط لها اعتمادًا على وضوحها أو لأنها من علم آخر، فيحتاج الشارح إلى بيانه.

وثالثها: احتمال اللفظ لمعان كالمجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذفه، فيحتاج الشارح إلى التنبيه على ذلك.

إذا تقرر هذا، **فنقول:** إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه دون بواطنه، لأنها لم تظهر لهم أيضًا بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر، كسؤالهم لما نزل: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)، أينا لم يظلم نفسه، ففسره النبي صلى الله

عليه وسلم بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)؛ وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير، فقال: «ذلك العرض»، وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود، وغير ذلك، مما سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجًا إلى التفسير.

ومعلوم أن بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

قال الخولي (في «الإتقان» ٢/ ٢٢٣ «الخويبي»):

علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه: أظهرها أنه لا يمكن سماع المراد من متكلمه، أو ممن سمع منه، فتعين طريق العلم في السماع من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في آيات قلائل، فطريق العلم بالمراد الاستنباط بأمارات ودلائل، وإنما لم يأمر الله تعالى نبيه بالتنصيص على المراد في الكل، ليتفكر عباده في كتابه.

المطلب الثالث

في شرف علم التفسير

ولا يخفى شرفه على من نظر في الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ (البقرة: ٢٦٩). عن ابن عباس في قوله تعالى: «يؤتي الحكمة»، قال: المعرفة بالقرآن. وعنه أيضًا موقوفًا: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البر والفاجر. وعن أبي الدرداء، قال: قراءة القرآن والفكرة فيه. وكذا عن مجاهد وأبي العالية وقتادة.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣) عن عمرو بن مرة، قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأنس سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ﴾

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾. ولا حاجة إلى التطويل والإكثار فيما ورد فيه من الكتاب والسنة والآثار، لأن ذلك لا يخفى على أولى الأبصار.

ثم اعلم أن العلماء أجمعوا على أن التفسير من فروض الكفايات، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية. **قال بعضهم**: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان معرفة تفسير القرآن، لأن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها، كالصياغة بالنسبة إلى الدباغة، إذ الذهب والفضة أشرف من جلد الميتة؛ وإما بشرف غرضها، كالطب بالنسبة إلى الكناسية لأن غرض الطب إفادة صحة الأبدان، وغرض الثاني تنظيف المستراح؛ وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه بالنسبة إلى الطب، فإن الفقه يحتاج إليه في الدين وفي الدنيا، في كل الناس وفي كل الأوقات، والطب يحتاج إليه في الدنيا وفي بعض الناس وفي بعض الأوقات.

إذا عرفت ذلك، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث، لأن موضوعه كلام الله، الذى هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه؛ وأيضًا الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لا تفنى؛ وأيضًا كل كمال دينى أو دنيوي، عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف اللدنية، وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى[1].

(د) **مناهل العرفان في علوم القرآن** بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى (٣-٦):

خصص المؤلف المبحث الثانى عشر «في التفسير والمفسرين وفيما يتعلق بهما» فبدأ بالكلام عن «التفسير» ثم انتقل إلى الكلام عن «التأويل» فقال - رحمه الله:

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده دار الكتب العلمية - بيروت د. ت، ٢/٥٢٠-٥٢٥.
انظر أيضًا. الإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، ٢/٢٢١ - ٢٢٤.

١- التفسير:

التفسير في اللغة: **الإيضاح** والتبيين ومنه قوله تعالى في سورة (الفرقان: ٣٣):

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

(والمراد بكلمة علم) المعارف التصورية. قال عبد الحكيم في حاشيته على «**المطول**»: إن علم التفسير من قبيل التصورات، لأن المقصود منه تصور معاني ألفاظه، وذلك من قبيل التعاريف، لكن أكثرها بل كلها من قبيل التعاريف اللفظية. وذهب السيد إلى أن التفسير من قبيل التصديقات، لأنه يتضمن حكمًا على الألفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني التي تذكر بجانبها في التفسير.

(وخرج بقولنا: يبحث فيه عن أحوال القرآن) العلوم الباحثة عن أحوال غيره.

(وخرج بقولنا من حيث دلالته على مراد الله تعالى) العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن من جهة غير جهة دلالته، كعلم القراءات، فإنه يبحث عن أحوال القرآن من حيث ضبط ألفاظه وكيفية أدائها. ومثل علم الرسم العثماني فإنه يبحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث كيفية كتابة ألفاظه.

وخرج بهذه الحيثية أيضًا المعارف التي تبحث عن أحوال القرآن من حيث إنه مخلوق أو غير مخلوق، فإنها من علم الكلام. وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها. فإنها من علم الفقه.

(وقولنا: بقدر الطاقة البشرية) لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر.

وعرفوا علم التفسر أيضًا بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام.

(والمراد بكلمة نزوله) ما يشتمل سبب النزول ومكانه وزمانه.

(والمراد بكلمة سنده) ما يشمل كونه متواتر أو آحادًا أو شاذًا.

(والمراد بكملة أدائه) ما يشمل كل طرق الأداء كالمدّ والإدغام.

(والمراد بكلمة ألفاظه) ما يتعلق باللفظ من ناحية كونه حقيقة أو مجازًا أو مشتركًا أومرادفًا أو صحيحًا أو معتلاً أو معربًا أو مبنيًا.

(والمراد بمعانيه المتعلقة بألفاظه) ما يشبه الفصل والوصل

(والمراد بمعانيه المتعلقة بأحكامه) ما هو من قبيل العموم والخصوص، والإحكام والنسخ.

وهذا التعريف كما نرى يشمل كثيرًا من جزئيات ما يندرج في قواعد علم القراءات وعلم الأصول، وعلم قواعد اللغة من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع.

وعرفوا التفسير تعريفًا ثالثًا بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التى تحمل عليها حال التركيب، وغير ذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل.

وهذا تعريف وسط بين التعريفين، ومن السهل رجوعه إلى التعريف الأول، لأن ما ذكر هنا بالتفضيل، يعتبر بيانًا لمراد الله من كلامه بقدر الطاقة البشرية في شيء من التفصيل.

التأويل:

والتأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية. قال صاحب **القاموس**:

«أَوَّلَ الكلامَ تَأويلًا وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وقدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ» ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧).وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل، ومعناه في جميعها البيان والكشف **والإيضاح**.

أما التأويل في اصطلاح المفسرين فإنه يختلف معناه، فبعضهم يرى أنه مرادف للتفسير وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي. ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين. ومنه قول مجاهد: «إن العلماء يعلمون تأويله (يعنى القرآن) وقول ابن جرير في تفسيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا... واختلف أهل التأويل في هذه الآية...».

(وإنما قلنا في اصطلاح المفسرين ليخرج اصطلاح المتكلمين ومن جاراهم، فإنهم يريدون من التأويل ما ذهب إليه الخلف من صرف نصوص ما تشابه من الكتاب والسنة عن ظاهره إلى معان تتفق وتنزيه الله تعالى عن المشابهة والمماثلة. بخلاف ما ذهب إليه السلف من التفويض والإمساك عن تعيين معنى خاص).

وبعضهم يرى أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط، ويجعل التفسير أعم مطلقًا. وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل. ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقًا، أعم من أن يكون بالتبادر أو بغير التبادر.

وبعضهم يرى أن التفسير مباين للتأويل. فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع. وهذا هو قول الماتريدي. أو التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية، والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية. أو التفسير هو بيان المعانى التى تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعانى التى تستفاد بطريق الإشارة وقد اشتهر هذا عند المتأخرين كما نبه إليه العلامة الألوسى إذ قال بعد استعراضه للآراء في هذا الموضوع ما نصه: «كل ما قيل بما ذكرنا وما لم نذكر مخالف للعرف اليوم. إذ قد تعورف عند المؤلفين من غير نكير أن التأويل معانٍ قدسية، ومعارف ربانية، تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك» ا هـ بتصرف، فأنت ترى أنه جعل التأويل خاصًا بما كان مأخوذًا بالإشارة، والتفسير بما كان مفهومًا من العبارة.

التفسير تفسيران:

لكن التفسير على نوعين بالإجمال (**أحدهما**): تفسير جاف لا يتجاوز حلَّ الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية وإشارات فنية. وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير وبيان مراد الله من هداياته.

(**النوع الثانى**): تفسير يجاوز هذه الحدود، ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن،

على وجه يجتذب الأرواح، ويفتح القلوب، ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله. وهذا هو الخليق باسم التفسير. وفيه يُساق الحديث إذا تكلمنا عن فضله والحاجة إليه[1].

(هـ) قاموس القرآن الكريم، المدخل (ص ١٧٠، ١٧١، ٢١٤، ٢١٥).

بدأ القاموس بالكلام عن «التفسير والتأويل» في المبحث الثاني (ص ١٧٠، ١٧١) وجاء فيه ما يلي:

المبحث الثاني

التفسير والتأويل

١- التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير لغة: البيان، **والإيضاح**، وكشف المُغَطّى، ثم استخدم مجازًا في معنى كشف المراد من اللفظ المشكل.

أما في الاصطلاح: فقد عرف بتعريفات كثيرة، أشهرها.

١- هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيّها ومَدنيّها، ومُحكَمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومُطلقها ومقيّدها، ومُجَملها ومفصّلها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.

٢- علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مُراد الله تعالى بقدْر الطاقة البشرية.

٣- علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن (علم القراءات)، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية (علم الصرف)، والتركيبة (علوم النحو والبيان والبديع)، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب (الدلالات المجازية)، وتتمّات ذلك (النسخ، سبب النزول ونحوهما).

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني. طبع بمطبعة عيسى الحلبي وشركاه. د. ت ٢/٣-٦.

٢- التأويل لغة واصطلاحا:

يعود «الأوّل» في اللغة إلى معنى الرجوع والانتهاء والعاقبة. ومنه سُمّى ذكر الوُعول «أيّلا» قالوا: لأنّه يؤول إلى الجبل ليتحصّن فيه. ومنه قيل كذلك: آل الشيءُ يؤول: رجع، وآل الرجلُ رعيّته يؤولها: إذا أحسن سياستها. ومن المعنى الحقيقى تولّد المعنى المجازى فقيل «أوّل الكلامَ وتأوّله: إذا دبّره وقدّره وفسّره. وقيل: أوّل الرؤيا يُؤوّلها تأويلاً: إذا فسّرها وذكر معناها. وانتقل التأويل - بعد هذا - من المعنى المصدرى إلى المعنى الاسميّ، فصار يُطلق على ما فُسّر به الكلام. أما التأويلُ في الاصطلاح: فقد اشتهر في معنيين هما:

١- تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهرَه أو خالفه. وعلى هذا المعنى حمل كثيرون قولَه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧). ووقفوا عند قوله تعالى: «في العلم» لأن الراسخين يعلمون تفسير المتشابه، كما وردت بذلك الآثار عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

٢- صرفُ النظر عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بدليل يُصيّره راجحًا. وهذا هو التأويل الذى يتكلّمون عنه في أصول الفقه ومسائل الخلاف. فإذا قال أحدُهم: هذا الحديث، أو هذا النصّ مُؤوّل، قال الآخر: هذا نوعُ تأويل، والتأويل يحتاج إلى دليل. ولهذا كان على المتأوّل وظيفتان:

(أ) بيان احتمال اللفظ للمعنى الذى ادّعاه.

(ب) بيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر.

٣- الفرق بين التفسير والتأويل:

التأويل على - المعنى الأول - مرادفٌ للتفسير. وقد كان الطبرى في تفسيره يقول: «القولُ في تأويل قوله: كذا وكذا»، ويقول: «واختلف أهلُ التأويل في هذه الآية...» ومراده التفسير.

أمّا على المعنى الثاني، فإن التأويلَ يكون أخصّ من التفسير على رأي، ويكون غيرَ التفسير على رأى آخر:

وبعضهم ذكر فُروقًا أخرى بين التفسير والتأويل:

١- فذكر أبو منصور الماتُريديّ أن التفسير: هو القَطع بأن المرادَ من اللفظ كذا. والتأويل: ترجيح أحد المُحتَمِلات دون قطع.

٢- التفسير يتعلّق بالرواية، والتأويل يتعلّق بالدراية.

٣- أكثر ما يُستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتعبير الرؤيا.

٤- أكثر ما يُستعمل التفسير في مفردات الألفاظ، والتأويل في الجمل.

بل إن بعضهم عكَس العلاقةَ بين التفسير والتأويل، فذهب إلى أن التأويلَ أعمُّ من التفسير لجريانه في الكلام وغيره. يقال: تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا، أي ما يؤولان إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧)، هذا في الكلام. وقال في الأمر ونحوه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩)، وذلك بخلاف التفسير الذي يخصّ الكلامَ ومدلُوله.

ولكنْ لو وضعنا في الاعتبار المعنى اللغويَّ لكلٍّ، واستحضرنا في الذهن أن التفسير يعود إلى معنى الكشف والبيان والتفصيل، والتأويلَ يعود إلى معنى الردّ والصَّرف - لقلنا إن كلاًّ من التفسير والتأويل يكمل أحدُهما الآخر، والاختلاف بينهما اختلاف تنوّع لا اختلاف تضادّ.

(قاموس القرآن الكريم: المدخل/ ١٧٠، ١٧١)

ثم استأنف القاموس في موضع لاحق (ص ٢١٤، ٢١٥) الكلام عن **«التأويل»** تحت رقم (٥) من المبحث الثاني الذي عنوانه «أقسام اللفظ من حيث استعماله في معناه» وجاء عنه ما يلي:

٥- التأويل:

سبق أن تناولنا معنى التأويل إجمالاً حيث الحديث عن المفسر، ولكن الأمر يحتاج هنا إلى شيء من التفصيل؛ لأن التأويل من محتملات «النص»، و«الظاهر». ونعيد هنا نقل المعنى الثاني للتأويل في الاصطلاح وهو: «صرف اللفظ عن المعنى

الراجح إلى المعنى المرجوح بدليل يصيره راجحًا» لنضيف أن هذا هو تعريف التأويل الصحيح. أما إذا كان صرف اللفظ بدون دليل، أو بدليل مرجوح أو مساوٍ فهو تأويل فاسد.

ومن أمثلة التأويل الفاسد: صرف اللفظ عن حقيقته إلى المجاز بدون قرينة. وكذا تخصيص العام، أو تقييد المطلق بدون دليل، لأنه حمل على المجاز، فيحتاج إلى دليل.

شروط التأويل:

يشترط في التأويل لكي يكون صحيحًا، أن يوافق وضع اللغة، أو عرف الاستعمال العام أو الخاص، أو عادة صاحب الشرع. وكل تأويل خرج عن هذا فليس تأويلاً صحيحًا. فإذا أريد «بالقرء» مثلاً غير معنى «الحيض»، و«الطهر» فهذا تأويل فاسد، لأن اللفظ لا يحتمله.

كما يشترط فيه أن يقوم عليه دليل شرعي صحيح، من نص أو إجماع أو قياس، يبين أن المراد من اللفظ المعنى الذى حمل عليه، وليس المعنى الظاهر. فيصير المعنى المرجوح راجحًا، بواسطة هذا الدليل.

ويشترط ألا يعارض التأويل نصًا صريحًا، وأن يكون اللفظ محتملاً للتأويل، بأن يكون من «النص» أو «الظاهر» دون «المفسر»، أو «المحكم» لأن الأخيرين لا يحتملان التأويل، وأى تأويل لهما يعتبر تأويلاً فاسدًا. وأن يكون الناظر أهلاً للتأويل، كالمجتهد.

أنواع التأويل:

ذكر العلماء للتأويل الصحيح أقسامًا ثلاثة هي: قريب، وبعيد، ومتوسط. وهذا التقسيم مبني على مدى احتياج التأويل إلى الدليل. فالمعنى القريب يكفى في إثباته أدنى دليل قريب، والمعنى البعيد عن الفهم لا يكفى فيه إلا دليل قوى يقرّبه ويجعل تأويله مقبولاً سائغًا. وأما الاحتمال المتوسط، فيكفى فيه دليل عادى أو متوسط في القوة.

مثال التأويل القريب: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ (المائدة: ٦). فقوله تعالى: «قمتم إلى» يؤول إلى: «عزمتم على» لقيام الدليل على ذلك، وهو أن الشارع لا يمكن أن يطلب الوضوء ويوجبه بعد الشروع في الصلاة؛ فإن الوضوء شرط يتقدم الصلاة، ولا تصح إلا به.

ومثال التأويل البعيد: قوله - صلى الله عليه وسلم - لفيروز الديلمي، وقد أسلم وهو متزوج أختين: «أمسك أيتهما شئت وفارق الأخرى». فقد أوّله الحنفية إلى معنى: ابتدئ زواج إحداهما، إن كان الزواج بالأختين في عقد واحد، وإن كان الزواج بهما في عقدين، استبق الأولى منهما. **قال الحنفية**: والدليل على هذا التأويل هو القياس على المسلم إذا تزوج أختين في عقد واحد أو في عقدين متتاليين. ولا شك أن هذا تأويل بعيد، فإن فيروز حديث عهد بالإسلام، ويبعد أن يكون ملمًّا بهذه الأحكام.

ومثال التأويل المتوسط: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ (المائدة: ٣). فقد حمل الجمهور لفظ «الدم» المطلق في الآية على الدم المسفوح، بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ (الأنعام: ١٤٥). فحملوا المطلق في الآية الأولى على المقيد في الآية الثانية، وهذا صرف للفظ، وتأويل له من الإطلاق إلى التقييد، وهو تأويل متوسط، فاكتفى فيه بدليل متوسط[1].

(قاموس القرآن الكريم. المدخل/ ٢١٤، ٢١٥).

(٥٤) التكرار

قال الجرجاني: التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[2].

---

(١) قاموس القرآن الكريم - المدخل - إعداد نخبة من العلماء والباحثين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. الكويت/ ١٧٠، ١٧١، ٢١٤، ٢١٥.

(٢) التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي - تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة/ ١٤.

وقد أورد المعجم التكرار مرتين: مرة تحت عنوان «الإطناب بالتكرير»، وهو الإطناب بالتكرار (١/٢٣٦ - ٢٣٨) ومرة أخرى تحت عنوان «التكرير» (٢/٣٢٨ - ٣٢٩) ونسوقه فيما يلي:

الإطناب بالتكرير:

وهو الإطناب بالتكرار؛ وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية؛ وقد تعرّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين فقال الفراء: «والكلمة قد تكررها العرب على التغليط والتخويف». وسماه أبو عبيدة «مجاز المكرر». وأولى الجاحظ التكرار عناية كبيرة ونقل بعض الأقوال فيه؛ ومن طريف ما ذكر قوله: «جعل ابن السماك يومًا يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه. فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه؛ لولا أنك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه» (٥). **ثم قال الجاحظ:** «وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدّ يُنتهى إليه ويؤتى على وضعه، وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص. وقد رأينا الله - عز وجل - ردّد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمورًا كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم».

فالتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذى يقتضيه وتدعو الحاجة إليه، ولذلك فرّق الخطابى بين المحمود والمذموم فقال: «وأما ما عابوه من التكرار فإن تكرر الكلام على ضربين:

أحدهما: مذموم وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغوًا؛ وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والضرب الآخر: ما كان بخلاف هذه الصفة؛ فإن ترك التكرار في الموضع الذى يقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيه بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التى قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها (**بيان إعجاز القرآن** ص ٤٧).

ويأتي الإطناب بالتكرير لنكتة كتأكيد إنذار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (التكاثر: ٣، ٤) وفي «ثم» دلالة على أن إنذار الثاني أبلغ وأشد.

وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ (غافر: ٣٨، ٣٩).

وقد يكرر اللفظ لطول الكلام كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٩).

وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله في (سورة الرحمن): ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لأنه - تعالى - ذكر نعمة بعد نعمة، وعقب كل نعمة بهذا القول؛ والغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى.

وقد يأتي للتهويل والتخويف وغير ذلك.

(المعجم ١/٢٣٦ - ٢٣٨).

التكرير:

كرّر الشيء: أعادة مرة بعد أخرى، وكررت عليه الحديث: إذا ردّدته عليه. **(اللسان: مادة كرر).**

قال ابن الأثير عن الإطناب: والذي يحدّه أن يقال: هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة، فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل، إذ **التطويل هو:** زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأما التكرير فإنه دلالة اللفظ على المعنى مرددًا كقولك لمن تستدعيه: «أسرع أسرع» فإن المعنى مردد واللفظ واحد... وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مرددًا، فمنه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة، فأما الذي يأتي لفائدة

فإنه جزء من الإطناب وهو أخص منه، فيقال حينئذ: إن كل تكرير يأتى لفائدة فهو إطناب، وليس كل إطناب تكريرًا يأتى لفائدة. وأما الذى يأتى من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل وهو أخص منه، فيقال حينئذ: إن كل تكرير يأتى لغير فائدة تطويل وليس كل تطويل تكريرًا يأتى لغير فائدة» (**المثل السائر** ج٢ ص١٢٨).

وقسم ابن الأثير الحلبى التكرير قسمين (**جوهر الكنز** ص ٢٥٧):

الأول: يوجد في اللفظ والمعنى مثل: «أسرع أسرع».

الثاني: يوجد في المعنى دون اللفظ مثل «أطعنى ولا تعصني» فإن الأمر بالطاعة هو النهى عن المعصية.

وكل قسم من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد، فالمفيد الذى يأتى في الكلام توكيدًا له وتسديدًا من أمره وإشعارًا بعظم شأنه، وهو يأتى في اللفظ والمعنى. كقوله: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ (الزمر: ١١-١٤). والمقصود في هذا التكرير غرضان مختلفان، أما ما جاء في اللفظ والمعنى والمراد به غرض واحد فكقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ (الروم: ٤٨، ٤٩).

وأما أقسام الذى هو غير مفيد فهو الذى يأتى في الكلام توكيدًا له كقول المتنبي:

ولم أرَ مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام

وقال ابن شيث القرشي: «التكرير هو أن يأتى بثلاث أو أربع كلمات موزونات

ثم يختم بأخرى تكون القافية إما على وزنهن أو خارجة عنهن، مثل أن يقال: «لا زال عالي المنار حامي الذمار عزيز الجار هامي النعم وفي المجد نامي الحمد جديد الجد وافر القسم». أو تتكرر اللفظة الواحدة مثل أن يقال: «باسم الأيام باسم الأيادي باسم الخدام»[1].

(المعجم ٢/٢٣٨، ٢٣٩).

وعن «التكرار في القرآن» يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق، في كتابه اللطيف النفيس **«مع القرآن الكريم»**:

إن إعجاز القرآن ليس مقصورًا على الإيجاز وجوامع الكلم دون غيرهما، وإنما من وجوه الإعجاز في القرآن وجوه التكرار في كل من ألفاظه وآياته، بل وموضوعاته.

والتكرار في القرآن إحكام له على إحكامه وآياته، ويندرج تحت التوكيد تارة، والتذكرة أخرى، والتفصيل ثالثة، وغيرها من أوجه البلاغة في القرآن.

وقد يكون التكرار لفظيًا، وهو: ما تكررت فيه الألفاظ. ويكون معنويًا، وهو: ما تكررت فيه المعاني بصيغ متغايرة.

التكرار اللفظي:

فوائده:

يأتي شرحًا لما أبهم واستغلق من المعاني؛ فيشرحها بعد إجمالها ويفسرها بعد غموضها.

وأغراض هذا التكرار كثيرة منها:

أولاً: التقرير:

فالتكرار عامل قوي في تكوين الآراء وانتشارها، وقد قيل:

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور أحمد مطلوب. مطبوعات المجمع العلمي العراقي. مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ١/٢٣٦ - ٢٣٨، و ٢/٢٣٨، ٢٣٩.

الكلام إذا تكرر تقرر، وهو وسيلة للإقناع عند الحاجة، لا سيما إذا ما تنوعت صِيَغُهُ وأساليبه، وقد نبه الله - سبحانه- على السبب الذى من أجله تكررت في القرآن الأقاصيص والآيات في قوله - تعالى - في سورة طه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (طه: ١١٣).

ثانياً: التوكيد:

وهو يأتى للإنذار والردع كما في قول الله - سبحانه - في سورة التكاثر:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (التكاثر: ٣، ٤)

فقد جاء لفظ كلا مكررًا للردع عن الانهماك في أمور الدنيا دون رعاية لحق الدين وتنبيه إلى ترك هذا الانغماس في أمور ليس لها قرار، ولا دوام، ولفظ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فيه الإنذار والتخويف، أى: سوف تعلمون عندما ينكشف لكم فداحة الخطأ والضرر الذى وقعتم فيه من المعاصى التى تتلبسون بها، عندما تعانون أهوال يوم الحشر والحساب.

وميزة أخرى في هذه الآية - فضلا عن التكرار اللفظى - تلك هى الترتيب بتقديم أداة الإنذار ﴿كَلَّا﴾ ثم جيء ببيان ما سيكون في الآخرة من الأهوال، وهذا ترتيب منطقى ومعقول.

ثالثاً: إزالة اللبس:

مثل ما جاء في قول الله - تعالى - في سورة الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ (الفتح: ٦) بدلاً من أن يقال: عليهم دائرته.

رابعاً: التنبيه لتلقى الكلام بالقبول:

مثاله قول الله - سبحانه - في سورة غافر:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (غافر: ٣٨، ٣٩)

فتكرار النداء في قوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ مرتين أريد به: التنبيه للاستماع والقبول لما يلقى إلى الناس.

خامسًا: إعادة بعض الكلام خشية تطرق النسيان حين يطول ذكر المتحدث عنه، فيكون التكرار عندئذ تجديدًا وجذبًا للقارئ أو السامع للمتابعة والاستيعاب كما في آيات القصص وآيات التذكير بالبعث لا سيما في الفترة المكية.

سادسًا: التعظيم للأمر المتحدث عنه وتهويل أمره، كما في قول الله سبحانه:

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ (الحاقة: ١ - ٣).

وقوله سبحانه:

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١-٣).

وقوله - تعالى - في سورة الواقعة:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧)

فإنه ظاهر أن التكرار لإبراز وتعظيم يوم القيامة، والمقصود من الحاقة والقارعة، وقدر أصحاب اليمين وموقعهم من رضوان الله.

سابعًا: التكرار للفصل بين المكررين؛ لأن كلا منهما موجه إلى معين:

كقوله - تعالى - في سورة الحشر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)

وقوله - تعالى - في سورة آل عمران:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢).

ثامنًا: ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على الاهتمام به كقوله - تعالى - في (سورة البقرة):

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

تاسعًا: الترديد، أي: التكرار اللفظي في الآيات، ومن أمثاله قول الله - سبحانه - في سورة القمر:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠)

حيث تكررت هذه الآية في مواضع كثيرة من ذات السورة، حتى يتجدد الإقبال على الاستماع والإذكار عند سماع كل نبأ من أنباء الأولين.

ومثل ما جاء في (سورة الرحمن): من تكرار قوله - تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

ذلك أن الله بين في هذه السورة الكثير من نعمه وفضله على عباده، فكأنه بهذه الآية:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

يحفزهم على شكره وتقدير نعمه، وفي الوقت ذاته كان هذا توبيخًا للمكذبين الجاحدين لنعم الله، فهو تكرار تقريري مع اختلاف ما يقرره في كل مرة.

ومثله أيضًا ما جاء في سورة المرسلات من قول الله - سبحانه:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ٢٤)

حيث تخوف هذه الآية هؤلاء المكذبين وتحذرهم من استمرار التلبس بهذه الصفة الممقوتة، وتنذرهم بأن مأواهم في دار جهنم يضاعف فيها العذاب.

عاشرًا: التعظيم وعلو الشأن كما في قوله - تعالى - في (سورة المجادلة):

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢)

حيث تكرار قوله - سبحانه: ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ تعظيمًا لشأنه وإشهارًا وإعلانًا بأنه هو الحزب المفلح، وكفى به نسبة إلى الله تشريفًا.

حادي عشر: التكرار الذي يقصد به الإهانة كما في قوله سبحانه في (سورة المجادلة):

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩)

حيث تكررت عبارة: ﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مع هذه النسبة المقيتة، ثم وصف أعضاء هذا الحزب ووصمه بالخسران، وهذا منتهى الإهانة والتحقير والازدراء.

والتكرار قد استخدم فيما نزل من القرآن بمكة لتوكيد أمور العقيدة من: الوحدانية والبعث والحساب؛ فهو كالبراهين المنطقية التي تستثير الفطرة الإنسانية، وتستحثها على التفكير والتدبر، والفطرة لا تختلف من إنسان إلى آخر في الأغلب الأعم.

ولقد استخدم القرآن التكرار في الآيات المدنية لتأكيد الحكم كما في آيات تحريم الربا؛ فقد قال الله - في سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٠).

إن هذه الآية يحتمل أنها نزلت لتحريم الربا مطلقا فهي ليست قطعية الدلالة في تحريم الربا المضاعف، وإنما جاء ذكر الربا المضاعف فيها لبيان الواقع الذي كان عليه العرب حينذاك.

ويترجح هذا متى لوحظ أن قول الله - سبحانه - في (سورة البقرة):

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

نزلت قبل آية سورة آل عمران التي تتحدث عن الربا المضاعف ذلك أن مجموع آيات الربا، والتي بدأت بقول الله - تعالى-.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

حتى آخر آية المداينة من ذات هذه السورة. مجموع هذه الآيات قد تكرر فيها التحريم للربا بأساليب متنوعة، وفي آيات متعددة لتوكيد هذا التحريم وتثبيته، وبيان أن قليله وكثيره سواء في التحريم، وكان وصف المخاطبين بهذه الآيات بالمؤمنين تنفيرًا من التعامل بالربا؛ لأن الإيمان ينافيه، ويتمثل حال آكلي الربا بحالة من به مس من الشيطان في آية سورة البقرة، وهي قوله - تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

وقد يكون هذا التكرار بأداة التأكيد مثل ما جاء في قوله - تعالى - في سورة النساء:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨).

ذلك لأن تأكيد الأمر بأداء الأمانة والحكم بالعدل بأداة التأكيد (إنّ) بمثابة تكرار الجملة[1].

ومن أقسام التوكيد التي أحصاها الإمام بدر الدين الزركشي القسم الرابع عشر، وقد أورده تحت عنوان «التكرار على وجه التأكيد» نسوق نصه فيما يلي: قال رحمه الله:

التكرار على وجه التأكيد:

وهو مصدر كرر إذا ردّد وأعاد؛ هو «تَفعال» بفتح التاء؛ وليس بقياس، بخلاف التفعيل.

وقال الكوفيون: هو مصدر «فَعّل» والألف عوض من الياء في التفعيل.

والأول مذهب سيبويه.

وقد غلطَ مَنْ أنكر كونَه من أساليب الفصاحة، ظنا أنه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلّق بعضه ببعض؛ وذلك أنّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كرّرته توكيدًا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصِد الدعاء؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباتهُ

(١) مع القرآن الكريم بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر- (الأسبق). الأزهر الشريف، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية - قضايا إسلامية معاصرة (٨)/ ٢٥٦ - ٢٦٥.

جاريةً فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسْلَك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة. وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد، لأن الإنسانَ مجبول من الطبائع المختلفة، وكلّها داعيةٌ إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرارُ المواعظ والقوارع، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر: ١٧) قال في «**الكشاف**»: أي: سهّلناه للأذكار والاتعاظ بأن نسجناه بالمواعظ الشافعية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد.

ثم تارة يكون التكرار مرتين؛ كقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٩، ٢٠).

وقوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ (القيامة: ٣٤، ٣٥).

وقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (التكاثر: ٦، ٧).

وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (النبأ: ٤، ٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٧٨).

وقوله: ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ (التوبة: ٦٩).

وفائدته العظمى التقرير، **وقد قيل**: الكلام إذا تكرّر تقرر.

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذى لأجله كرّر الأقاصيص والأخبار في القرآن فقال:

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص: ٥١).

وقال: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (طه: ١١٣).

وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسى الأول، لطول العهد به.

فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ (الزمر: ١١ - ١٥).

فأعاد قوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، لا لتقرير الأول؛ بل لغرض آخر؛ لأن معنى الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها، ومعنى الثاني أنه يخصّ الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص؛ ولذلك قدّم المفعول على فعل العبادة في الثاني، وأخّر في الأول؛ لأن الكلام أولا في الفعل، وثانيًا فيمن فُعل لأجله الفعل.

واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا؛ ولهذا لا يتجه سؤالهم: لم كرر «إياك» في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (فاتحة الكتاب: ٥).

فقيل: إنما كررت للتأكيد، كما تقول: «بين زيد وبين عمرو مالٌ».

وقيل: إنما كررت لارتفاع أن يتوهم - إذا حذفت - أنّ مفعول «نستعين» ضمير متصل واقع بعد الفعل، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود، بتقديم المعمول على عامله.

والتحقيق أنّ السؤال غير متجه؛ لأنّ هنا عاملين متغايرين، كلٌّ منهما يقتضي معمولاً، فإذا ذكر معمول كلّ واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله، والحذفُ خلاف الأصل، فلا وجهَ للسؤال عن سببِ ذِكرِ ما الأصلُ ذكره، ولا حاجة إلى تكلّف الجواب عنه، وقس بذلك نظائره.

فوائد التكرير:

وله فوائد:

أحدها: التأكيد؛ واعلمْ أن التكريرَ أبلغُ من التأكيد، لأنه وقع في تكرار التأسيس؛ وهو أبلغُ من التأكيد، فإنّ التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز،

فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣، ٤): إنَّ الثانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال: وفي (ثُمَّ) تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول.

وكذا قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (الانفطار: ١٧، ١٨) وقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٩، ٢٠)، يحتمل أن يكون منه، وأن يكون من المتماثلين.

والحاصل أنه: هل هو إنذار تأكيد، أو إنذاران؟ فإن قلت: «سوف تعلم، ثم سوف تعلم» كان أجود منه بغير عطف؛ لتجريه على غالب استعمال التأكيد، ولعدم احتماله لتعدد المخبَر به.

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح «**الخلاصة**».

(هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك المتوفى سنة ٦٨٠هـ **شرح الألفية المعروفة بالخلاصة في النحو**، وهو شرح منقح اشتهر بشرح ابن المصنف وخطأ والده في بعض المواضع. **كشف الظنون** ١٥١) أن الجملة التأكيدية قد تُوصل بعاطف، ولم تختص بثم، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص؛ وليس كذلك؛ فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (الحشر: ١٨)، فإن المأمور فيهما واحد، كما قاله النّحاس والزمخشري والإمام فخر الدين والشيخ عزّ الدين، ورجّحوا ذلك على احتمال أن تكون «التقوى» الأولى معروفةً لشيء غير «التقوى» الثانية، مع شأن إرادته.

وقولهم: إنه تأكيد، فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء، لا أنه تأكيد لفظيّ، ولو كان تأكيدًا لفظيًا لما فصل بالعطف، ولما فصل بينه وبين غيره: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ (الحشر: ١٨).

فإن قلت: «اتقوا» الثانية معطوفة على «ولتنظر».

أجيب بأنهم قد اتفقوا على أنّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)

معطوف على ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (البقرة: ٨٣)، لا على قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣)؛ وهو نظير ما نحن فيه.

وقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)، وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨) ويحتمل أن يكون «اصطفاين»، و«ذكرين»، وهو الأقرب في الذكر، لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر.

وكقوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ (طه: ٣٣، ٣٤).

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (الرعد: ٥)، كرر «أولئك».

وكذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥)

وكذا قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ...﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص: ١٩)، كررت «أن» في أربع مواضع تأكيدًا.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر: ١١، ١٢).

الثاني: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمُل تلقّي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ (غافر: ٣٨، ٣٩)، فإنه كرر فيه النداء لذلك.

الثالث: إذا طال الكلام وخُشيَ تناسي الأول أعيد ثانيًا تطرية له، وتجديدًا لعهده، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٩).

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ (النحل: ١١٠).

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٨٩) ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ (البقرة: ٨٩) فهذا تكرار للأول، ألا ترى أن لما لا تجيء بالفاء!

ومثله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٨)، ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ (آل عمران: ١٨٨).

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾ (البقرة: ٢٥٣)، ثُم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ (البقرة: ٢٥٣).

ومنه قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤).

وقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٥) فقوله: ﴿أَنَّكُم﴾ الثاني بناء على الأول، إذكارًا به خشية تناسيه.

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

وكذلك قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٥ - ١٠٧)، إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: ١١٠).

بغير ﴿إِنَّا﴾ وفي غيره من مواضع ذكر ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾، لأنه يبنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾؛ فكأنه طرح فيما اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيًا. ولأن التأكيد بالنسبة، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده.

ويحتمل أن يكون من باب الاكتفاء؛ وهذا أسلوب غريب، وقلّ في القرآن وجوده، وأكثر ما يكون عند تقدم مقتضيات الألفاظ، كالمبتدأ، وحروف الشرطين الواقعين في الماضي والمضارع. ويستغنى عنه عند أمر محذور التناسي.

وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن، فإذا خشى عليها التناسي لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجمليّ، كقوله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٥٥ - ١٦١) فقوله «فبظلم» بيان لذكر الجمليّ على ما سبق في القول من التفصيل، وذلك أن الظلم جمليّ على ما سبق من التفاصيل من النقض والكفر وقتل الأنبياء، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ (النساء: ١٥٥) والقول على مريم بالبهتان، ودعوى قتل المسيح عليه السلام، إلى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض بها موضعين. وهما قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٥٥)، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٧ - ١٥٩)، وأنه لما ذكر بالبناء جمليّ الظلم من قوله «فبظلم» لأنه يعم على كل ما تقدم وينطوى عليه، ذكر حينئذ متعلق الجملى من قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٥) عقب الباء لأن العامل في الأصل حقه أن يَلِيَ معموله، فقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا﴾ (النساء: ١٦٠)؛ هو متعلق بقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾، وقد اشتمل الظلمُ على كلّ ما تقدم قبله، كما أنه أيضًا اشتمل على كل ما تأخر من المحرّمات الأخَر التى عددت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالعموم والخصوص؛ فذكرت الجزئياتُ الأولى بخصوص كُلّ واحد، ثم ذكر العام المنطوى عليها؛ فهذا تعميم

بعد تخصيص، ثم ذكرت جزئيات آخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية؛ وهو التعميم بعد التخصيص، ثم التخصيص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٥)، فقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هو المقتضى الأول المتقدم، وقوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ (الفتح: ٢٥) هو المقتضى الثاني وهو البناء، لأنه المذكّر بالمقتضى الأول الذى هو «ولا» خشية تناسيه، فهو مبني على الأول، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ (الفتح: ٢٥)، ورودًا واحدًا من حيث أخذا معًا، كأنهما مقتضى منفرد، من حيث هما واحد بالنوع؛ وهو الشرط الماضي. فقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ (الفتح: ٢٥) بناء على قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ (الفتح: ٢٥) نظر في المضارعة. وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٩) فيجوز أن يكون تكريرًا، ويجوز أن يكون الكلام عند قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ويكون الثاني بيانًا لمجمل لا تكريرًا.

وقد جعل ابن المنير من هذا القسم قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ ثم قال: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ (النحل: ١٠٦).

(ابن المنيّر هو الإمام ناصرالدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري؛ صاحب كتاب «**الانتصاف**»، بيّن فيه ما تضمنه كتاب **الكشاف** من الاعتزال؛ وناقشه في أعاريب وأحسن فيها الجدال؛ توفي سنة ٦٨٢. **كشف الظنون** ١٤٧٧).

وقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ (الفتح: ٢٥) ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ (الفتح: ٢٥)، / ونازعه العراقي (هو الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي صاحب كتاب «**الإنصاف**»، جعله حكمًا بين **الكشاف والانتصاف**. توفي سنة ٧٠٤هـ. **كشف الظنون**/ ١٤٧٧)، لأن المعاد فيهما أخص من الأول؛ وهذا يجيء في كثير مما ذكرنا، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخصُّ منه كما بيّنا.

الرابع: في مقام التعظيم والتهويل؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ (الحاقة: ١، ٢). ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١، ٢). ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر: ١، ٢).

وقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧).

وقوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ (الواقعة: ٨، ٩).

وقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (المدثر: ٣١).

الخامس: في مقام الوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣، ٤) وذكر «ثم» في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرّق إليه تغيير، بل هو مستمر دائمًا.

السادس: التعجّب، كقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٩، ٢٠) فأعيد تعجّبًا من تقديره، وإصابته الغرض، على حدّ: قاتله الله ما أشجعه!

السابع: لتعدد المتعلق، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣ وما بعدها) فإنها وإن تعدّدت؛ فكلّ واحد منها متعلق بما قبله، وإنّ الله تعالى خاطب بها الثّقلَين من الإنس، والجن، وعدّد عليهم نعمه التى خلقها لهم، فكلّما ذكر فصــلا من فصول النّعم طلب إقرارَهم واقتضاهم الشكرَ عليه، وهى أنواعٌ مختلفة، وصور شتى.

فإن قيل: فإذا كان المعنىّ في تكريرها عدّ النعم واقتضاء الشكر عليها، فما معنى قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن: ٣٥)؟ وأيّ نعمة هنا! وإنما هو وعيد.

قيل: إن نَعم الله فيما أنذر به وحذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها، نظير أنعمه على ما وعده، وبشر من ثوابه على طاعته؛ ليرغبوا فيها، ويحرصوا عليها؛ وإنما تتحقق معرفةُ الشيء بأن تعتبره بضدّه، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما، فإنهما متقاربان في موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها، وعليه قول بعض حكماء الشعراء:

والحـادثـاتُ وإن أصـابـك بُؤسها ... فهـو الـذى أنـبـاك كيـف نعيمها

وإنما ذكرنا هذا، لتُعلم الحكمةُ في كونها زادت على ثلاثة، ولو كان عائدًا لشيء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة.

فإن قيل: فإذا كان المراد بكل ما قبله، فليس ذلك بإطناب، بل هي ألفاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر.

قلت: إن قلنا: العبرة بعموم اللفظ: فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر.

وقد تكلف لتوجيه العدّة التى جاءت عليها هذه الآية مكررة، **قال الكرمانيّ:** جاءت آية واحدة في هذه السورة كُررّت نّيفا وثلاثين مَرة، لأن ست عشرة راجعة إلى الجنان؛ لأن لها ثمانية أبواب، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنقم، فأعظم النقم جهنم، ولها سبعة أبواب وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب، وسبعة عقب كل نعمة ذكرها للثَّقلين.

وقال غيره: نَبّه في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدّة أمهات النعم، وأفرد سبعًا منها للتخويف، وإنذارًا على عدة أبواب المخوف منه، وفُصل بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوّى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء، حيث اتصلت بقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦)، فكانت خمس عشرة، أتبعت بثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها، ثم بثمانية أخر في وصف الجنتين اللتين من دون الأوليين لذلك أيضًا فاستكملت إحدى وثلاثين.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ١٥)، في

سورة المرسلات عشر مرات، لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة، وأتبع كلَّ قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: ويل للمكذبين بهذه القصة؛ وكل قصة مخالفة لصاحبتها، فأثبت الويلَ لمن كذّب بها.

ويحتمل أن لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها، وجعلَ للكفّار في مقابلة كلّ مثل من الثواب ويل.

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ٨، ٩) في ثمانية مواضع؛ لأجل الوعظ، فإنه قد يتأثر بالتكرار مَنْ لا يتأثر بالمرة الواحدة.

وأما قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام، والعجبُ من تخلُّف من لا يتأهلها مع ظهورها.

وأما مناسبة قوله: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه تعالى نفى الإيمانَ عن الأكثر؛ فدلَّ بالمفهوم على إيمان الأقل، فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن، وهما مرتبتان كترتب الفريقين. ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣، ٤) الآية، لأنّ علمهم يقع أولاً وثانيًا على نوعين مختلفين بحسب المقام، وهذا أقربُ للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه؛ فإن المعاملات الإلهية للطائع والعاصى متغيّرة الأنواع الدنيوية البرزخية. ثم الحشرية، كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع في الغاية؛ بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة، وفي «ثم» دلالة على الترقي، إن لم يجعل الزمان مرتبا في الإنذار على التكرار، وفي المنذَر به على التنويع.

ومنه تكرار: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ٣٩)، قال الزمخشري: كُرّر ليجدوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظًا وتنبيها، وأن كلا من تلك الأنباء مستحق باعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة.

(الكشاف ٤: ٣٤٩)؛ والعبارة فيه: (فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من

أنباء الأولين إدّكارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبيهًا واستيقاظًا؛ إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة...).

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون: ١، ٢).

يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسنَ بن عليّ - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقال: إني أجد في القرآن تكرارًا وذكر له ذلك؛ فأجابه الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا: نعبد إلهك شهرًا وتعبد آلهتنا شهرًا، فجاء النفيُ متوجهًا إلى ذلك. المقصود أن هذه ليست من التكرار في شيء، بل هي بالحذف والاختصار أليق؛ وذلك لأن قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون: ٢)؛ أي: لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل، وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، أي: ولا أنا عابدٌ في الحال ما عبدتم في المستقبل، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾، في الحال ما أعْبُدُ في المستقبل.

والحاصل: أن القصدَ نفيُ عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة: الحال، والماضي، والاستقبال؛ والمذكور في الآية النفي في الحال والاستقبال، وحذف الماضي من جهته ومن جهتهم؛ ولا بد من نفيه، لكنه حُذف لدلالة الأولين عليه.

وفيه تقدير آخر؛ وهو أن الجملة الأولى فعلية، والثانية اسمية، وقولك: «لا أفعله» و «لا أنا فاعله» أحسن من قولك: «لا أفعله»؛ فالجملة الفعلية نفي لإمكانه، والاسمية نفي لاتّصافه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ (الروم: ٥٣)، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ (فاطر: ٢٢). والمعنى أنه تبرّأ من فعله ومن الاتّصاف به، وهو أبلغ في النفي؛ وأما المشركون فلم ينتف عنهم إلا بصيغة واحدة؛ وهي قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في الموضعين.

وفرق آخر، وهو أنه قال في نفيه الجملة الإسمية: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾،

وقال في النفي عنهم: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ عائد في حقه بين الجملتين، وقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ بالمضارع، وفي الثاني: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ بالماضي، فإن المضارع يدل على الدوام، بخلاف الماضي، فأفاد ذلك أنّ ما عبدتموه ولو مرّة ما أنا عابد له ألبتّة، ففيه كمال براءته ودوامها مما عبدوه ولو مرّة؛ بخلاف قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، فإن النفيَ من جنس الإثبات، وكلاهما مضارع يظهران جملةً ومنفردًا.

ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (آية ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠)، لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس: اليهود؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم. وأهل النفاق أشدّ إنكارًا له، لأنه كان أول نسخ نزل. وكفار قريش قالوا: ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قِبْلَتنا، وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون: يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل؛ وقد فارق قبلتَهما وآثر عليها قبلة اليهود؛ وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ (البقرة: ١٥٠) والاستثناء منقطع، أي: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون. وقال سبحانه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: ١٤٧) أي: الذين أشركوا فلا تمترِ في ذلك، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦)، أي: يكتمون ما علموا أن الكعبة هي قِبْلة الأنبياء.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

(سورة الصافات ١٧٤، ١٧٥)، وكرر هاتين الآيتين في قوله تعالى بعد ذلك في السورة (١٧٨، ١٧٩): ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

وقال صاحب «الينبوع»: لم يبلغني عن المفسرين فيه شيء.

(هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي المتوفي

سنة ٥٦٥؛ صاحب كتاب **ينبوع الحياة في التفسير**؛ ذكره صاحب **كشف الظنون**؛ منه أجزاء متفرقة مخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم ٣١٠ تفسير).

وقال المفسرون في غريب القرآن: هما في المعنى كالآيتين المتقدمتين، فكرّر للتأكيد وتشديد الوعيد.

ويحتمل أن يكون «الحين» في الأوليين في الصافات: ١٧٤، ١٧٥، يوم بدر، و «الحين» في الصافات: ١٧٨، ١٧٩ يوم فتح مكة.

ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وفي هاتين: ﴿وَأَبْصِرْ﴾ (الصافات: ١٧٨، ١٧٩) أن الأولى بنزول العذاب بهم يوم بدر قتلا وأسرا وهزيمة ورغبا، فما تضمنت التشفّي بهم قيل له: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعامُ بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم فلم يكن وفقا للتشفي بهم، بل كان في استسلامهم، وإسلامهم لعينه قرّة، ولقلبه مسرّة، فقيل له: ﴿وَأَبْصِرْ﴾.

ويحتمل على هذا - إن شاء الله - أن يكون من فوائد قوله تعالى: في هذه: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أي: يبصرون منك عليهم بالأمان، ومَنًّا عليهم بالإيمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)

وللتكرار (هنا) فائدتان:

إحداهما: أنّ التحريمَ قد يكون في الطرفين؛ ولكن يكون المانع من إحداهما؛ كما لو ارتدّت الزوجة قبل الدخول؛ يحرم النكاح من الطرفين؛ والمانع من جهتهما، فذكر الله سبحانه الثانية؛ ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين كذلك المانع منهما.

والثانية: أنّ الأولى دلّت على ثبوت التحريم في الماضي؛ ولهذا أتى فيها بالاسم الدّال على الثبوت؛ والثانية في المستقبل، ولهذا أتى فيها بالفعل المستقبل.

ومنه تكرار الإضراب.

واعلم أن «بل» إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب.

وهو إما أن يقع في كلام الخَلق؛ ومعناه إبطال ما سبق على طريق الغلط من المتكلم؛ أو أنّ الثاني أولى.

وإما أن يقع في كلام الله تعالى، وهو ضربان:

أحدهما: أن يكون ما فيها من الردّ راجعًا إلى العباد؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (الأنبياء: ٥).

والثاني: أن يكون إبطالا؛ ولكنه على أنه قد انقضى وقته؛ وأن الذى بعده أولى بالذكر، كقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (النمل: ٦٦). ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ (ص: ٨).

وزعم ابن مالك في شرح «**الكافية**» أن «بل» حيث وقعت في القرآن فإنها للاستئناف لغرض آخر لا لإبطال الأول؛ وهو مردود بما سبق، وبقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦)؛ فأضرب بها عن قولهم، وأبطل كذبهم.

وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٦)، أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور وترك الأزواج.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق: ٢). فالأول للمطلّقين والثاني للشهود؛ نحو: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٢)، أولها للأزواج، وآخرها للأولياء.

ومنه تكرار الأمثال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ (فاطر: ١٩ - ٢٢).

وكذلك ضَرْب مثل المنافقين أول البقرة ثنّاه الله تعالى.

يشير إلى قوله تعالى ـ في الآية السابعة عشرة من سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾. مع قوله ـ في الآية التاسعة عشر: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾.

قال الزمخشري: «والثاني أبلغ من الأول لأنه أدلُّ على فَرْط الحيرة؛ وشدّة الأمر وفظاعته»، قال: «ولذلك أُخِّرَ، وهم يتدرّجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ».

ومنه تكرار القصص في القرآن؛ كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء، **قال بعضهم:** ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعًا من كتابه، **قال ابن العربي في «القواصم»:** ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية. انتهى. (هو الإمام أبو بكر بن العربي صاحب كتاب **«العواصم من القواصم»**) وإنما كررها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر، وهي أمور:

أحدها: أنه إذا كرّر القصة زاد فيها شيئًا، ألا ترى أنه ذكرا الحية في عصا موسى عليه السلام في قوله تعالى في (سورة طه: ٢٠): ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾، وذكرها في موضع آخر ثعبانًا من قوله تعالى في (سورة الأعراف: ١٠٧): ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. وقوله في (سورة الشعراء: ٣٢): ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. ففائدة أن ليس كل حية ثعبانًا، وهذه عادة البلغاء، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة، لصفة زائدة.

الثانية: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين؛ وكان أكثر من آمن به مهاجرياً؛ فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراكَ الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم، وزيادة تأكيد وتبصرة، لآخرين وهم الحاضرون، وعَبَّر عن هذا ابن الجوزي وغيره.

الثالثة: تسليته لقلب النبيّ صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: ١٢٠).

الرابعة: أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة.

الخامسة: أن الدّواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

السادسة: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن، وعَجَز القوم عن الإتيان بمثل آية، لصحّة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأيّ نظم جاءوا، بأي عبارة عبّروا، قال ابن فارس (**فقه اللغة**/١٧٨): وهذا هو الصحيح.

السابعة: أنه لما سَخِر العرب بالقرآن قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٣)، وقال في موضع آخر: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ (هود: ١٣)، فلو ذكر قصة آدم مثلاً في موضع واحد واكتفى بها لقال العربيّ بما قال الله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، «إيتونا أنتم بسورة من مثله»، فأنزلها سبحانه في تعداد السور، دَفعًا لحجّتهم من كل وجه.

الثامنة: أنّ القصة الواحدة من هذه القصص؛ كقصة موسى مع فرعون - وإن ظُنّ أنها لا تغاير الأخرى - فقد يُوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير؛ وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ؛ فإن كلّ واحدة لابدّ وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها؛ فكأنّ الله تعالى فَرّق ذكرَ ما دار بينهما وجعله أجزاء، ثم قسّم تلك الأجزاء على تاراتِ التكرار لتوجد متفرقة فيها؛ ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وُجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة؛ من انفراد كل قصة منها بموضع؛ كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصّة، فاجتمعت في هذه الخاصية؛ من نظم القرآن عدة معانٍ عجيبة:

منها: أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يُوقع في اللفظ هجْنة، ولا أحدثَ مَلَلاً، فباين بذلك كلام المخلوقين.

ومنها: أنه ألبسها زيادة ونقصانا وتقديمًا وتأخيرًا، ليخرُج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها، فيكون شيئًا معادًا؛ فنزّهه عن ذلك بهذه التغييرات.

ومنها: أن المعانيَ التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيها من التغيير - ميلا إلى سماعها، لما جُبِلت عليه النفوس من حبّ التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة.

ومنها: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد؛ وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يَعْجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرّفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩) وكقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ (لقمان: ٢٧).

وقال القفال في تفسيره (هو محمد بن أحمد بن الحسين الشافعي القفال؛ رئيس الشافعية في عصره. توفي سنة ٥٠٧.

(ابن خلكان/٤٦٤): ذكر الله في أقاصيص بني إسرائيل وجوها من المقاصد:

أحدها: الدلالة على صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عنها منْ غير تعلّم؛ وذلك لا يمكن إلا بالوحي.

الثاني: تعديد النعم على بني إسرائيل، وما منّ الله على أسلافهم من الكرامة والفضل؛ كالنجاة من آل فرعون، وفَرْق البحر لهم، وما أنزل عليه في التيه من المنّ والسلوى، وتفجّر الحجَر، وتظليل الغمام.

الثالث: إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعنتهم على الأنبياء، فكأنه تعالى يقول: إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيّهم الذى أعزهم الله به، وأنقذهم من العذاب بسببه؛ فغير بِدْع ما يعامله به أخلافهم محمدا صلى الله عليه وسلم.

الرابع: تحذير أهل الكتاب الموجودين في زَمن النبيّ صلى الله عليه وسلم من نزول العذاب بهم؛ كما نزل بأسلافهم.

وهنا سؤالان:

أحدهما: ما الحكمةُ في عدم تكرر قصة يوسف عليه السلام، وسوقها مساقًا واحدًا في موضع واحد، دون غيرها من القصص؟

والجواب من وجوه:

الأول: فيها من تشبيب النسوة به، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالاً، وأرفعهم مثالا، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك. وقد صحح الحاكم في مستدركه مرفوعًا: النهيُ عن تعليم النساء سورةَ يوسف.

الثاني: أنها اختصت بحصول الفَرَج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص، فإنّ مآلها إلى الوبال، كقصة إبليس، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح؛ وغيرهم، فلما اختصّت هذه القصة في سائر القصص بذلك اتفقت الدّواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

الثالث: قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني إنما كرر الله قصص الأنبياء، وساق قصة يوسف مساقًا واحدًا، إشارة إلى عجز العرب، كأنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم: إن كان من تلقاء نفسى تصديره على الفصاحة، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء.

السؤال الثاني: أنّه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى، في سورة الأعراف وهود والشعراء، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم، وإنما ذكَرها في سورة الأنبياء، ومريم، والعنكبوت، والصافات.

والسرّ في ذلك أن تلك السوَرَ الأول ذكر الله فيها نَصْر رسله بإهلاك قومهم، ونجاة الرسل وأتباعهم، وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم؛ بل كان المقصود ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم؛ ولهذا سميت سورة الأنبياء؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء؛ وبدأ بقصة إبراهيم، إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد، وإبراهيم أكرمهم على الله، وهو خير البرية، وهو أبُ أكثرهم، وليس هو أب نوح ولوط؛ لكنّ لوط من أتباعه، وأيوب من ذريته، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ (الأنعام: ٨٤).

وأما سورة العنكبوت؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين، ونصرَه لهم، وحاجتهم إلى الجهاد؛ وذكر فيها حسنَ العاقبة لمن صبر، وعاقبةَ مَنْ كذّب الرسل؛ فذكر قصة إبراهيم؛ لأنها من النّمَط الأول.

وكذلك في سورة الصافات قال فيها: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (الصافات: ٧١-٧٣)؛ وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة؛ إمّا بكونهم غلبوا وذَلّوا؛ وإما بكونهم أهلكوا؛ ولهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه، بل قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (الصافات: ١٢٧).

وقد رُوِي أن الله رفع إلياس؛ وهذا يقتضي عذابهم في الآخرة؛ فإن إلياس لم يقم بينهم، وإلياسُ المعروف بعد موسى من بني إسرائيل، وبعد موسى يُهلك المكذبين بعذاب الاستئصال؛ بعد نوح لم يُهلك جميع النوع، وقد بعث الله في كلّ أمة نذيرًا، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا، كما ذكر ذلك عن غيرهم؛ بل ذكر أنّهم ألقوْه في النار، فجعلها بردًا وسلامًا، وفي هذا ظهور بُرهانه وآياته؛ حيث أذلّهم ونصره؛ ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: ٩٨)، وهذا من جنس المجاهد الذي يعرض عدوّه، والقصص الأول من جنس المجاهد الذي قتل عدوه، وإبراهيم بعد هذا لم يقم بينهم بل هاجر وتركهم؛ وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلكوا، ولم يوجد

في حق إبراهيم سبب الهلاك؛ وهو إقامته فيهم، وانتظار العذاب النازل؛ وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه، لم يقم فيهم، بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك؛ ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل؛ فإنهم إذا علموا حصل المقصود، وقد يتوب منهم من تاب، كما جرى لقوم يونس؛ فهذا - والله أعلم - هو السرّ في أنّه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم.

فإن **قيل**، فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك؟

فالجواب: أمّا حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل؛ فلم يسعَ في هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجة عليهم؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ﴾ (إبراهيم: ١٣، ١٤)، وكان كلّ قوم يطلبون هلاكَ نبيّهم فعوقبوا؛ وقوم إبراهيم وإن أوْصَلُوه إلى العذاب؛ لكن جعله الله عليه بردًا وسلامًا، ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام، وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة؛ كما في العقوبات الشرعية، فمن أرادوا عداوة أحد من أتباع الأنبياء ليهلكوه فعصمه الله، وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه؛ ولم يُهلِكْ أعداءه بل أخزاهم ونصره؛ فهو أشبه بإبراهيم عليه السلام؛ إذ عصمه الله من كيدهم، وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجالا، ثم كانت له العاقبة فهو أشبه بحال محمد صلى الله عليه وسلم، فإن محمدًا سيد الجميع، وهو خليل الله، كما أن إبراهيم عليه السلام خليله، والخليلان هما أفضل ا لجميع، وفي طريقهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما، ولم يَذكُر الله عن قوم إبراهيم ذنبًا غير الشرك، وكذلك عن قوم نوح، وأما عاد فذكر عنهم التجبّر، وعمارة الدنيا، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء، وأهل مدين: الظلم في الأموال مع الشرك، وقوم لوط: استحلال الفاحشة، ولم يذكر أنهم أقروا بالتوحيد، بخلاف سائر الأمم، وهذا يدلّ على أنهم لم يكونوا مشركين، وإنما كان دينهم استحلالَ الفاحشة وتوابع ذلك، وكانت عقوبتُهم أشدّ.

وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم، ولما لم يكن في قوم نوح خيرٌ يرجى غرق الجميع. والله المستعان.

فتأمل هذا الفصل وعظم فوائده وتدبر حكمته، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم، كقوله تعالى: ﴿أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ (محمد: ١٥)، فأعاد ذكر «الأنهار» مع كل صنف؛ وكان يكفى أن يقال فيها: «أنهار من ماء، ومن لبن، ومن خمر، ومن عسل»؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقةً؛ وفيما عدا الماء مجازًا للتشبيه؛ فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقى عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز.

فإن قلت: فهلا أفرد ذكر الماء وجمع الباقى صيغة واحدة؟ **قيل:** لو فعل ذلك لجمع بين محامل من المجاز مختلفة في صيغة واحدة، وهو قريب في المنع من الذى قبله.

فائدة

فى صنيعهم عند استثقال تكرار اللفظ

قد يستثقلون تكرار اللفظ فيعدلون لمعناه؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: ١٧)؛ فإنه لما أعيد اللفظ غيّر «فعّل» إلى «أفعل» فلما ثلّث ترك اللفظ أصلا، فقال: «رويدا».

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (الكهف: ٧٤)، ثم قال: ﴿إِمْرًا﴾ (الكهف: ٧١).

قال الكسائي: معناه شيئًا منكرًا كثير الدهاء من جهة الإنكار؛ من قولهم: أمِرَ القوم إذا كثروا.

قال الفارسي: وأنا أستحسن قوله هذا.

قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾، **قال الفارسى:** ﴿وَرَاءَكُمْ﴾ في موضع فعل الأمر، أى: تأخروا؛ والمعنى ارجعوا تأخروا؛ فهو تأكيد وليست ظرفًا؛ لأن الظروف لا يؤكدُ بها.

وإذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة؛ كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ (سبأ: ٥)، والقصد المبالغة، أي: عذاب مضاعف، وبالعطف كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦)، وقوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ (البقرة: ١٠٩).

القسم الخامس عشر

الزيادة فى بنية الكلمة

واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلابدّ أن يتضمّن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا؛ لأن الألفاظ أدلّة على المعاني؛ فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤٢)؛ فهو أبلغ من «قادر» لدلالته على أنه قادر متمكّن القدرة؛ لا يُردّ شيء عن اقتضاء قدرته؛ ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى.

وكقوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ (القمر: ٢٧) فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من «اصبر».

قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) لأنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلُّف زيد في لفظ فعلها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ (فاطر: ٣٧)؛ فإنه أبلغ من «يتصارخون».

وقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (الشعراء: ٩٤) ولم يقل «وكبوا» قال الزمخشري (**الكشاف** ٢٥٣/٣): والكبكبة تكرير الكبّ، جُعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم (ينكَبّ) كبة مرة بعد أخرى حتى يستقرّ في قعرها، اللّهم أجرنا منها خير مستجار!

وقريب من هذا قول الخليل في قول العرب: صَرَّ الجُندب، وصرصر البازي، كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة، فقالوا: صرّ صريرا، فمدوا وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: «صرصر».

ومنه الزيادة بالتشديد أيضا؛ فإنّ «ستّارًا» و«غفّارًا» أبلغ من «ساتر» و«غافر»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠)؛ ومن هذا رجّح بعضُهم معنى «الرحمن» على معنى «الرحيم»؛ لما فيه من زيادة البناء، وهو الألف والنون، وقد سبق في السادس.

ويقرب منه التضعيف – ويقال التكثير – وهو أن يؤتّى بالصيغة دالّة على وقوع الفعل مرة بعد مرة. وشرطه أن يكون في الأفعال المتعدّية قبل التضعيف؛ وإنما جعله متعديًا تضعيفه؛ ولهذا رُدّ على الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣)؛ حين جعل ﴿نَزَّلْنَا﴾؛ هنا للتضعيف.

وقد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللازم قليلا، نحو مَوّت المالُ.

وجاء حيث لا يمكن فيه التكثير، لقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الرعد: ٧) ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٥).

فإن قلت: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ (البقرة: ١٢٦) مشكل على هذه القاعدة؛ لأنه إذا كان «فعل» للتكثير، فكيف جاء «قليلا» نعتًا لمصدر «متّع» وهذا وصف كثير بقليل، وإنه ممنوع.

قلت: وصف بالقلّة من حيث صيرورته إلى نفاد ونقص وفناء.

واعلم أن زيادة المعنى في هذا القسم مقيد بنقل صيغة الرباعيّ غير موضوعة لمعنى؛ فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة؛ فقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)؛ لا يدلّ على كثرة صدور الكلام منه؛ لأنه غير منقول عن ثلاثيّ.

وكذا قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤) يدلّ على كثرة القراءة على هيئة التأني والتدبر.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ (يس: ٦٩)، ليس النفي للمبالغة؛ بل نفي أصل الفعل[1].

وقد عقد ابن الجوزي في كتابه «**عجائب علوم القرآن**» بابا بعنوان «باب من المتشابه»، وجاء في هامش (١) لمحقق الكتاب الدكتور عبد الفتاح عاشور التنبيه التالي:

التشابه هنا: هو تكرار الكلمة في أكثر من موضع من القرآن، وقد يؤدي هذا إلى أن يقع القارئ في الوهم نظرا لأن العبارة المكررة قد تختلف العبارات التي تسبقها أو تتلوها، وهي بذلك تحتاج إلى يقظة، وتحتاج إلى تنبيه، ولهذا كان هذا الباب.. انتهى.

وعلى هذا الأساس نتعامل مع هذا الباب ونسوق بنصه فيما يلي:

قوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠): حرف واحد في الأعراف.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟﴾ (فصلت: ٣٦): حرف واحد في حم السجدة.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦): حرف واحد في حم المؤمن.

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٣٦٠٨/٢.

فصــــل

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ موضعان: في هود: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا﴾ (هود: ٤١).

وفي النمل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ (النمل: ٣٠).

فإن قلنا: إن البسملة من الفاتحة كانت ثلاثة مواضع، وإن قلنا هي من كل سورة كانت مائة وخمسة عشر موضعًا. (على اعتبار أن عدد سور القرآن ١١٤ سورة، وبسملة النمل يكون العدد ١١٥ سورة).

قوله: لا إله إلا الله: حرفان: في الصافات: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات: ٣٥).

وفي سورة محمد: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ﴾: حرف واحد في الأنبياء. (الأنبياء: ٨٧).

قوله: لا إله إلا أنا: هو ثلاثة أحرف: في النحل: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: ٢).

وفي الأنبياء: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وفي طه: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ (طه: ١٤).

قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثلاثون موضعًا:

في البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (البقرة: ١٦٣).

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وفي آل عمران: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: ١، ٢).

﴿كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ٦).

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (آل عمران: ١٨).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨)

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ (النساء ٨٧).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (الأنعام ١٠٢).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(الأنعام ١٠٦).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾(الأعراف: ١٥٨).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١).

﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (التوبة: ١٢٩).

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (هود: ١٤).

﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (الرعد: ٣٠).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (طه: ٨).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه: ٩٨).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾(المؤمنين: ١١٦).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ (النمل: ٢٦).

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (القصص: ٧٠).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص: ٨٨).

﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (فاطر: ٣).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (الزمر: ٦).

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (حم المؤمن، غافر: ٣).

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (غافر: ٦٢).

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ (غافر: ٦٥).

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ (الدخان: ٨).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ (الحشر: ٢٢).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ (الحشر: ٢٣).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التغابن: ١٣).

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمل: ٩).

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، أنبأنا أبو على بن المهدي، أنبأنا أبو الحسن القزويني، أنبأنا أبو بكر بن شاذان، أنبأنا أبو ذر القاسم بن دؤاد، أنبأنا أبو بكر ابن أبى الدنيا، حدثنى إسماعيل بن عبد الله، حدثنى أبو هشام عن شريح العابد.

شريح العابد: أبو أمية شريح بن الحارث الكندى القاضى كان فقيها قانتا شاعرا وُلّى القضاء بالكوفة في زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ١٧٧هـ قبل وفاته بستة، وتوفى في سنة ١٧٨، وقد عمر مائة وثمان سنين).

قال: رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي: إيت فلانا فقد أمرناه أن يعلمك الله الأعظم، قال: فلما أصبحت جاءنى الرجل فقل: إنى رأيت البارحة في النوم فقيل لي: إيت شريحًا فعلمه اسم الله الأعظم، وفي كل شيء في القرآن لا إله إلا هو، قال أبو هشام: فوجدناه في ثلاثين موضعًا من القرآن.

فصــل

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عشرون حرفا:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: ١).

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ (إبراهيم: ٣٩).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ (بنى إسرائيل، الإسراء: ١١١).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (الكهف: ١).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (الأنعام: ١).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ (الأعراف: ٤٣).

﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (يونس: ١٠).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٨).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل: ١٥).

وفيها: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (النمل: ٥٩).

وفيها: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (النمل: ٩٣).

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان: ٢٥).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ (سبأ: ١).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر: ١).

(وفيها: ٣٤) ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (الزمر: ٢٩).

(وفيها: ٧٤) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾.

(وفيها: ٧٥) ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (غافر: ٦٥).

فأما قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ﴾ فموضعان:

في (الأنعام: ٤٥) ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والثاني: آخر (الصافات: ١٨٢) ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فأما قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ حرف واحد: في الجاثية: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾ (الجاثية: ٣٦).

وقوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ حرف واحد في القصص: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (القصص: ٧٠).

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ ثلاثة أحرف:

في (الروم: ١٨) ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (سبأ: ١).

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ (التغابن: ١).

فصل

قوله: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بياء: ستة مواضع:

في (الإسراء: ٤٤) ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ (النور: ٣٦).

(وفيها: ٤١) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (الحشر: ٢٤).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (أول الجمعة: ١).

ومثله في التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (التغابن: ١).

فأما ﴿وَيُسَبِّحُ﴾ بزيادة واو، فموضع واحد: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ (الرعد: ١٣).

فأما ﴿تُسَبِّحُ﴾ بالتاء، ففي (الإسراء: ٤٤) ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ﴾.

فأما ﴿نُسَبِّحُ﴾ ففي (البقرة: ٣٠) ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

وأما قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فخمسة مواضع:

في (المؤمنون: ٩١) ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

(القصص: ٦٨) ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى﴾.

(الصافات: ١٥٩) ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

(الطور: ٤٣) ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

(الحشر: ٢٣) ﴿الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

فأما ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فموضعان:

أحدهما في (يوسف: ١٠٨) ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

(النمل: ٨) ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

فأما ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فموضعان:

في (الأنبياء: ٢٢): ﴿لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: ١٧).

فصـــل

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ حرفان:

في (آل عمران: ٤٧) ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾.

(مريم: ٣٥) ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ حرف واحد: في البقرة: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧).

قوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ حرف واحد، في (غافر): ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ (غافر: ٦٨).

فصـــل

﴿تَبَارَكَ﴾ ستة أحرف:

في (الأعراف: ٥٤) ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(الفرقان: ١) ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾.

(وفيها: ١٠) ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ﴾.

(وفيها: ٦١) ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾.

(الرحمن: ٧٨) ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾.

(الملك: ١) ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾.

فأما قوله: ﴿فَتَبَارَكَ﴾ بالفاء فحرفان:

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤).

(غافر: ٦٤) ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فأما قوله: ﴿وَتَبَارَكَ﴾ بالواو فحرف واحد: في الزخرف: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الزخرف: ٨٥).

فصـــل

﴿تِلْكَ﴾ ثمانية وعشرون حرفا:

في البقرة: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ (البقرة: ١١١).

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ (البقرة: ١٤١).

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: ١٨٧).

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦).

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: ٢٢٩).

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ (البقرة: ٢٥٢).

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

(آل عمران: ١٠٨) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾.

(النساء: ١٣) ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾.

(الأعراف: ١٠١) ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾.

(هود: ٤٩) ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾.

(يوسف: ١) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

(يونس: ١) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

(الرعد: ١) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾.

﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ (الرعد: ٣٥).

(الحجر: ١) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾.

(مريم: ٦٣) ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾.

(طه: ١٧) ﴿وَمَا تِلْكَ﴾.

(الأنبياء: ١٥) ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾.

وفي (الشعراء: ٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾.

وفي (النمل: ١) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وفي (القصص: ٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾.

وفيها: ٨٣) ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾.

وفي (لقمان: ٢) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾.

وفي (الجاثية: ٦) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾.

وفي (النجم: ٢٢) ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾.

وفي (النازعات: ١٢) ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

فأما قوله ﴿وَتِلْكَ﴾ بالواو فأحد عشر موضعًا:

في (البقرة: ٢٣٠) ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾.

وفي (آل عمران: ١٤٠) ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾.

وفي (هود: ٥٩) ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾.

وفي (الكهف: ٥٩) ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾.

وفي (الشعراء: ٢٢) ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾.

وفي (العنكبوت: ٤٣) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾.

وفي (الزخرف: ٧٢) ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾.

وفي (المجادلة: ٤) ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾.

فأما قوله: ﴿فَتِلْكَ﴾ بالفاء، فحرفان:

في النمل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ (النمل: ٥٢).

وفي (القصص: ٥٨) ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾.

فصل

قوله: ﴿نِعْمَ﴾ ستة أحرف:

في (الأنفال: ٤٠) ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

وفي (الكهف: ٣١) ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾.

وفي (العنكبوت: ٥٨) ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

وفي (ص: ٥٨) ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.(في حق سليمان).

وفي (حق أيوب) ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾.

(وهذه خمسة وليست ستة، إلا أن يكون السادس هو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ (النساء ٥٨/٤) فقد أدخل: فنعمّا هي: في المواضع التي يذكر فيها «فَنِعْمَ»).

فأما قوله: ﴿وَنِعْمَ﴾ بالواو فأربعة أحرف:

في (آل عمران: ١٣٦) ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

(وفيها: ١٧٣) ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

وفي (الأنفال: ٤٠) ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

وفي (خاتمة الحج: ٧٨) ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

فأما قوله: ﴿فَنِعْمَ﴾ بالفاء، فست أحرف:

وفي (البقرة: ٢٧١) ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

وفي (الرعد: ٢٤) ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وفي (الحج: ٧٨) ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

وفي (الزمر: ٧٤) ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

وفي (الذاريات:٤٨) ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

وفي (المرسلات: ٢٣) ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾.

فأما قوله: ﴿فَلَنِعْمَ﴾ فحرف واحد:

وفي (الصافات: ٧٥) ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾.

فأما قوله: ﴿وَلَنِعْمَ﴾ فحرف واحد:

في (النحل: ٣٠) ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فصل

قوله: ﴿بِئْسَ﴾ ثمانية أحرف:

في (البقرة: ٩٠) ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾.

وفي (البقرة: ٩٣) ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم﴾.

وفي (الأعراف: ١٥٠) ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾.

وفي (هود: ٩٩) ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾.

وفي (الكهف: ٢٩) ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾.

(وفيها: ٥٠) ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

وفي (الحجرات: ١١) ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾.

وفي (الجمعة: ٥) ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾.

فأما: ﴿فَبِئْسَ﴾ فسبعة أحرف:

في (آل عمران: ١٨٧) ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

وفي (ص: ٥٦) ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

(وفيها: ٦٠) ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

وفي (الزمر: ٧٢) ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

ومثلها في (غافر: ٧٦) ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وفي (الزخرف: ٣٨) ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾.

وفي (المجادلة: ٨) ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وأما ﴿وَبِئْسَ﴾ بالواو، فخمسة عشر موضعًا:

منها تسعة: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

(وهى كالآتى: (١) في البقرة ١٢٦/٢، (٢) آل عمران ١٦٢/٣، (٣) الأنفال ١٦/٨، (٤) التوبة ٧٣/٩، (٥) الحج ٧/٢٢، (٦) الحديد ١٥/٥٧، (٧) التغابن ١٠/٦٤، (٨) التحريم ٩/٦٦ ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، (٩) الملك ٦/٦٧ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وثلاثة: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (الثلاثة كالآتى: (١) آل عمران ١٢/٣ (٢)

آل عمران ١٩٧/٣ (٣) الرعد ١٨/١٣، وموضع ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ إبراهيم ٢٩/١٤، وفي هود ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾ هود ٩٨/١١.

وبقى موضع آخر في آل عمران ١٥١/٣ ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وبه تكون المواضع خمسة عشر موضعًا كما ذكر).

وأما ﴿لَبِئْسَ﴾ فخمسة أحرف:

في (المائدة: ٦٢) ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

(وفيها: ٦٣) ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

(وفيها: ٧٩) ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

(وفيها: ٨٠) ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾.

(الحج: ١٣) ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

فأما: ﴿وَلَبِئْسَ﴾ فأربعة أحرف:

في (البقرة: ١٠٢) ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ﴾.

(وفيها: ٢٠٦) ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

وفي (الحج: ١٣) ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾.

وفي (النور: ٥٧) ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

فأما ﴿فَلَبِئْسَ﴾: فحرف واحد:

وفي (النحل: ٢٩) ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

فصـــل

﴿أَمْ لَمْ﴾ ستة أحرف:

في (البقرة: ٦) ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾.

ومثلها في يس ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (يس: ١٠).

(المؤمنين: ٦٩) ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا﴾.

(الشعراء: ٣٦) ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾.

(النجم: ٣٦) ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾.

وفي المنافقين: ٦: ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

فصـــل

﴿تَكُ﴾ سبعة أحرف:

في (النساء: ٤٠) ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾.

وفي (هود: ١٧) ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾.

(وفيها: ١٠٩) ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾.

وفي (النحل: ١٢٧) ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

وفي (مريم: ٩) ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

وفي (لقمان: ١٦) ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ﴾.

وفي (غافر: ٥٠) ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾.

فأما ﴿يَكُ﴾ بالياء فثمانية أحرف:

في (الأنفال: ٥٣) ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾.

وفي (التوبة: ٧٤) ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

وفي (النحل: ١٢٠) ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وفي (مريم: ٦٧) ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾.

وفي (غافر: ٢٨) ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا﴾.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ (غافر: ٢٨).

وفيها ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ (غافر: ٨٥).

وفي (القيامة: ٣٧) ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾.

فأما ﴿نَكُ﴾ بالنون: ففي (المدثر: ٤٣، ٤٤) ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.

فصل

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عشرون حرفا:

في البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (البقرة: ١٦٨).

وفي (النساء «ثلاثة مواضع»: ١٧٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (النساء: ١٧٠).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (النساء: ١٧٤).

(في يونس): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٥٧).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ (يونس: ١٠٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ (يونس: ١٠٤).

وفي الحج (اربعة مواضع): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ (الحج: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ (الحج: ٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الحج: ٤٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ (الحج: ٧٣).

وفي (النمل: ١٦) «موضع واحد» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾.

وفي (فاطر: ٣) «ثلاثة مواضع» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (فاطر: ٥).

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ (فاطر: ١٥).

وفي (لقمان: ٣٣) «موضع واحد» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾.

وفي (الحجرات: ١٣) «موضع واحد» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

(وهذه ثمانية عشر موضعًا، وبقي موضعان: في (الأعراف: ١٥٨/٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وفي (يونس ١٠/ ٢٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾.

فأما ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: فحرف واحد: في النساء: ﴿يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (النساء: ١٣٣).

فصل

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: تسع وثمانون حرفا:

في البقرة: أحد عشر موضعًا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ (البقرة: ١٠٤).

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ (البقرة: ١٥٣).

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ (البقرة: ١٧٨).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) (بزيادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مع كل آية).

وفي آل عمران: سبعة مواضع:

﴿إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا﴾ (آل عمران: ١٠٠).

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ﴾ (آل عمران: ١١٨).

﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ (آل عمران: ١٣٠).

﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران: ١٤٩).

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران: ١٥٦).

﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وفي سورة النساء تسعة مواضع:

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ (النساء: ١٩).

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ٢٩).

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ (النساء: ٤٣).

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩).

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (النساء: ٧١).

﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٩٤).

﴿آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥).

﴿آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ النساء: ١٣٦).

﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (النساء: ١٤٤).

وفي المائدة ستة عشر موضعًا:

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١).

﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٢).

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (المائدة: ٦).

﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ (المائدة: ٨).

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ (المائدة: ١١).

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥).

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ (المائدة: ٥١).

﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ (المائدة: ٥٤).

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ (المائدة: ٥٧).

﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧).

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ (المائدة: ٩٠).

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ (المائدة: ٩٤).

﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ﴾ (المائدة: ٩٥).

﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ (المائدة: ١٠١).

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥).

﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٦).

وفي الأنفال ستة مواضع:

﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ (الأنفال: ١٥).

﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (الأنفال: ٢٠).

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ٢٤).

﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩).

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ (الأنفال: ٤٥).

وفي التوبة ستة مواضع:

﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ (التوبة: ٢٣).

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ﴾ (التوبة: ٣٤).

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ (التوبة: ٣٨).

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ (التوبة: ١٢٣).

وفي الحج (موضع واحد):

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (الحج: ٧٧).

والنور ثلاثة مواضع:

﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور: ٢١).

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النور: ٢٧).

﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النور: ٥٨).

وفي الأحزاب سبعة مواضع:

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (الأحزاب: ٩).

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١).

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (الأحزاب: ٤٩).

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾ (الأحزاب: ٦٩).

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ٧٠).

وفي سورة محمد موضعان:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ (محمد: ٧).

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ (محمد: ٣٣).

وفي الحجرات خمسة (مواضع).

﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ (الحجرات: ١).

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ (الحجرات: ٢)

﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ (الحجرات: ٦).

﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ (الحجرات: ١١).

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (الحجرات: ١٢).

وفي الحديد موضع (واحد):

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا﴾ (الحديد: ٢٨).

وفي المجادلة ثلاثة مواضع:

﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾ (المجادلة: ٩).

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ (المجادلة: ١١).

﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ (المجادلة: ١٢).

وفي الحشر موضع:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ﴾ (الحشر: ١٨).

وفي الممتحنة ثلاثة (مواضع):

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي﴾ (الممتحنة: ١)

﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ (الممتحنة: ١٠)

﴿لَا تَتَوَلَّوْا﴾ (الممتحنة: ١٣).

وفي الصف ثلاثة مواضع:

﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ (الصف: ٢).

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ (الصف: ١٠).

﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤).

وفي الجمعة موضع واحد:

﴿إِذَا نُودِيَ﴾ (الجمعة: ٩).

وفي المنافقين موضع:

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ (المنافقون: ٩).

وفي التغابن: موضع:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ (التغابن: ١٤).

وفي التحريم موضعان:

﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (التحريم: ٦).

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ (التحريم: ٨).

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾:

حرف واحد في التحريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (التحريم: ٧).

قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ ﴾ في الجمعة (الجمعة: ٦).

فصـــل

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ ثلاثة عشر حرفا:

في الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال: ٦٤).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ (الأنفال: ٦٥).

﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾ (الأنفال: ٧٠).

وفي التوبة: ﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ ﴾ (التوبة: ٧٣).

وفي الأحزاب (خمسة):

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (الأحزاب: ١).

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ ﴾ (الأحزاب: ٢٨).

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ ﴾ (الأحزاب: ٤٥).

﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٠).

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٩).

وفي الممتحنة واحد: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ (الممتحنة: ١٢).

وفي الطلاق (موضع):

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (الطلاق: ١).

وفي التحريم: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ (التحريم: ١).

﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (التحريم: ٩).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾: حرفان:

في المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ﴾ (المائدة: ٤١).

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ (المائدة: ٦٧).

قوله: ﴿فَلَمَّا﴾ مائة حرف وحرف:

في البقرة (سبعة مواضع): ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ (البقرة: ١٧).

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ (البقرة: ٣٣)

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ٨٩).

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ﴾ (البقرة: ٢٤٦).

﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وفي آل عمران (موضعان):

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ (آل عمران: ٣٦).

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ (آل عمران: ٥٢).

وفي النساء: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ (النساء: ٧٧).

وفي المائدة: (موضع):

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٧).

وفي الأنعام: سبعة مواضع:

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ (الأنعام: ٤٤).

﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ (الأنعام: ٧٦).

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ (الأنعام: ٧٦).

﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ﴾ (الأنعام: ٧٧).

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ (الأنعام: ٧٧).

﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ﴾ (الأنعام: ٧٨).

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ (الأنعام: ٧٨).

وفي الأعراف:

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ (الأعراف: ٢٢).

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا﴾ (الأعراف: ١١٦).

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ (الأعراف: ١٣٥).

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى﴾ (الأعراف: ١٤٣).

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ (الأعراف: ١٦٥).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ (الأعراف: ١٦٦).

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩).

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ (الأعراف: ١٨٩).

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ (الأعراف: ١٩٠).

وفي الأنفال: موضع واحد:

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ﴾ (الأنفال: ٤٨).

وفي التوبة: (موضعان):

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: (التوبة: ٧٦).

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾: (التوبة: ١١٤).

وفي يونس: (خمسة مواضع):

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ (يونس: ١٢).

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ (يونس: ٢٣).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ (يونس: ٧٦).

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ (يونس: ٨٠).

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ (يونس: ٨١).

وفي هود: (أربعة مواضع):

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾ (هود: ٦٦).

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾ (هود: ٧٠).

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ (هود: ٧٤).

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ (هود: ٨٢).

وفي يوسف (ثلاثة عشر موضعًا).

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ﴾ (يوسف: ١٥).

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ (يوسف: ٢٨).

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ (يوسف: ٣١).

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ (يوسف: ٣١).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ (يوسف: ٥٠).

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ (يوسف: ٥٤).

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ (يوسف: ٦٣).

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ (يوسف: ٦٦).

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾ (يوسف: ٧٠).

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا مِنْهُ خَلَصُوا﴾ (يوسف: ٨٠).

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾ (يوسف: ٨٨).

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ (يوسف: ٩٦).

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ (سوف: ٩٩).

وفي الحجر موضع واحد:

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (الحجر: ٦١).

وفي الإسراء: (موضع واحد):

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ (الإسراء: ٦٧).

وفي الكهف (موضعان):

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ (الكهف: ٦١).

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ (الكهف: ٦٢).

وفي مريم: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾ (مريم: ٤٩).

وفي طه: ﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا﴾ (طه: ١١).

وفي الأنبياء: موضع واحد: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا﴾ (الأنبياء: ١٢).

وفي الشعراء: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ (الشعراء: ٤١).

﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ (الشعراء: ٦١).

وفي النمل سبعة مواضع:

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ (النمل: ٨).

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ (النمل: ١٠).

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ (النمل: ١٣).

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ (النمل: ٣٦).

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ (النمل: ٤٠).

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ (النمل: ٤٢).

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ﴾ (النمل: ٤٤).

وفي القصص سبعة مواضع:

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ (القصص: ١٩).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ (القصص: ٢٥).

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ (القصص: ٢٩).

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ (القصص: ٣٠).

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ (القصص: ٣١).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ﴾ (القصص: ٣٦).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ (القصص: ٤٨).

وفي العنكبوت موضع واحد:

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ (العنكبوت: ٦٥).

وفي لقمان: موضع واحد:

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ (لقمان: ٣٢).

وفي الأحزاب: موضع واحد:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

وفي سبأ (موضعان):

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ (سبأ: ١٤).

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ (سبأ: ١٤).

وفي فاطر: موضع واحد:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ (فاطر: ٤٢).

وفي الصافات (موضع):

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ (الصافات: ١٠٣).

وفي غافر ثلاثة مواضع:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا ﴾ (غافر: ٢٥).

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ (غافر: ٨٣).

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ (غافر: ٨٤).

وفي الزخرف: ثلاثة مواضع:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا ﴾ (الزخرف: ٤٧).

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾ (الزخرف: ٥٠).

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ (الزخرف: ٥٥).

وفي الأحقاف:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا ﴾ (الأحقاف: ٢٤).

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾ (الأحقاف: ٢٩).

﴿فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ الأحقاف: ٢٩).

وفي الحشر موضع واحد:

﴿فَلَمَّا كَفَرَ ﴾ (الحشر: ١٦).

وفي الصف: موضعان:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا ﴾ (الصف: ٥).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ (الصف: ٦).

وفي التحريم موضعان:

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ﴾ (التحريم: ٣).

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ (التحريم: ٣)

وفي الملك (موضع):

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ (الملك: ٢٧).

وفي «ن»:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ (القلم: ٢٦).

فصـــل

فأما قوله: ﴿وَلَمَّا﴾ بالواو فواحد وثلاثون حرفا:

في البقرة أربعة مواضع:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾ (البقرة: ٨٩).

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ (البقرة: ١٠١).

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾ (البقرة: ٢١٤).

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟﴾ (البقرة: ٢٥٠).

وفي آل عمران: موضع:

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٤٢).

وفي الأعراف خمسة مواضع:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ (الأعراف: ١٣٤).

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ (الأعراف: ١٤٩).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ (الأعراف: ١٥٤).

وفي التوبة موضع: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ (التوبة: ١٦).

وفي يونس موضع:

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ (يونس: ٣٩).

وفي هود ثلاثة مواضع:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا﴾ (هود: ٥٨).

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ (هود: ٧٧).

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ (هود: ٩٤).

وفي يوسف ستة مواضع:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ (يوسف: ٢٢).

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ (يوسف: ٥٩).

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ (يوسف: ٦٥).

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ (يوسف: ٦٨).

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ (يوسف: ٦٩).

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ (يوسف: ٩٤).

وفي القصص ثلاثة مواضع:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ (القصص: ١٤).

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ (القصص: ٢٢).

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ﴾ (القصص: ٢٣).

وفي العنكبوت موضعان:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ (العنكبوت: ٣١).

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ (العنكبوت: ٣٣).

وفي الأحزاب موضع:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ (الأحزاب: ٢٢).

وفي الزخرف ثلاثة مواضع:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ (الزخرف: ٣٠).

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (الزخرف: ٥٧).

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (الزخرف: ٦٣).

وفي الحجرات موضع:

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

فصل

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ حرف واحد في البقرة (البقرة: ٤).

قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: حرفان: في النمل، (النمل: ٣).

ولقمان: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (لقمان: ٤).

قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾: حرف واحد في الأعراف: (الأعراف: ٤٥).

وقوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: ثلاثة أحرف: في (هود: ١٩)، (يوسف: ٣٧)، وحم السجدة (فصلت: ٧).

فصــل

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ تسعة أحرف:

في البقرة أربعة مواضع: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٢١٥).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ٢١٧).

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ (البقرة: ٢١٩).

وفي المائدة موضع: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ (المائدة: ٤).

وفي الأعراف: موضعان:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٧).

وفي الأنفال: موضع:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ (الأنفال: ١).

وفي النازعات: موضع:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: (النازعات: ٤٢).

فأما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ بواو، فستة أحرف:

في البقرة ثلاثة مواضع: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وفي الإسراء بنى إسرائيل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ (الإسراء: ٨٥).

وفي الكهف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ (الكهف: ٨٣).

وفي طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ (طه: ١٠٥) [1].

(١) عجائب علوم القرآن لابن الجوزي - حققه وقدم له وعلق عليه د. عبد الفتاح عاشور. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م/ ١٦٨ - ٢٢٠.
انظر أيضا: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصرى - تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف - جمهورية مصر العربية - وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م/ ٣٣٦، وكشف المعاني في متشابه المثاني لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي - حققه وقدم له وعلّق عليه الدكتور محمد محمد داود. دار المنار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، والبرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة ابن نصر الكرماني،المطبوع بعنوان«أسرار التكرار في القرآن» - تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الاعتصام . القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، والطبعة الثالثة دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، والإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١٤٦/٢ - ١٤٨، والتحبير في علم التفسير للسيوطي أيضا - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١٢٤، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده. دار الكتب العلمية. بيروت. د. ت ٤٨٢/٢، وأسرار التكرار في لغة القرآن. تأليف الدكتور محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م، والنظم القرآني في كشاف الزمخشري - الدكتور درويش الجندي - دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٦٩م/ ١٣٩ - ١٤٢، ونظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي - نهضة مصر ٢٠٠٢. والموسوعة القرآنية المتخصصة - إشراف وتقديم أ.د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف. جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م/ ٤٦٠ - ٤٦٢.

(٥٥) التقرير

يقول الشريف الجرجاني موجزًا في تعريف «التقرير» الفرق بين التحرير والتقرير أن التحرير بيان المعنى بالكتابة، والتقرير بيان المعنى بالعبارة.

التعريفات للسيد الشريف الجرجاني:

تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة/ ٩٣.

ويرد الكلام عن «التقرير» في المصادر التي لدينا باعتباره أحد الأغراض التي تخرج بها ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي فيستفهم بها عن الشيء، مع العلم به (**جواهر البلاغة/٧٢**)، وهو موضوع هذه المادة.

أما المعنى الأصلي للاستفهام فهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وذلك بإحدى أدواته «هي» الهمزة، هل، ما، من، متى، أيّان، كيف، أين، أنّى، كم، أيّ (**جواهر البلاغة/٦٧ - ٧٢**)

ونسوق فيما يلي ما ورد في المصادر التي لدينا عن «التقرير» باعتباره أحد الأغراض التي تخرج بها ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي كما سبق القول، وبالله التوفيق.

١- مع القرآن الكريم بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق/ ٢٥٦، ٢٥٧:

ذكره الإمامُ الأكبر - رحمه الله - باعتباره أحد أغراض التكرار اللفظي وفوائده، فقال - رحمه الله - عن التقرير والتكرار:

فالتكرار عامل قوي في تكوين الآراء وانتشارها، وقد **قيل**: الكلام إذا تكرّر تقرّر، وهو وسيلة للإقناع عند الحاجة، لا سيما إذا ما تنوعت صيغه وأساليبه، وقد نبّه الله -سبحانه - على السبب الذي من أجله تكررت في القرآن الأقاصيص والآيات في قوله - تعالى - في سورة طه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (طه: ١١٣).

(**مع القرآن الكريم/ ٢٥٦، ٢٥٧**).

٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. تأليف الدكتور أحمد مطلوب ١٩٠/١، ١٩١:

تحت عنوان «استفهام التقرير»: جاء في **المعجم** ما يلي:

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده: **قال ابن جني**: «ولا يستعمل ذلك بـ «هل» كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام».

وقال الكندي: «ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ (الشعراء: ٧٢، ٧٣) إلى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ». ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بـ «هل» إنما يستعمل فيه الهمزة، ثم نقل بعضهم أن «هل» تأتي تقريرًا كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر:٥). والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب. فالأول كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح: ١، ٢) وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: ٦، ٧)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (الفيل: ٢، ٣).

والثاني كقوله تعالى: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ (النمل: ٨٤).

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات».

وقسّم الآمدي التقرير إلى ضربين حينما تحدث عن الخطأ في قول أبي تمام:

رضيت وهل أرضَى إذا كان مسخطي ... من الأمر ما فيه رضى من له الأمرُ

قال: «فمعنى هل في هذا البيت التقرير، والتقرير على ضربين: تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع، أو على فعل هو في الحال ليوجب المقرر بذلك

ويحققه، ويقتضى من المخاطب في الجواب الاعتراف به، نحو قوله: هل أكرمك؟ هل أحسنت إليك؟ هل أودّك وأوثرك؟ هل أقضى حاجتك؟

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينفى أن يكون قد وقع نحو قوله: «هل كان منى إليك قط شيء كرهته؟» و«هل عرفت منى غير الجميل؟».

فقوله في البيت: «وهل أرضى» تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل: «وهل يمكننى المقام على هذه الحال؟» أي، لا يمكنني، و «هل يصبر الحرّ على الذّل؟ «و» هل يَرْوَى زيد؟ «و» هل يشبع عمرو؟، فهذه كلها أفعال معناها النفى. فقوله: «وهل أرضَى» إنما هو نفى للرّضى فصار المعنى: ولستُ أرضى، إذ كان الذى يسخطنى ما فيه رضى من له الأمر، أى: رضى الله تعالى، وهذا خطأ منه فاحش» (**الموازنة** ح ١ ص ٢٠١، ٢٠٢).

(معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/١٩٠، ١٩١).

٢- البلاغة، فنونها وأفنانها. علم المعاني. الدكتور فضل حسن عباس/١٩٧ - ٢٠٠.

يبدأ المؤلف بالتقرير باعتباره أهم الأغراض التى تخرج إليها أدوات الاستفهام، وهى أغراض يمكن أن تفهم من السياق فيقول:

مفهوم التقرير:

ومعناه أن تقرر المخاطب بشيء ثبت عنده، لكنك تخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام، ذلك لأنه أوقع في النفس، وأدل على الإلزام.

انظر إلى قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (الملك: ٨)، فإن الغرض منه إقرارهم بمجيء النذير، لكنه أخرجه بصورة الاستفهام، وذلك لما فيه من حجة دامغة.

أقسامه:

١- بمعنى التحقيق والتثبيت:

ومنه قولك لصاحبك: ألم أفتح لك كثيرًا من أبواب الخير؟ أي: قد تعلمت ذلك.

ومنه قولك لابنك، وقد نهيته عن فعل ما، ولكنه فعله: أفعلت هذا؟

أنت لا تستفهم أفعل أم لم يفعل؟ لذلك أنت لا تريد جوابًا، بل تريد أن تخبره بأنه فعل، وأن تنزع اعترافه بذلك.

وهذا كثير في التنزيل: يقول العبد الصالح لموسى - عليه السلام - ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٥)؛ فهو وتحقيق وتثبيت لما قاله موسى من قبل، وقد حدثنا القرآن الكريم أن موسى لما طلب من العبد الصالح أن يتبعه، بيّن له أنه لا يستطيع: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف: ٦٥ - ٦٨). قول العبد الصالح إذن: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٥)؛ معناه: إنني قد قلت ذلك، فهو تثبيت للقول، وتحقيق له.

ومنه قوله سبحانه في شأن أخوة يوسف - عليه السلام-: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٠). وهم لا ينكرون ذلك، فهو يريد تثبيت أخذ الميثاق، وتحقيقه، والمعنى: قد علمتم أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله.

ومن ذلك قول فرعون لموسى - عليه السلام-: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء: ١٨)، فإن موسى لا ينكر ذلك، وإنما يريد فرعون تثبيت هذا الأمر، أي: قد ربّيناك فينا وليدا.

وهذا القسم من الاستفهام التقريري هو إنشاء من حيث اللفظ، خبر من حيث المعنى؛ إنشاء من حيث اللفظ؛ لأن صيغة الاستفهام من أقسام الإنشاء - كما عرفت -، خبر من حيث المعنى؛ لأن معناه - كما رأيت - تثبيت الخبر وتحقيقه،

فمعنى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾، قد ربَّيناك، ومعنى ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا﴾ (يوسف: ٨٠)؛ قد علمتم، ومعنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١)؛ قد شرحناه.

وهذه الجمل: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾، ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ لفظها إنشاء، ومعانيها أخبار، وهذا القسم كذلك لا يطلب المتكلم له جوابًا؛ لأنه إنما يريد تحقيق الخبر فقط، فهو لا يحتاج إلى جواب من المخاطب.

٢- طلب إقرار المخاطب بما يريد المتكلم:

وهذا كثير في التنزيل كذلك؛ قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف:١٧٢)، وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ (الزمر: ٣٦)، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ (يس: ٨١)، ومنه قولك لأحد طلابك: ألستُ بأستاذك؟

ويختلف هذا القسم عن سابقه بما يلي:

(أ) هو إنشاء لفظًا ومعنى: فقولك: ألستُ بأستاذك؟ هذه إنشاء من حيث اللفظ؛ لأنها على صورة الاستفهام، والاستفهام من أقسام الإنشاء، وهي إنشاء كذلك من حيث المعنى، فإن المقصود من العبارة حمل تلميذك على أن يقرّ بذلك، وهكذا الآيات الكريمة.

(ب) أن هذا القسم يحتاج إلى جواب وألا ترى أنه قد جاء في كثير من الآيات الكريمة جوابًا على هذا الاستفهام، مثل قوله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يس: ٨١)، ويندب لمن قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: ٤٠)، أو ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ (التين: ٨) - وهما آخر آيات السورتين - أن يقول: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين (جواب هذا الاستفهام - كما رأيت - حرف (بلى)، ولا يجوز أن يكون (نعم).

وهكذا حين تقول لتلميذك: ألستُ بأستاذك؟ فإنك تنتظر منه جوابا.

ولا تظن أن الاستفهام التقريرى لا يكون إلا بالهمزة وحدها؛ مثل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ (الشرح: ١)، أو بها وبـ (ليس) ؛ مثل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ (الزمر: ٣٦)، فقد يكون بالهمزة مع (لم) - كما عرفت من قبل - وقد يكون بالهمزة من غير نفي؛ كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٢)، فإن قوم إبراهيم - عليه السلام - ليس غرضهم الاستفهام الحقيقى، وهو ما يجهله المتكلم، فإنهم لم يكونوا ليجهلوا ذلك، بل كانوا يعلمون أن إبراهيم - عليه السلام - فعل ذلك، بدليل قوله سبحانه في ما تقدم من آيات: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، وقوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٠) ؛ كل الذى أرادوه أن يقرروا إبراهيم بما كان منه، ليكون ذلك أدعى لتقريعه وإقامة الحجة عليه.

وقد يكون الاستفهام التقريرى بغير الهمزة كذلك، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان: ١)، فهذا استفهام تقريري، معناه التحقيق، لذلك ذهب كثير من العلماء إلى أن معنى (هل) في الآية الكريمة (قد)، أي: قد أتى على الإنسان حين من الدهر، ومنه قول عمر أبي ريشة:

أُمتي هل لكِ بين الأممِ ... منبرٌ للسيفِ أو للقلمِ

والغرض البيانى من الاستفهام التقريرى إلزام المخاطب بالحجة، وانتزاع الاعتراف منه بما يريده المتكلم، وفي ذلك غرض نفسي، وذلك لأن البيان والبلاغة لهما صلة وثيقة بقضايا النفس وبعلم النفس كذلك.

(البلاغة. فنونها وأفنانها. علم المعانى/ ١٩٧ - ٢٠٠).

٤- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

(٣٢٨/٢، ٣٣١ - ٣٣٨، ٣٤٤ - ٣٤٦)

في كلامه عن أقسام الاستفهام **يقول الإمام بدر الدين الزركشي** (٣٢٨/٢١): وهو قسمان:

بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء؛ فالأول بمعنى الخبر، وهو ضربان: أحدهما نفي وإثبات، فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير؛ لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب، والثاني إقراره به، انتهى.

ويبدأ الإمام الزركشي بالكلام عن «استفهام الإنكار» (٣٢٨/٢ - ٣٣١) ثم يتبعه بالكلام عن «استفهام التقرير»، وهو ما نحن بصدده. فيقول - رحمه الله - : (٣٣١/٢ - ٣٣٨):

التقرير حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده، قال أبو الفتح في «الخاطريات».

(الخاطريات، لأبي الفتح عثمان بن جني، يذكر بقوله: «ما أحضر فيه الخاطر من المسائل المنثورة؛ مما أمللته، أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي؛ وغير ذلك مما هذه حالته وصورته، وانظر، مقدمة الأستاذ النجار لكتاب الخصائص ٦٤).

جاءوا بِمَذْقٍ هل رأيت الذئب قطّ

صدره:

حَتَّى إذا جَنَّ الظَّلامُ وَاخْتَلَطْ

والبيت من شواهد ابن عقيل ٢ : ١٥٨.

و«هل» لا تقع تقريرًا كما يَقَعُ غيرها مما هو للاستفهام. انتهى.

(هو التاج أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي النحوي «من علماء اللغة والنحو» توفي سنة ٦١٣).

وقال الكندي: ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ (الشعراء: ٧٢).

إلى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ؛ إلا أني رأيت أبا عليّ أبى ذلك، وهو معذور، فإن ذلك من قبيل الإنكار. انتهى.

ونقل الشيخ أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل؛ إنما تستعمل فيه الهمزة. ثم نقل عن بعضهم أن «هل» تأتي تقريرًا، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر: ٥).

والكلام مع التقرير موجَب؛ ولذلك يُعطف عليه صريح الموجَب، ويُعطف على صريح الموجَب.

فالأول، كقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: ٦، ٧)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح: ١، ٢). ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (الفيل: ٢).

والثاني، كقوله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ (النمل: ٨٤)، على ما قرره الجرجاني، في النظم؛ حتى جعلها مثل قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل: ١٤).

ويجب أن يلي الأداة الشيء الذي تقرر بها، فتقول في تقرير الفعل: «أضربت زيدًا؟»، والفاعل نحو: «أأنت ضربت؟»، أو المفعول «أزيدًا ضربت»، كما يجب في الاستفهام الحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ (الأنبياء: ٦٢)، يحتمل الاستفهام الحقيقي؛ بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، والتقريري بأن يكونوا علموا، ولا يكون استفهاما عن الفعل، ولا تقريرا له، لأنه لم يله، ولأنه أجاب بالفاعل بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ (الأنبياء: ٦٣).

وجعل الزمخشري منه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦).

وقيل: أراد التقريرَ بما بعد النفي لا التقرير بالنفي، والأولى أن يجعل على الإنكار، أي: ألم تعلم أيُّها المنكر للنسخ إشارة إلى ما ورد في صدر الآية السابقة: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (البقرة: ١٠٦).

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي ونفي المنفي إثبات. والذي يُقرِّر عندك أن معنى التقرير الإثبات قول ابن السراج: فإذا أدخلت على «ليس» ألف الاستفهام كانت تقريرًا ودخلها معنى الإيجاب فلم يحسن معها «أحد»؛ لأن «أحدا» إنما يجوز مع حقيقة النفي؛ لا تقول: ليس أحدٌ في الدار؛ لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار، وأحد لا تستعمل في الواجب. انتهى.

وأمثلته كثيرة، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، أي: أنا ربكم.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة: ٤٠).

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (يس: ٨١).

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر: ٣٦).

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ (الزمر: ٣٧).

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٣٢).

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «أينقص الرُّطب إذا جفّ»، وقول جرير:

ألستمُ خيرَ مَن ركبَ المطايا

واعلم أن في جعلهم الآية الأولى من هذا النوع إشكالا، لأنه لو خرج الكلام

عن النفى لجاز أن يجاب نعم، وقد قيل: إنهم لو قالوا: «نعم» كفروا، ولما حَسُن دخول الباء في الخبر، ولو لم تفد لفظة الهمزة استفهامًا لما استحق الجواب، إذ لا سؤال حينئذ.

والجواب يتوقف على مقدّمة، وهي أن الاستفهام إذا دخل على النفي، يدخل بأحد وجهين:

إما أن يكون الاستفهام عن النفي: هل وجد أم لا؟ فيبقى النفى على ما كان عليه، أو للتقرير كقوله: ألَمْ أحسن إليك! وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١)، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ (الضحى: ٦).

فإن كان بالمعنى الأول لم يجز دخول «نعم» في جوابه إذا أردت إيجابه، بل تدخل عليه «بلى». وإن كان بالمعنى الثانى - وهو التقرير - فللكلام حينئذ لفظ ومعنى، فلفظه نفيٌ داخل عليه الاستفهام، ومعناه الإثبات؛ فبالنظر إلى لفظه تجيبه ببلى، وبالنظر إلى معناه، وهو كونه إثباتًا تجيبه بنعم.

وقد أنكر عبد القاهر (**دلائل الإعجاز**/٨٨، ٨٩) الهمزة للإيجاب؛ لأن الاستفهام يخالف الواجب، وقال: إنها إذا دخلت على «ما» أو «ليس» يكون تقريرًا وتحقيقًا، فالتقرير كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ (المائدة: ١١٦)، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾ (الأنبياء: ٦٢).

واعلم أن هذا النوع يأتى على وجوه:

الأول: مجردُ الإثبات، كما ذكرنا.

الثاني: الإثبات مع الافتخار؛ كقوله تعالى عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ (الزخرف: ٥١).

الثالث: الإثبات مع التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ (النساء: ٩٧). أي: هي واسعة، فهلاّ هاجرتم فيها!

الرابع: مع العتاب، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد: ١٦)، قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين. وما ألطف ما عاتب الله به خير خلقه بقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣)، ولم يتأدب الزمخشرى بأدب الله تعالى في هذه الآية.

الخامس: التبكيت، كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ (المائدة: ١١٦) هو تبكيت للنصارى فيما ادّعوه؛ كذا جعل السكاكيّ وغيره هذه الآية من نوع التقرير. وفيه نظر لأن ذلك لم يقع منه.

السادس: التسوية، وهى الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلّها، كقوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ (يس: ١٠)، أى سواء عليهم الإنذار وعدمه، مجرّدة للتسوية، مضمحلا عنها معنى الاستفهام.

ومعنى الاستواء فيه استواؤهما في علم المستفهَم؛ لأنه قد عُلِم أنه أحد الأمرين كائن.

إما الإنذار وإما عدمه؛ ولكن لا يعيّنه، وكلاهما معلومٌ بعلم غير معين.

فإن **قيل:** الاستواء يُعلم من لفظة «سواء»، لا من الهمزة، مع أنه لو عُلِم منه لزم التكرار.

قيل: هذا الاستواء غير ذلك الاستواء المستفاد من لفظة «سواء».

وحاصله أنه كان الاستفهام عن مستويين فجرّد عن الاستفهام، وبقى الحديث عن المستويين. ولا يكون في إدخال «سواء» عليه لتغايرهما، لأن المعنى أن المستويين في العلْم يستويان في عدم الإيمان. وهذا - أعنى حذف مقدّر واستعماله فيما بقى - كثير في كلام العرب، كما في النداء، فإنه لتخصيص المنادى وطلب إقباله، فيحذف قيد الطلب، ويستعمل مطلق الاختصاص، نحو «اللهم اغفر لنا أيتها العصابة»، فإنه ينسلخ عن معنى الكلمة؛ لأن معناه مخصوص من بين سائر العصائب.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ (إبراهيم: ٢١).

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ (المنافقون: ٦).

﴿أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ (الشعراء: ١٣٦).

وتارة تكون التسوية مصرحًا بها كما ذكرناه، وتارة لا تكون، كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ﴾ (الأنبياء: ١٠٩).

السابع، التعظيم، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

الثامن، التهويل، نحو: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ (الحاقة: ١، ٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ (القارعة: ١٠).

وقوله: ﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ (يونس: ٥٠)، تفخيم للعذاب الذى يستعجلونه.

التاسع، التسهيل والتخفيف، كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ (النساء: ٣٩).

العاشر، التفجّع، نحو: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ (الكهف: ٤٩).

الحادى عشر، التكثير، نحو: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ (الأعراف: ٤).

الثانى عشر، الاسترشاد، نحو: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ (البقرة: ٣٠)؛ والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين، وإنما فرق بين العبارتين أدبا. **وقيل:** هى هنا للتعجب.

(البرهان في علوم القرآن ٢/٣٣١ - ٣٣٨).

ويتابع الإمام بدر الدين الزركشي الكلام عن «التقرير» في موضع لاحق (٢/٢٤٤-٢٤٦) فيقول عن الفائدة الرابعة للاستفهام، بعد أن ذكر من فوائده ثلاث فوائد (٢/٣٢٧ - ٣٤٤):

الفائدة الرابعة: قد يجتمع الاستفهام الواحد للإنكار والتقرير، كقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ (الأنعام: ٨١)، أي: ليس الكفار آمنين، والذين آمنوا أحق بالأمن؛ ولما كان أكثر مواقع التقرير دون الإنكار، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢).

وقد يحتملهما، كقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات: ١٢).

ويحتمل أنه استفهام تقرير، وأنه طلب منهم أن يُقروا بما عندهم تقرير ذلك؛ ولهذا قال مجاهد: التقدير: «لا» فإنهم لما استفهموا استفهام تقرير بما لا جواب له إلا أن يقولوا «لا» جعلوا كأنهم قالوا، وهو قول الفارسي والزمخشري.

ويحتمل أن يكون استفهام إنكار، بمعنى التوبيخ على محبتهم لأكل لحم أخيهم فيكون «ميتة»، والمراد محبتهم له غيبته على سبيل المجاز، و «فكرهتموه» بمعنى الأمر، أي: أكرهوه.

ويحتمل أن يكون استفهام إنكار بمعنى التكذيب، أنهم لما كانت حالهم حال من يدّعي محبة أكل لحم أخيه نُسب ذلك إليهم، وكذبوا فيه، فيكون «فكرهتموه».

الخامسة: إذا خرج الاستفهام عن حقيقته؛ فإن أريد التقرير ونحوه لم يحتج إلى معادل، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦)، فإن معناه التقرير.

وقال ابن عطية: ظاهره الاستفهام المحض، والمعادل على قول جماعة: «أم يريدون».

وقيل: «أم» منقطعة فالمعادل عندهم محذوف، أي: «أم علمتم»، وهذا كله على أن القصد مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة أمته، وأما إن كان هو المخاطب وحده فالمعادل محذوف لا غير، وكلا القولين مرويّ. انتهى.

وما قاله غير ظاهر، والاستفهام هنا للتقرير فيستغنى عن المعادل، أما إذا كان على حقيقته، فلابدّ من تقدير المعادل، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾ (الزمر: ٢٤)، أي: كمن ينعم ـ في الجنة؟

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ ﴾ (فاطر: ٨). أي: كمن هداه الله، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ (فاطر:٨)، التقدير: ذهبت نفسك عليهم حسرات، بدليل ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ﴾ (فاطر: ٨).

وقد جاء ـ في التنزيل موضع صُرّح فيه بهذا الخبر، وحذف المبتدأ، على العكس ممّا نحن فيه، وهوقوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٥)، أي: كمن هو خالد ـ في الجنة يُسقى من هذه الأنهار، كمن هو خالد ـ في النار؟ على أحد الأوجه.

وجاء مصرحًا بهما على الأصل ـ في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾[1].

(البرهان ـ في علوم القرآن ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٦).

---

(١) التعريفات للسيد الشريف على بن محمد بن على السيد الزين أبى الحسن الحسينى الجرجانى الحنفى - تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧/ ٩٢، ومع القرآن الكريم بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر. الأزهر الشريف. الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية. قضايا إسلامية معاصرة (٨). د. ت ٢٥٦، ٢٥٧. ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف الدكتور أحمد مطلوب. مطبوعات المجمع العلمى العراقى. مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ١/ ١٩٠، ١٩١، والبلاغة.. فنونها وأفنانها (علم المعانى). سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١) علم المعانى. دار الفرقان. عمان ٢٠٠٤م/ ١٩٧ - ٢٠٠، والبرهان ـ في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم دار التراث. القاهر د. ت، ٢/ ٣٢٨، ٣٣١ - ٣٣٨، ٣٤٤ - ٣٤٦، انظر أيضا، الإتقان ـ في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ٢/ ١٠٤، والتحبير ـ في علم التفسير لشيخ الإسلام جلال الدين السيوطى أيضا. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م/ ٩٨، وجواهر البلاغة ـ في المعانى والبيان والبديع تأليف العلامة السيد/ أحمد الهاشمي. حقّقه وفهرسه حسن نجار محمد. مكتبة الآداب. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ٢٠٠٥م/ ٧٢.

(٥٦) التعريض

أوردناه «تحت» الكناية والتعريض» رقم (١٢) سابقًا فارجع إليه.

(٥٧) التصريح

يرد في المصادر بلفظ «الصريح». وقد جاء في **اللسان** (ص٢٤٢٤)، مادة «صرح»: الصريح: الخالص من كل شيء، وهو فن الكتابة.. ثم أضاف في ص ٢٤٢٢ قوله: والتصريح خلاف التعريض:

(**لسان العرب لابن منظور** ٢٤٢٤/٢٧، ٢٤٢٥)

وقد أوردنا مادة «الكناية والتعريض» تحت رقم (١٢) سابقا فارجع إليها.

ويختص المطلب الثاني من «قاموس القرآن الكريم» بالكلام عن «المجاز» ويعدّد فروع: ومن بينها الفرع الخامس الذى أفرده للكلام عن «الصريح والكناية» ونسوق نصه فيما يلي:

الفرع الخامس: الصريح والكناية: تنقسم الحقيقة والمجاز إلى صريح وكناية:

فالصريح: كل لفظ ظهر وانكشف المعنى المراد منه ظهورًا تامًا مطلقًا. حقيقة أو مجازًا. غير مستتر، وذلك يرجع إلى كثرة استعماله في المعنى وهو بهذا يشمل الحقيقة والمجاز، فصريح الحقيقة مثل: قرأت. فهذا حقيقة لغوية، وصليت، حقيقة شرعية، ولست مؤاخذًا عرفًا. حقيقة عرفية.

وصريح المجاز مثل: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ (الكهف: ٧٧). فهذا صريح وإن كان مجازًا، فالجدار لا إرادة، وكقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) فهو صريح في أن المراد منه سؤال أهل القرية، وكقول القائل، لا آكل من الشجرة، فهو صريح، وإن كان مجازًا لهجر المعنى الحقيقي وهو الأكل من ذات الشجرة، وهو معنى غير وارد فينصرف إلى المجاز، فهذه كلها ألفاظ استعملت في المعنى المجاري، وغلب استعمالها فيه على استعمالها في حقيقة اللفظ.

وأما الكناية: فهي لفظ استتر المعنى المراد منه مطلقًا ولم ينكشف بالنظر إلى استعماله ولا يفهم إلا بقرينة، وهذا الاستتار قد يكون في الحقيقة أو المجاز.

ومثال كناية الحقيقة: كقولك: كنت أصلي تريد أنك كنت تدعو، وقولك: قتلت دابة تريد ثعبانًا، فهذه ألفاظ استعملت فيما وضعت له لغة، فهي حقائق لغوية، إلا أن المراد منها لا ينكشف للسامع، لأن هذه الحقائق قد هجرت وغلب استعمال هذه الألفاظ في مجازاتها. فحقيقة الصلاة الدعاء، لكن غلب استعمالها في العبادة المخصوصة، وحقيقة الدابة كل ما يدب على الأرض، لكن غلب استعمالها في ذوات الأربع.

وكناية المجاز: كقول القائل لزوجته: حبلك على غاربك أو الحقي بأهلك، فالمراد هنا المعنى المجازي لا الحقيقي، لكن المعنى المجازي هنا لا ينكشف لقلة استعماله في هذه المعاني، فيحتاج إلى قرينة.

الفرع السادس: حكم الصريح والكناية:

حكم اللفظ الصريح: ثبوت موجبه بنفسه من غير حاجة إلى نية أو قرينة. فالحكم يتعلق بذات اللفظ سواء أراد المعنى وقصده، أم لم يرده؛ وذلك لأن معناه ظاهر واضح. وذلك نحو لفظ الطلاق والعتاق إذا توافرت شروط ما، فإنه صريح في الطلاق والعتق، ولا يسمع له إن قال: أردت غير ذلك، قضاءً، أما بينه وبين ربه فمرجعه إليه.

وأما الكناية فحكمها: عدم ثبوت موجبها إلا بالنية أو القرينة أو ما يقوم مقامها من دلالة الحال. كقول القائل: حبلك على غاربك، يريد بذلك الطلاق، وإنما كانت الكناية كذلك لأن في المراد بها معنى التردد، فلا تكون موجبة للحكم ما لم يزل ذلك التردد بدليل يقترن بها، ولذا سمى الفقهاء لفظ التحريم والبينونة من كنايات الطلاق، وهو مجاز من حيث التسمية، حقيقة من حيث المعنى، باعتبار التردد فيما يتصل به هذا اللفظ، فلا يكون عاملاً إلا بالنية، فسمى كناية من هذا الوجه مجازًا، فأما إذا انعدم التردد بنية الطلاق فاللفظ عامل في حقيقة موجبة فتحصل به الحرمة والبينونة.

وفرق ابن السبكى وغيره بين الصريح والكناية والتعريض، فالتعريض لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ (الأنبياء: ٦٣)، فنسب الفعل إلى كبير الأصنام، كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحًا للعابدين لها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة كما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل، أى: كسر صغارها فضلاً عن غيره، والإله لا يكون عاجزًا. فالتعريض حقيقة أبدًا لأن اللفظ فيه لم يستعمل في غير معناه بخلاف الكناية.

ولا يخفى أن الأصل في الكلام الصريح، لأنه اللفظ الموضوع للإفهام، فالصريح هو اللفظ التام الدال على المراد، والكناية فيها قصور باعتبار الاشتباه فيما هو المراد، **ولذا قال السرخسى:** «إن ما يندرئ بالشبهات لا يثبت بالكناية، فالمقر على نفسه ببعض الأسباب الموجبة للعقوبة ما لم يذكر اللفظ الصريح كالزنا والسرقة لا يصير مستوجبًا للعقوبة».

(أصول السرخسى ١٨٩/١ والتلويح على التوضيح ٢٩٥/١ وتيسير التحرير ١٧٧/٢)[1].

(قاموس القرآن الكريم/ ١٠٨ - ١١٠).

(٥٨) الإشـارة

قال الجرجاني: الإشارة هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن سيق له الكلام ثم قال تحت عنوان «إشارة النص: هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٣) سيق لإثبات النفقة. وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء.

(التعريفات للسيد الشريف الجرجانى/ ٤٩).

---

(١) لسان العرب لابن منظور، دار المعارف القاهرة ١٩٧٩م، ٢٤٢٤/٢٢، ٢٤٢٥، قاموس القرآن الكريم. طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم. القواعد الأصولية اللغوية. د. عجيل جاسم النشيمى. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. الكويت/ ١٠٨ - ١١٠.
انظر أيضاً قاموس القرآن الكريم - المدخل - إعداد نخبة من العلماء والباحثين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. الكويت/٢٠٨، ٢٠٩.

وجاء في **المعجم** عن «الإشارة» ما يلي:

الإشارة:

هي الإيماء عند المتقدمين لأن الإشارة هي الإيماء يقال: أشار إليه باليد أي أومأ، وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه، ويقال: شورّت إليه بيدي وأشرت إليه: أي لوّحت إليه. (**اللسان** مادة «شور»).

وعدّ الجاحظ الإشارة من أصناف الدلالات على المعاني (**البيان والتبين** ٧٦/١)، لكنه لا يريد بها المعنى البلاغي الذي ذكره قدامة في باب «ائتلاف اللفظ والمعنى»، وقال: «هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معانٍ كثيرة بإيماء أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال: هي لمحة دالة» (**نقد الشعر**/١٧٤) قول امرئ القيس:

فإن تهلكْ شنوءة أو تبدلْ ... فسيرى إن في غسّان خالا
بعزهم عززْتَ وإن يذلوا ... فذلهم أنالك ما أنالا

فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معانٍ طوال فمن ذلك قوله: «تهلك» أو «تبدل»، ومنه قوله: «إن في غسّان خالاً»، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح طويل وهو: «أنالك ما أنالا».

وذكرها الجاحظ مرة أخرى بهذا المعنى وربطها بالوحي والحذف وقال: «ورأينا الله - تبارك وتعالى - إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطًا وزاد في الكلام» (**الحيوان** ٩٤/١). وإلى ذلك ذهب العسكري (**كتاب الصناعتين**/ ٣٤٨) وذكر البيتين السابقين، وفعل مثله الباقلاني (**إعجاز القرآن**/١٣٦)، وقال **ابن رشيق**: «والإشارة من غرائب الشعر وملامحه، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه» (**العمدة** ٣٠٢/١). وعدّ من أنواع الإشارة التفخيم، والإيماء، والتعريض،

والتلويح، والكناية، والتمثيل، والرمز، واللمحة، واللغز، واللحن، والتعمية، والحذف، والتورية. وفعل مثل ذلك ابن سنان والتبريزي والبغدادي والمظفر العلوي والحلبي والنويري (**سر الفصاحة** ص٢٤٣، **الوافي** ص٢٦٧، **قانون البلاغة** ص٤١٦، ٤٤١، **نضرة الاغريض** ص٤٣٣) **وقال عبد القاهر**: «كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، وكان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضل فيه» (**دلائل الإعجاز**/٢٣٧).

وقال المصري: «من الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي، وهو يجمع العبارة والإشارة ببعد لا يفهم طريقه إلا ذو فهم، كما قال الشاعر:

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ... ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

(**تحرير التحبير** ص ٢٠٤، **بديع القرآن** ص ٨٢، وينظر **خزانة الأدب** ص ٣٥٨).

وقال ابن قيم الجوزية: «الإشارة أن تطلق لفظًا جليا تريد به معنى خفيا، وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام (**الفوائد**/١٢٥). وأدخل في هذا الفن بعض أمثلة الكناية، وذلك لأنه قسم الإشارة إلى أربعة أقسام:

الأول: هو ما عرف به.

الثاني: أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكبير.

الثالث: المعميات والألغاز.

الرابع: التورية.

وقال: «إن الإشارة في الحسن، والكناية في القبيح» (**الفوائد**/١٢٦)، وهذا هو الفرق بين الفنين عنده، وهذا التقسيم عودة إلى تقسيم السكاكي للكناية إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة (**مفتاح العلوم**/١٩٦)، وكأنّ الإشارة جزء من الكناية، وإن كانت عبارة عبد القاهر: «وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة» توحي بأن كل فن من هذه الفنون قائم بنفسه (**عروس الأفراح** ٤٧١/٤).

ونقل السبكي تعريف قدامة وقال إنها من الإيجاز (**عروس الأفراح** ٤/ ٤٧١)، وذهب إلى ذلك السيوطي، وقال: إنها إيجاز القصر بعينه (**معترك الأقران** ١/ ٣٠٤، **والاتقان** ٢/ ٥٦، **وشرح عقود الجمان**/٧٦) وفرّق المصري بينهما وقال: إن دلالة اللفظ في الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمن أو دلالة التزام (**بديع القرآن**/٨٢)، أي: إن الإشارة كالكناية وليست كالإيجاز.

ولم يخرج المتأخرون كالمدني(**أنوار الربيع** ٥/ ٣٠١، وينظر **المنزع البديع**/ ٢٦٢ **والمنصف**/٥٤). عما بدأه قدامة بل أرجع الإشارة إليه وذكر أنها من مستخرجاته، ولا تكاد أمثلته تخرج على أمثلة السابقين.

ومن أمثلة الإشارة قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ (هود: ٤٤)، فإن ذلك يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء ولولا ذلك لما غاض، ومنه قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ (القصص: ٤٤)، فقد أشارت لفظة الأمر إلى ابتداء نبوة موسى - عليه السلام- وخطاب الله له، وإعطائه الآيات البينات من إلقاء العصا لتصير ثعبانا وإخراج يده بيضاء وإرساله إلى فرعون وسؤاله شدّ عضده بأخيه هارون إلى جميع ما جرى في ذلك المقام. وقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١) فألمح إلى كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات وتلتذه الأعين من المرئيات.

ومنه قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاءُ

أي: قابلت كل منكرة بكفئها.

ومن أمثلة الوحي والإشارة بضرب من الاستعارة قول يزيد بن الوليد لمروان ابن محمد وقد بلغه عنه تلكؤه عن بيعته: «أراك تقدّم رِجْلاً وتؤخر أخرى، فإذا قرأت كتابي هذا فاعقد على أيهما شئت»[1].

وقد أورد ابن أبي إصبع المصري في «باب الإشارة» من كتابه «**تحرير التحبير**» ما يلي:

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف الدكتور أحمد مطلوب ١/ ٢٠٤-٢٠٧.

وهو أيضًا مما فرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وشرحه بأن قال: هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدلّ عليه، كما قال بعضهم في صفة البلاغة: هى لَمحة دالّة، وشرح هذا الحد أنها إشارة المتكلم إلى معانٍ كثيرة بلفظ يشبّه لقلته واختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياءَ لو عبّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جدًا، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار، لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون، فإشارته معدودة من العبث، ولهذا قال هِنْد بن أبى هَالَة في وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يشيرُ بكفّه كلها، وإذا تعجّب قلبها. وإذا حدّث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى» فوصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان، يعنى أنه يشير بيده في الموضع الذى تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حِذْق بمواضع المخاطبات. وقوله: «كلّها» أى: يفهم بها المخاطب كل ما أراده - بسهولة فإن الإشارة ببعض الكفّ تصعب، وبكلّ الكف تسهل؛ فأعلمنا هذا الوصّاف أنّه - صلى الله عليه وسلم - كان سهل الإشارة، كما كان سهل العبارة. وهذا ضرب من البلاغة الذى يُمْتدح بمثله، وهو أيضًا من بلاغة الواصف إذ أشار بقوله: «كلها» إلى كلّ المقصود الذى تدلُّ عليه الإشارة، ومن حذق الواصف إتيانه بلفظ الإشارة في الوصف، لمَا أراد أن يصف الإشارة البديعية وقسمها قسمين: قسمًا للسان وقسمًا لليد، وقوله: «وإذا تعجّب قَلَبَها»، يعنى أنه يشير بها على وجهها إذا كان المعنى الذى يشير إليه على وجهه ليس فيه ما يُسْتغرب فيَعْجب منه، فإنّ الشيء المعجب إنما يكون معجبًا لكونه غير معهود، فكأن الأمر فيه قد قلب لمخالفته المعهود، فلذلك يجعل - صلى الله عليه وسلم- قلب يده في وقت الإشارة إشارة إلى أن هذا الأمر قد جاء على خلاف المعهود، ولذلك تعجّب منه. وقوله: «وإذا حدّث اتّصل بها» يعنى اتصلَ حديثُه بها فيكون المعنى متصلا، والمفهوم بالعبارة والإشارة متلاحمًا، آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض، وقوله: «فضرب براحته اليمنى باطنَ إبهامه اليسرى يعنى أنه عند انتهاء إشارته يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى» مشيرا إلى أنه ختم الإشارة، لأن الإبهام بها يختم القبض، ولذلك عطف هذه الجملة بالفاء، ولم

يأت بها معطوفة بالواو، كما أتى بما قبلها من الجمل لكونها آخر إشاراته، والواو لكونها غير مقتضية للترتيب، يجوز أن يكون المتأخر بها متقدمًا ولا كذلك الفاءُ، إذ لا بد أن يكون المعطوف بها متأخرًا لكونها موضوعة للتعقيب.

وأما اقتصاره على باطن الإبهام دون ظاهرها فمعناه أنه جعل آخر الإشارة متصلا بأول العبارة اتصالا متلائمًا كملاءمة باطن الكف التى ضرب بها باطن الإبهام التى ضرب عليها، وهذه أيضًا من بلاغة الواصف - رضى الله عنه.

ومن شواهد الإشارة في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ (هود: ٤٤) فإنه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الأرض، وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الأرض قبل الإخبار إذ لو لم يكن ذلك لما غاض الماءُ.

وكقوله سبحانه: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١)، فالمح كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات وتَلَذُّه الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جدًا عبّر عن معان كثيرة لا تنحصر عدًا. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ (الأنفال: ٥٨) بمعنى قابلهم بما يفعلونه معك، وعاملهم بمثل معاملتهم لك سواء مع ما تَدُلُّ عليه لفظة سواءٍ من الأمر بالعدل، ومثل هذا المعنى قول زهير (وافر):

فإنّى لو لقيتُك واتَّجهنَا ... لكانَ لكلِّ مُنكَرةٍ كِفاءُ

(ديوانه/ ٨١، ونقد الشعر/ ٥٦ والعمدة ٢٠٦/١، ونهاية الأرب ١٤١/٧).

يعنى: قابلت كل منكرة منك بكفئها.

وإذا علمت ذلك فانظر ما بين هذا البيت وبين قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ لتعلم فرق ما بين الكلامين.

ومن أمثلة هذا الباب قول امرئ القيس (وافر):

بعزّهم عززتَ وإن يذلّوا ... فذلُّهم أنالك ما أنالا

(ديوانه: ٢١١ بتحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم، ونقد الشعر/٥٦)

فانظر كم تحت قوله: «أنالك ما أنالا» من أنواع الذلّ، وكذلك قوله للمسيّب (كامل) (جمهرة أشعار العرب/١١٢ ط بولاق ١٣٠٨هـ).

ولأشكرنّ غريب نعمته ... حتى أموتَ وفضله الفضلُ

أنتَ الشجاعُ إذا همُ نَزَلُوا ... عند المَضيق وفعلُك الفعلُ

فالحظ كم تحت قوله: «وفضله الفضل» بعد إخباره بأنه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح، وترجيح فضله على الشكر، وفي قوله «غريب نعمته» غاية المدح، إذ جعل نعمته نعمةً لم يقع مثلها في الوجود قط، وكذلك قوله: «وفعلك الفعل» بعد إخباره بنزول القوم عند المضيق الدالّ على صبرهم وشجاعتهم، وما في ذلك من ترجيح شجاعة الممدوح عليهم.

وكذلك قوله في صفة الفرس (طويل):

على هيكلٍ يُعطيك قبلَ سؤاله ... أفانينَ جَرْى غير كَزٍّ ولا وانِ

(ديوانه: ٩٨، ونقد الشعر/٥٦ والعمدة ٤٢/٢، والصناعتين/٣٤٩).

فإنه أشار بقوله «أفانين جرى» إلى جميع صنوف عدو الخيل المحمودة والذى يدل على أنه أراد الأفانين المحمودة، نفيه عن الفرس الكزُوزَة والوَنَى، فسلبه صفات القبح من الجماح والحزن والاسترخاء والفتور، وجعله يعطى هذا الجرى عفوًا من غير طلب ولا حث، وهذا كمال الوصف وتمام النعت، ولو عدّت هذه المعانى بألفاظها الموضوعة لها لاحتيج في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة.

ومن الإشارة نوع يقال له اللّحن والوَحْي، وهو يجمع العبارة والإشارة بِبُعْد لا يَفْهم طريقه إلا ذو فهم، كما قال الشاعر (كامل):

ولقد وَحيتُ، لكم لِكَيْما تَفْطِنوا ... ولَحَنْتُ لحنًا ليس بالمُرتابِ

ومثال ذلك ما حكى عن رجل من بَلْعَنْبَر، (حى من تميم)، أسر في بكر

ابن وائل فسألهم أن يرسل إلى قومه؛ فقالوا: ترسل بحضرتنا، وخافوا أن ينذرهم، فإنهم عزموا على غزو قومه، فحضروا وأحضروه عبدا، فقال له: أتعقل؟ قال: إني لعاقل، فأشار إلى الليل، وقال: ما هذا؟ فقال: الليل؛ فقال: أراك عاقلا، فملأ كفه من الرمل وقال: كم عدد هذا؟ فقال: لا أدرى وإنه لكثير، فقال: أيها أكثر: النجوم، أم النيران؟ فقال: إن كلا لكثرة، فقال: إيت قومي، وأقرئهم السلام وقل لهم: أكرموا فلانًا فإن قومه لى مكرمون، يعنى أسيرًا كان عند قومه من بكر ابن وائل، ثم قل لهم: إن الْعَرْفَج قد أورق وقد اشتكت النساءُ، ومرهم أن يُعروا ناقتي الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، ويركبوا جملي الأصهب، وبآية ما أكلتُ معكم حَيْسًا وسلوا عن خَبَرَىّ أخى الحارث، فلما قال لهم العبد ذلك قالوا: لقد جُنّ الأعور والله ما له ناقة ولا جمل، فلما سألوا أخاه سأل العبد عما قال له أولا فأخبره، فشرحه، وقال لهم: قد أنذركم، أما الليل فإنه أشار إلى أنكم في عمياءَ مظلمة، وأما الرّمل فإنه أشار إلى أنكم تُغزَون بمثل عددِه، وأما النجوم والنّيران. فأشار بذلك إلى كثرة عدد عدوكم، وأما قوله: أورق العرفج فإنه أشار إلى أن العدو قد استَلأموا وركبوا، وأما قوله: اشتكت النساءُ، أى اتّخَذوا القِرَب للغَزْو، وأما الناقة الحَمراءُ فَعَنى الدهناءَ، وقوله أطلتم ركوبها، إشارة إلى أنكم قد عرفتم بإيطائها لطول مقامكم بها فأمركم أن ترحلوا عنها، وتنزلوا الصّمّان (الصمان: الأرض الصلبة)، وهو الجمل الأصهب الذى أمركم بركوبه، ففعلوا فسَلِمُوا، وأما الحَيْس، فإشارة إلى أن عدوّكم قد جمع لكم أخلاطًا كما جمع الحَيْسُ السمنَ والتّمر والأقط، والله أعلم.

ومن أمثلة الوحى والإشارة بضرب من الاستعارة قول يزيد بن الوليد لمروان ابن محمد، وقد بلغه عنه تلكُّؤه عن بيعته: أراك تقدّم رِجلا وتؤخّر أخرى، فإذا قرأت كتابى هذا فاقعد على أيهّما شئت.

ومن ذلك قول الحجّاج للمهلّب: إن فعلت وإلا أشرعت لك صدر الرمح، فقال المهلّب: متى أشرع الأمير إلىّ صدر الرمح قلبت له ظَهْرَ المِجَنّ.

ومن شواهده الشعرية قول امرئ القيس (طويل):

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتَضْربي   بسهمَيْكِ في أعشارِ قلبٍ مقتَّلِ

(ديوانه: ١٣، وديوان الحماسة ١/ ٨٤، وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٤٢٢).

وقول عمرو بن معد يكرب (طويل):

فلو أنَّ قَوْمي أنطقَتْني رماحُهمْ   نَطقْتُ ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ

(البيت في عيار الشعر/٢٩، وخزانة الأدب للبغدادي ٢/ ١٩٣، والنقائض ٥٢/١).

وكقول شاعر الحماسة (طويل):

بَني عمِّنا لا تَنْبِشُوا الشعْر بعد ما   دفنتم بصحراء الغُمَيْرِ القَوَافيا

(البيت لسويد بن صميع المرثدي من بني الحارث وكان قتل أخوه غيلة فقتل قاتل أخيه نهارًا في بعض الأسواق، ويعرف سويد بالشميذر الحارثي. وصحراء الغمير: مكان. والمعنى: دعوا التفاخر في الشعر وبالشعر. فإنكم قصرتم بصحراء الغمير ولم تبلوا فيها لأنكم أمتُّم قوافي الشعر ودفنتموها).

وكقول الآخر (طويل):

أقول وقد شدُّوا لساني بِنِسْعةٍ   أمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقوا من لِسانيا

(البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي. انظر شرح الحماسة للمروزقي ١٦٣/٢ وأورده كذلك صاحب اللسان مادة نسع والمفضليات ٥٥/١ والنسعة: سير مضفور تشد به الرحال).

وكل هذا من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقد أنشده العباس بن مِرْداس (متقارب):

أتجعل نَهْبي ونهب العبيد

فقال: «يا عليُّ، اقطع لسانه عَنِّي»، فأخذ عليٌّ بيده فأخرجه، فقال أقاطع لساني يا أبا الحسن؟ فقال: إني لممضٍ فيك ما أمر، وكل هذا من قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥) ويدخل في هذا قوله عز وجل: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ (المدثر: ٤) أي: بدنك، قال الأصمعي: في تفسير هذا الحرف: تقول العرب فدى لك ثوبي، يريدون نفسه، وأنشد (وافر):

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً   فِدًى لك من أخي ثقةٍ إزاري

(البيت لأبي المنهال بقيلة الأشجعي، انظر مشكل القرآن تحقيق الأستاذ سيد أحمد صقر ١٠٨).

وقال عنترة (كامل):

فشككتُ بالرّمح الطويل ثِيابَه   ليسَ الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

(شرح المعلقات/١٠١).

(مادة «الإشارة» هذه بحثها في نقد الشعر/٥٥ والعمدة ١/٢٠٦ والصناعتين/٣٤٨، وبديع ابن منقذ ٥٠ والتبيان للزملكاني تحت اسم الإيجاز ٧١ وخزانة ابن حجة/٢٥٧ ونهاية الأرب ٧/١٤٠ وحسن التوسل/٧٠ واللمعة في صنعة الشعر/٥)[1]. (تحرير التحبير/٢٠٠ - ٢٠٦).

---

(١) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني - تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة/٤٩، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف الدكتور أحمد مطلوب ١/٢٠٤-٢٠٧، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري - تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م/ ٢٠ - ٢٠٦، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين في ثنايا النص.
انظر أيضا، الإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ٢٢/٧٢.

(٥٩) التلويح

جاء عنه في المعجم ما يلي:

ألاح بالسيف ولوّح: لمع به وحركه، وألاح بثوبه ولوّح به: أخذ طرفه بيده من مكان بعيد ثم أداره ولمع به ليريه من يحب أن يراه (اللسان مادة «لوح»..).

الوحي باللفظ ودلالة الإشارة والتلويح من أساليب العرب القديمة، وقد أشار الجاحظ إليها (البيان والتبيين ١/ ٤٤)، وذكر ابن جنى «التلويح» مع التعرى والإيماء (الخصائص ١/ ٢٢٠). وأدخله ابن رشيق في باب الإشارة وقال: «ومن أنواعها قول المجنون قيس بن معاذ العامري:

فلو كنت أعلو حبّ ليلى فلم يَزَلْ … بى النقضُ والإبـرامُ حتى علانيا

فلوّح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحًا عجيبًا» (العمدة ١/ ٣٠٤).

وتحدث السكاكى عن التلويح في الكناية فقال: «متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسبًا. وإذا لم تكن كذلك نظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنيّ عنها متباعدة لتوسط لوازم كما في «كثير الرماد» وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبًا لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد» (مفتاح العلوم/ ١٩٤).

وذكر القزوينى وشراح التلخيص ذلك.

الايضاح ٣٢٧، التلخيص ٣٤٤، التلخيص ج ٤ ص ٢٦٩، المطول/ ص ٤١٣، الأطول ج٢ ص ١٧٦، شرح عقود الجمان ١٠٣، حلية اللب ١٦٩. ولم يخرجوا على ما ذكره السكاكي، وقال السجلماسي: «هو اقتضاب الدلالة على الشيء بنظيره وإقامته مقامه» (المنزع البديع/ ٢٦٦) [1].

وقد أوردنا «التلميح» تحت مادة «الكناية والتعريض» رقم (١٢) سابقا فارجع إليها.

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف الدكتور أحمد مطلوب ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧.

(٦٠) التجنيس

أورده ابن أبى الإصبع المصرى في كتابه «تحرير التحبير» تحت «باب التجنيس»، وساق أسماء أقسامه الثمانية التى أتى عليها ابن منقذ وهي: تجنيس التغاير، وتجنيس المستوفي، وتجنيس التصحيف، وتجنيس التحريف، وتجنيس التصريف، وتجنيس الترجيع، وتجنيس العكس، وتجنيس التركيب.

ثم ذكر أن ابن منقذ فَاتَهُ قسم تاسع، وهو الذى ذكره التبريزى وسماه «التجنيس المضاف»، ومن ثم يقول المصرى: إنه القسم الذى جعله لأقسام التجنيس تاسعًا[1].

وقد بسط الكلام على «التجنيس» الدكتور أحمد مطلوب في معجمه فأفاض في تعريفه (ص٥١-٥٩)، وأحصى أنواعه الكثيرة (ص٥٩-١٠٩)، ومن ثم فقد رأينا أن نقتصر عليه في هذه المادة حيث إنه يغنينا عن سائر المصادر، وبالله التوفيق:

التجنيس:

الجنس: الضرب من كل شيء، وهو من الناس، ومن الطير، ومن حدود النحو والعروض، ومن الأشياء جملة. ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أى: يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل (اللسان «جنس»).

وقال الحموي: «وأما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس، ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضًا إلا أن إحدى الكلمتين إذا تشابهت بالأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والجناس مصدر جانس، ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضًا لأنه مصدر تجانس الشيئان إذا دخلا في جنس واحد. ولما انقسم أقسامًا كثيرة وتنوع أنواعًا عديدة تنزل منزلة الجنس الذى يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس» (خزانة الأدب/٢٢).

وقال المدني: «الجناس والتجنيس والمجانسة كلها ألفاظ مشتقة من الجنس،

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبى الإصبع المصرى - تقديم وتحقيق الدكتور حفنى محمد شرف/١٠٢-١١٠.

فالجناس مصدر جانس، والتجنيس تفعيل من الجنس والمجانسة مفاعلة منه؛ لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية. والتجانس مصدر تجانس الشيئان إذا دخلا تحت جنس واحد» (أنوار الربيع ١/٩٧).

فالتجنيس هو التجانس والجناس والمجانسة وكلها مشتقة من الجنس، **وقد قال ابن الأثير الحلبي**: «فأما لفظة الجناس فيقال: إن العرب لم تتكلم بها، وإنما علماء اللغة قاسوها على نظائرها، وجعلوا الجناس حال كلمة بالنسبة إلى أختها وكذلك المجانسة. وأما التجنيس فإنه فعل المجنس مثل التصنيف فعل المصنف. وأما التجانس فهو الكلمات في نفسها من التشابه» (**جوهر الكنز/ ٩١ وينظر يتيمة الدهر ٤/ ٢٤٨**). **وقال العلوي**: «وهو تفعيل من التجانس وهو التماثل، وإنما سمى هذا النوع جناسًا لأن التجنيس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين، فالمعنى الذى تدل عليه هذه اللفظة هى بعينها تدل على المعنى الآخر من غير مخالفة بينهما، فلما كانت اللفظة الواحدة صالحة لهما جميعًا كان جناسًا، وهو من ألطف مجارى الكلام ومحاسن مداخله وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس.

فالجنس في اللغة هو الضرب من الشيء وهو أعم من النوع، والمجانسة المماثلة وسمى هذا النوع جناسًا لما فيه من المماثلة اللفظية. وزعم ابن دريد أن الأصمعى يدفع قول العامة: «هذا مجانس» لهذا، ويقول إنه مولّد» (**الطراز ٢/ ٣٥٥**).

وللأصمعى كتاب سماه «**الأجناس**»، ولأبى عبيد الله القاسم بن سلاّم «**كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى**» (**فهرست ابن النديم/ ٦١**) وقد أشار سيبويه إلى فن التجنيس وسماه «اتفاق اللفظين والمعنى مختلف» (الكتاب١/ ٢٤) وذكر المبرد مثل ذلك (**المقتضب ١/ ٤٦**) وله كتاب «**ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد**» (**فهرست ابن النديم/ ٦٥**). وسماه ثعلب «المطابق» وقال: «هو تكرر اللفظة بمعنيين مختلفين» (**قواعد الشعر/ ٥٦**).

والتجنيس ثانى فن من بديع ابن المعتز وهو «أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام. ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها، وقال الخليل: «الجنس لكل ضرب من

الناس والطير والعروض ونحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر: «يوم خلجت على الخليج نفوسهم». أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر: «إن لوم العاشق اللوم». (**البديع/٢٥**) ومعنى ذلك أن التسمية ليست لابن المعتز، وإنما هي للخليل وللأصمعي، ويبدو أن رأيهما قريب من كلامه فهو يقول: «على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها».

وللتجنيس تعريفات كثيرة، وقد شرّق المؤلفون فيه وغرّبوا وقسموه أقسامًا كثيرة لذلك قال ابن الأثير: «وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغرّبوا وشرّقوا لاسيما المحدثين منهم، وصنف الناس فيه كتبًا كثيرة، وجعلوه أبوابًا متعددة واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض فمنهم عبد الله بن المعتز وأبو على الحاتمي، والقاضي أبو الحسن الجرجاني، وقدامة بن جعفر الكاتب، وإنما سمى هذا النوع من الكلام مجانسا، لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. وحقيقته أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى مختلفًا، وعلى هذا فإنه: هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء إلا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسًا وتلك تسمية بالمشابهة لا لأنها دالة على حقيقة المسمّى بعينه» (**المثل السائر ١/٢٤٦**).

وكان البلاغيون قبل ذلك قد عرفوا التجنيس وتحدثوا عنه، ومنهم قدامة الذى تكلم في باب ائتلاف اللفظ والمعنى على المطابق والمجانس، وقال: «ومعناهما أن تكون في الشعر معانٍ متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة، وألفاظ متجانسة مشتقة: فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة مثل قول زيادة الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل ... وللؤم فيهم كاهلٌ وسنامُ

(كاهل الأولى للقبيلة، والثانى للعضو المعروف، وهو أعلى الظهر مما يلى العنق).

.... وأما المجانس فأن تكون المعانى اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق مثل قول أوس بن حجر:

لكن بفرتاجَ فالخلصاء أنت بها ... فحنبلٍ فعلى سـرّاء مسرور

(فرتاج: موضع الخلصاء. ماء في البادية، وقيل: موضع. حنبل: موضع).

ومثل قول زهير:

كأنّ عيني وقد سال السليل بهم ... وجيرة ما هم أو أنّهم أمَم

(نقد الشعر/١٨٥، ١٨٦. سال السليل بهم: ساروا فيه سيرا سريعًا، والسليل: اسم واد. الأمم: القصد والقرب).

فالمطابق عند قدامة هوالتجنيس الحقيقى أما المجانس فهو شبيه به أو أحد أنواعه الذى سمى تجنيس الاشتقاق.

وذكر الحاتمى قصة هذا الخلاف في المصطلح فقال: «أخبرنا أبو الفرج على ابن الحسين القرشى قال: قلت لأبي الحسن على بن سليمان الأخفش وكان أعلم من شاهدته بالشعر: أجد قومًا يخالفون في الطباق فطائفة تزعم – وهى الأكثر بأنه ذكر الشىء وضده فيجمعهما اللفظ فهمًا لا المعنى. وطائفة تخالف ذلك فتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد كقول زياد الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل ... وللؤم فيهم كاهلٌ وسنامُ

فقوله: «كاهل» للقبيلة، وقوله «كاهل» للعضو عندهم هو المطابقة قال: فقال الأخفش: من هذا الذى يقول هذا؟ قلت: قدامة وغيره... .

فقال: هذا يا بنى هو التجنيس، ومن زعم أنه طباق فقد ادّعى خلافا على الخليل والأصمعي. فقيل له: أفكانا يعرفان هذا؟ فقال: سبحان الله وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه. قلت: فأنشدنى أحسن طباق للعرب. قال قول عبد الله بن الزّبير الأسدي: (عبد الله بن الزّبير من شعراء الحماسة).

رَمَى الحَدثانُ نِسْوة آلِ حرب ... بمقدار سمدْن له سُمودا

فَردَّ شُعوره السود بيضًا ... وردّ وجوههنّ البيض سُودا

(حلية المحاضرة ١٤٢/١، السمود: الغفلة عن الشيء، وذهاب القلب عنه).

وتحدث الحاتمي، عن المجانسة وذكر له قول جرير:

كأنك لم تَسِرْ ببلاد نُعْمٍ ... ولم تنظر بناظرة الخياما

وقوله:

وما زال معقولًا عقالٌ عن الندى ... وما زال محبوسًا من الخير حابسُ

(**حلية المحاضرة ١/١٤٦**).

وهذا ما يدخل في التجنيس، وتكلم الآمدى على المجانس في شعر أبى تمام فقال: «هو ما اشتق بعضه من بعض» (**الموازنة ١/٢٦٦**) وذكر مصطلح «التجنيس» فقال عن جرير والفرزدق: «وكأنّ هذين الشاعرين في تجنيس ما جنّساه من هذه الألفاظ وحاجتهما إليه يشبه قول النبى - صلى الله عليه وسلم - «عُصية عَصَت الله، وغفار غَفَر الله لهما، وأسلم سالمها الله» (**الموازنة ١/٢٦٦**). ثم قال بعد أن تكلم على المطابق: «وهذا باب - أعنى المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر في **نقد الشعر** «المتكافئ» وسمى ضربا من المتجانس المطابق.... وما علمت أن أحدًا فعل هذا غير أبى الفرج فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألقاب غير محظورة فإنى لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألّف فيها إذ قد سبقوا إلى التلقيب وكفوه المؤونة. وقد رأيت قومًا من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة إذا ترددت وتكررت نحو قول جرير:

تزودْ مثل زاد أبيك فينا ... فنعم الزادُ زادُ أبيك زادا

وبابه قليل (**الموازنة ١/٢٧٤، ٢٧٥**).

وعقد الرمانى بابًا للتجانس وقال: «هو بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد في اللغة» (**النكت في إعجاز القرآن/٩١**). وقال العسكري: «التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألّف الأصمعى كتاب الأجناس. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظًا واشتقاق معنى كقول الشاعر:

يوما خلجت على الخليج نفوسهم   غَصَبًا وأنت لمثلها مُستامُ

... ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى كقول الشاعر:

يا صاحِ إنّ أخاك الصبّ مهمومُ   فارفقْ به إنّ لومَ العاشق اللّوم

(كتاب الصناعتين/ ١، ٣).

وقال الباقلاني: «ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين متجانستين. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها وإليه ذهب الخليل. ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق». **(إعجاز القرآن/١٢٦)**.

ولم يعرف ابن رشيق التجنيس، وإنما ذكر أنه ضروب كثيرة وعرّف كل ضرب وذكر له أمثلة **(العمدة ١/٣٢١)**، وفعل مثله عبد القاهر الذي تحدث عن ميزته ومواضع الإحسان والإساءة في استعماله **(أسرار البلاغة، ٦، ودلائل الإعجاز/٤٠٢)**. **وقال التبريزي**: هو «أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى. وهذا الجنس يسمونه المطلق» **الوافي/٢٦٠)**، ونقل البغدادي هذا التعريف **(قانون البلاغة/٤٣٧)**.

وقال الصنعاني: «هو اجتماع كلمتين ألفتا من حروف متجانسة، ولأهل الأدب فيه مذاهب مختلفة وأقسامه كثيرة» **(الرسالة المسجدية/١٢٧)**.

وقال السكاكي: «هو تشابه الكلمتين في اللفظ» **(مفتاح العلوم/٢٠٢)** وأدخله في التحسين اللفظي كما فعل ابن الأثير حينما تحدث عنه في الصناعة اللفظية **(المثل السائر ١/٢٤٦)**.

وقال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمتين مقترنتين متقاربتين في الوزن غير متباعدتين في النظم، غير متنافرتين عن الفهم يتقبلهما السمع ولا ينبو عنهما الطبع» **(نضرة الإغريض/٤٩)**.

وقال ابن مالك: «ويسميه قدامة طباقا، وهو أن تأتي في غير رد العجز على الصدر بلفظتين بينهما تماثل في الحروف وتغاير في المعنى» **(المصباح: ٨٤)**.

وأدخله في قسم الفصاحة اللفظية من علم البديع.

وقال التنوخي هو: «أن يأتي المتكلم في كلامه بحرف أو حرفين ثم يأتي بها ثانيًا في أثناء ذلك الكلام من غير أن يكون بينهما بعد بحيث ينصرف فيه الذهن عن الأول. ولعل ذلك أن يكونا مجتمعين في بيت من الشعر ونحوه من الكلام، ولابدّ أن يكون المتجانسان مختلفي المعنى». (**الأقصى القريب/١١٢**).

وسمّاه القزويني: «الجناس» وأدخله في المحسنات اللفظية (**الإيضاح/٣٨٢ والتلخيص/٣٨٨**) كالسكاكي وابن مالك، وتبعه في التسمية شراح **التلخيص والحموي والسيوطي والمدني**).

(**شروح التلخيص** ٤/ ٤١٢، **المطول** ٤٤٥، **الأطول** ٢/ ٢٢١، **خزانة**/ ٢٠، **معترك** ١/ ٣٩٩، **الاتقان** ٢/ ٩٠، **شرح عقود الجُمَان**/ ١٤٣، **أنوار الربيع**/ ١/ ٩٧).

وسماه ابن الأثير الحلبي: «الجناس» ولكنه حينما عرفه قال: «وحدّ التجنيس أنه اتفاق الألفاظ واختلاف المعاني» (**جواهر الكنز**/ ٩١)، وقريب من هذا ما ذكره العلوى الذى عرفه بقوله: «وهو أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما» (**الطراز** ٢/ ٣٥٦).

ولم يهتم الأدباء جميعهم بهذا الفن، فقد كان منهم من لا يتخذه مذهبا لما في كثير منه من التكلف، **قال الحموى**: «أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ فإن كلاً منهما يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة» (**خزانة الأدب**/ ٢٠). وكان الأوائل يستعملون هذا الفن ولكن من غير إسراف، فلما أفضى الحال إلى المولدين في العصر العباسي شاع وظهر، وقد أكثر منه أبو تمام، ولذلك قال ابن المعتز في التجنس وغيره من فنون البديع: «إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتى غلب عليه وتفرّع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف» (**البديع**/ ١).

وأقسام التجنيس أو الجناس كثيرة، وقد اختلف أرباب البديع فيها اختلافا كثيرًا، وقد أفرده بالتأليف جماعة منهم الشيخ صفي الدين الحلي، ألف كتابًا سماه «**الدر النفيس في أجناس التجنيس**» (**أنوار الربيع** ١/ ٢٢٢، **وحسن التوسل**/ ١٨٣).

ورأى ابن الأثير أنه سبعة أقسام، واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لأنه لفظه واحد لا يختلف، وستة أقسام مشبهة. فالقسم الأول الحقيقى هو «أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها» (**المثل السائر** ٢٤٦/١)، والأقسام الستة المشبهة بالتجنيس هي:

الأول: أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها.

الثاني: أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير.

الثالث: أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد.

الرابع: المعكوس، وهو ضربان: عكس الألفاظ، وعكس الحروف.

الخامس: المجنب وهو أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى والجنيبة لها.

السادس: ما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم وتتأخر.

وفي كتب البلاغة والنقد والأدب أنواع كثيرة هي:

تجنيس الإشارة:

قال الرازي: «أن المتجانس قد يكون مذكورًا صريحًا، وقد يكون مذكورًا بإشارة» (**نهاية الإيجاز**/٢٩، **والإيضاح في شرح مقامات الحريري**/١٢).

وقال العلوي: «هو أن لا يذكر أحد المتجانسين في الكلام، ولكن يشار إليه بما يدل عليه» (**الطراز** ٣٧٢/٢، **ومنظر المنزع البديع**/٤٩٦).

كقول بعضهم وذكره الرازي أيضا:

حلقت لحية موسى باسمه ... وبهرون إذا ما قُلبا

لأن كلمة «هرون» إذا قلبت كانت «نوره» لكنه لم يذكرها، وإنما أشار إليها إشارة بقوله: «وبهرون إذا ما قلبا».

وقول آخر:

وما أروى وإن كرمتْ علينا ... بأدنى من موقّفة حرونِ
يطيف بها الرماةُ فتتقيهم ... بأوعال معطفةِ القرونِ

فـ «أروى» هى المرأة، وقوله «موقفة حرون» إشارة إلى أروى الأوعال، وأراد أن هذه المرأة التى اسمها أروى ليست بأقرب من التى في الجبال لكنه أعرض عن ذكرها.

وسمّى بعضهم هذا النوع «تجنيس الكناية» **قال الحموي**: «وكل منهما مطابق التسمية» (**خزانة الأدب/٤١**). وأدخله في الجناس المعنوى وعرفه بقوله: «الضرب الثانى من المعنوى، وهو جناس الإشارة والكناية هو غير الأول أى جناس الإضمار. وسبب ورود هذا النوع في النظم أن الشاعر يقصد المجانسة في بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على إبرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته إلى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فإن لم يتفق له مرادف الركن المضمر فيأتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه. وهذا لا يتفق في الكلام المنثور» (**خزانة الأدب/٤٢**). ومثاله قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن بنى ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الإبل:

فما مَكُثُنا دام الجمالُ عليكما ... بثهلانَ إلاّ أن تُشَدّ الأباعرُ

وأرادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت إلى مرادفة الجمال بالأباعر. ومنه قول دعبل في امرأته سلمى:

إنى أحبك حبًا لو تَضَمّنه ... سلمى سميُّك ذاك الشاهقُ الراسي

فالكناية في «**سميُّك**» لأنها أشعرت أن الركن المضمر في سلمى يظهر منه جناس الإشارة بين الركن الظاهر والمضمر في سلمى، وسلمى الذى هو الجبل.

ولم يخرج السيوطى والمدنى من ذلك في بحث هذا الفن (**شرح عقود الجمان/١٤٧، وأنوار الربيع ٢١٧/١**).

تجنيس الاشتقاق:

ألحقه القزويني بالجناس وقال: هو «أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق».

(الإيضاح/٣٨٩، والتلخيص/٣٩٢، والإيضاح في شرح مقامات الحريري/١٢).

كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ (الروم: ٤٣)، وقوله ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (الواقعة: ٨٩).

ومنه قول أبي تمام:

وأنجدتُمُ من بعد إتهام داركم ... فيا دمع أنجدني على ساكني نَجْدِ

وقال الحلبي والنويري: «ويسمى الاقتضاب أيضًا، ومنهم من عدّه أصلاً برأسه، ومنهم من عدّه أصلاً في التجنيس: وهو أن تجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة» **(حسن التوسل/١٩٣، ونهاية الأرب ٩٥/٧).**

وقال السيوطي: «ويسمى المقتضب» **(معترك ٤٠١/١، وشرح عقود الجمان/١٤٧)**. وقد فرّق الحموي بينه وبين المطلق فقال: «أما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه أن أصلهما واحد، وليس كذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس:١٠٧)، وكقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ (المائدة: ٣١). فهذه الأركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان إلى أصل واحد كالمشتق بل جميع ما ذكرنا أسماء أجناس وهي محمولة على عدم الاشتقاق» **(خزانة الأدب/٢٥).**

تجنيس الإضافة:

قال ابن الزملكاني: «فإن عرض للمنطق أن أضيف إلى إحدى الكلمتين قيل له تجنيس الإضافة كقول البحتري:

أيا قمر التمام أعنت ظلمًا ... عليّ تطاول الليل التمام

فصار بالإضافة كالمختلفين» (**التبيان/١٦٨**). وكان القاضي الجرجاني قد سماه «المضاف» وذكر بيت البحتري، وقال: «ومعنى التمام واحد في الأمرين ولو انفرد لم يُعدّ تجنيسًا، ولكن أحدهما صار موصولاً بالقمر والآخر بالليل فكانا كالمختلفين» (**الوساطة/٤٤**).

تجنيس الإضمار:

التجنيس المعنوي نوعان: تجنيس الاشارة وقد تقدم، وتجنيس الإضمار، قال الحموي: «فالمعنوي المضمر هو أن يضمر الناظم ركني التجنيس، ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه، فإن تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى» (**خزانة الأدب/٤١**).ومنه قول ابن عبدون وقد استصبح بخمرة تركا بعضها إلى الليل فصارت خلا:

ألا في سبيل اللهو كأسُ مدامة أتتنا بطعم عَهْدُه غير ثابت
حكت بِنْتَ بَسطام بن قيس صبيحةً وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابتِ

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء، والشنفرى قال:

اسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمي من بعد خالي لخل

والخل هوالرقيق المهزول، فظهر من كناية اللفظ جناسان مضمران في صهباء وصهباء، وخل وخل، وهما في صدر البيت وعجزه. ومن هنا أخذ الشيخ صفي الدين الحِلّي وقال:

وكل لحظ أتى باسم ابن ذي يزن في فتكه بالمعنّى أو أبي هرم

فابن ذي يزن اسمه سيف، وأبو هرم اسمه سنان، فظهر له جناسان مضمران من كنايات الألفاظ الظاهرة.

ونقل السيوطيُ والمدني هذا الكلام، وسارا على خطا الحموي (**شرح عقود الجمان/١٢٧، وأنوار الربيع ٢٠٩/١**).

تجنيس الإطلاق:

ألحقه القزويني بالجناس، وقال: هو أن تجمع اللفظين المشابهة، وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به (**الإيضاح/٣٨٩، والتلخيص/٣٩٢**). **وقال السيوطي**: «ومنها تجنيس الإطلاق بأن يجتمعا في المشابهة فقط» (**معترك ٤٠١/١**). وقال: «ويسمى أيضًا المشابهة والمقاربة والمغايرة وإيهام الاشتقاق» (**شرح عقود الجمان/١٤٦**). ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤). وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٨).

ومنه قول البحتري:

وإذا ما رياحُ جُودِك هبَّتْ صار قولُ العَذول فيها هَباءَا

تجنيس الاقتضاب:

هو تجنيس الاشتقاق، ويسمى المقتضب أيضًا. وقد تقدم.

(**حسن التوسل/١٩٣، ونهاية الأرب ٩٥/٧، ومعترك ٤٠١/١، وشرح عقود الجمان/١٤٧**).

تجنيس البعض:

وهو مثل الجناس أو التجنيس الناقص، ومنه قول القطامي:

بأحْسَنَ من جمانة يوم رَدّوا جمال البين واحتملوا نهارا

فـ «جمانة» و «جمال» تجنيس البعض.

ومنه قول العجير السلولي:

تَروَّى من البحرين ثم تَروَّحَتْ به العينُ يهديه لظمياء ناقله

«تروّى» و «تروّحت» مُجَنَّس البعض (**نضرة الإغريض/٨٣**).

التجنيس التام:

وهو الجناس المستوفي والمماثل والكامل (**أسرار البلاغة/١٧، وحسن التوسل/١٨٣، والطراز ٣٥٦/٢، ومعترك ٣٩٩/١**).

قال السكاكي: «وهو أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ» (**مفتاح العلوم/٢٠٢**).

وقال الحلبي: «المستوفي التام: وهو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظًا مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما».

(حسن التوسل/١٨٣، ١٨٤، وينظر الإيضاح في شرح مقامات الحريري/١٠).

وقال القزويني: «والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، فإن كانا من نوع واحد كاسمين سمي مماثلاً كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥). وقول أبي تمام:

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدّعوا　　　صدور العوالي في صدور الكتائب

فـ «صدور» العوالي» أسنتها وأعاليها، و «صدور الكتائب» نحور أفرادها.

وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفي كقول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنّه　　　يحيا لدى يحيى بن عبد الله

(الإيضاح/٣٨٢، والتلخيص/٣٨٨، والتبيان/١٦٦، والطراز/٢/٣٥٦، وخزانة الأدب/٣٠، ومعترك ٣٩٩/١، وشرح عقود الجمان/١٤٣، وأنوار الربيع ١٤٨/١، وحدائق السحر، ٩٤ وشروح التلخيص ٤١٦/١، والمطول ٤٤٦، والأطوال/٢/٢٢٣).

تجنيس التحريف:

قال ابن منقذ: «هو أن يكون الشكل فرقا بين الكلمتين» **(البديع في نقد الشعر/٢٠/٦٥).**

كقول البحتري:

سَقَمٌ دون أعْيُنٍ ذات سُقْمٍ　　　وعذابٌ من الثنايا العِذابِ

وقول الآخر:

أحبابَنا ما بين فُر　　　قتكم وبين الموت فَرْقُ

جازيتمونا في بعا　　　دكم بما لا نستحقُّ

أفنيتم العبرات فابقوا ومكلتم رقي فرقوا

وعرّفه المصري بمثل هذا التعريف، قال: «هو أن يكون الشكل فارقًا بين الكلمتين أو بعضهما» (تحرير التحبير/١٠٦، وبديع القرآن/٢٩). كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ (العاديات: ١١) وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (القصص: ٤٥). وكقوله صلى الله عليه وسلم: «الظُّلْمُ ظلمات».

ومنه قول أبي تمام:

هن الحمام فان كسرت عيافة من حالهنّ فانهنّ حِمامُ

(العيافة: التكهن بالطير، العائف المتكهن بالطير وغيره)

وهو ثلاثة أقسام:

الأول: تبدل فيه الحركة بالحركة كالآيتين السابقتين وبيت أبي تمام.

الثاني: تبدل فيه الحركة بالسكون، كالحديث الشريف.

الثالث: يبدل فيه التخفيف بالتشديد مثل: «الجاهل إما مُفرِط أو مفرّط». وعرّفه مثل ذلك ابن الأثير الحلبي وابن قيم الجوزية (جوهر الكنز/٩٤، والفوائد/٢٤٠). وقال الحموي: «هو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك، فإن القصد اختلاف الحركات» (خزانة الأدب/٣٦).

تجنيس التداخل:

سماه بعضهم «تجنيس الترجيع» وسماه التبريزي: «التجنيس الناقص» وسماه آخرون «تجنيس التذييل»، وهو «الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى. وجميع حروف الأخرى موجودة في الأولى وقسم في وسطها وقسم في آخرها» (تحرير التحبير/١٠٧، وبديع القرآن/٣٠، وينظر الوافي/٢٦٢) مثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة: ٣٠، ٢٩).

ومثال الثاني: قول بعضهم: «من جَدَّ وَجَدَ».

ومثال الثالث: قول أبي تمام:

يَمُدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمِ تَصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وقد تكون الزيادة حرفين، فإما أن يقعا في أول الكلمة ويكونا متقاربين كقولهم: «ليل دامس وطريق طامس». وإما أن يقعا في وسطها كقولهم: «ما خصصتني بل خسستني». أو آخر الكلمة ويكونا متباعدين كقوله: «سالب وساكب». أو متقاربين كقولهم: «شاحب وشاغب». ومن القسم الذي توسط فيه الحرف الواحد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٧، ٨).

وقال المصري تعليقًا على قول أبي تمام: «يمدون من أيد...»:

«وعندي أن تسميته تجنيس التداخل لدخول إحدى الكلمتين في الأخرى، أو تجنيس التضمين لتضمن إحدى الكلمتين لفظ الأخرى أولى بالاشتقاق، إذ لا معنى لقولهم يرجع لفظ إحدى الكلمتين في لفظ الأخرى لأن ظاهر الرجوع يؤذن بذهاب قبله ولا ذهاب، أو كما قالوا: «تجنيس التذييل». (**تحرير التحبير/١٠٨**).

تجنيس التذييل:

هو تجنيس التداخل أو تجنيس الترجيع (**تحرير التحبير/١٠٨**).

تجنيس الترجيع:

سماه ابن منقذ بهذا الاسم وقال: «هو أن ترجع الكلمة بذاتها» (**البديع في نقد الشعر/٢٦**) وسمي تجنيس التداخل أو تجنيس التذييل (**تحرير التحبير/١٠٨**، **وبديع القرآن/٣٠**، **وجوهر الكنز/٩٥**، **وشرح عقود الجمان/١٤٥**)، وسماه التبريزي «**التجنيس الناقص**» (**الوافي/٢٦٢**).

تجنيس التركيب:

ذكر ابن سنان «مجانس التركيب» وقال: «ومن المجانس فن ورد في شعر أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، وسماه لنا مجانس التركيب، لأنه يركب من الكلمتين ما يتجانس به الصيغتان» (**سر الفصاحة/٢٣٢**).

وقال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين» (**البديع في نقد الشعر/٣٣**).

ومنه قول أبي العلاء:

البابليةُ بابُ كلّ بليةٍ   فتوقَّينَّ دخول ذاك البابِ

وقول الآخر:

أن تَرَمِك الغربةُ في معشر   تضافروا فيك على بغضهم

فدارِهم ما دُمْتَ في دارهم   وأرْضِهم ما دُمْتَ في أرْضِهم

وقال المصري: «هو أن تركب كلمة من كلمتين ليماثل بها كلمة مفردة في الهجاء واللفظ» (**تحرير التحبير/١٠٩**). وهو قسمان:

الأول: تتشابه الكلمتان فيه لفظًا وخطا كقول القائل:

يا من تدلّ بوجنةٍ   وأناملٍ من عنْدَمِ

كفى جعلت لك الفدا   ألحاظ عينك عن دمي

وكقول أبي الفتح البستي:

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبه   فَدَعْهِ فدولَتُهُ ذاهبه

الثاني: يتشابهان فيه لفظًا لا خطًّا كقول الشاعر:

كلكم قد أخذ الجا   مَ ولا جامَ لنا

ما الذي ضَرَّ مدير الـ   ـجام لو جاملنا

وأدخله القزويني في الجناس التام، قال: «والتام أيضًا أن كان أحد لفظيه مركبًا سمي جناس التركيب» (**الإيضاح/٣٨٣، والتلخيص/٣٨٩، والإيضاح في شرح مقامات الحريري/١١**) وكان ابن الزملكاني قد سماه «المركب».

وقال: «وقد يسمى هذا المرفو لضمك إلى القصير الحرف الفائت لتعادل نظيرتها» (**التبيان/١٦٧**).

وسماه الحلبى كذلك وقسّمه كتقسيم المصرى (حسن التوسل/١٨٨)، وفعل مثله الحموى (خزانة الأدب/٢٢).

وقسمه المدنى (أنوار الربيع ١/٩٨) إلى ثلاثة أقسام، الأول والثانى المتقدمان، والثالث سماه المرفو وهو ما كان أحد ركنيه مستقلاً والآخر مرفوًا من كلمة أخرى كقول الحريرى:

ولا تَلْهُ عن تذكار ذنبك وابكهِ ... بدمع يحاكى المُزْنَ حالَ مصابه
وَمَثّلْ لعينيك الحِمامَ ووقعَه ... وروعة ملقاه ومطعَمَ صَابِه

تجنيس التصحيف:

سماه ابن سنان «مجانس التصحيف» ومثل له بقول البحترى:

ولم يكُن المغتر بالله إذ سَرى ... ليعجز والمعتز بالله طالبه

(سر الفصاحة/٢٣٢).

وقال ابن منقذ: «هو أن تكون النقط فرقا بين الكلمتين» (البديع في نقد الشعر/١٧، وينظر جوهر الكنز/٩٤، والمنزع البديع/٤٨٩). وقال الحموي: «هو ما تماثل ركناه خطًا واختلفا لفظًا». (خزانة الأدب/٣٦) كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤). وكقول أبى تمام:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعبِ

واتفق معظم البلاغيين على هذه التسمية (نهاية الإيجاز/٥٢٩، ومفتاح العلوم/٢٠٣، والتبيان/١٦٩، وتحرير التحبير/١٠٥، وبديع القرآن/٢٩، والبحر المحيط ١٦٧/٦، وخزانة الأدب/٣٦، والروض المريع/١٦٥). غير أن ابن الزملكانى والمظفر العلوى يسميانه «تجنيس الخط» (التبيان/١٦٧، ونضرة الإغريض/٨٠، والإيضاح في شرح مقامات الحريري/١١). وسماه الحلبى والنويرى والعلوى والحموى والسيوطى والمدنى «التجنيس المصحّف» (حسن التوسل/١٩٢، ونهاية الأرب ٩٣/٧، والطراز ٣٦٥/٢، وخزانة الأدب/٣٦، ومعترك ٤٠٠/١، وشرح عقود الجمان/١٤٤، وأنوار الربيع ١٨٠/١).

تجنيس التصريف:

قال ابن منقذ: «هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف».

(البديع في نقد الشعر/٢٢، وينظر جوهر الكنز/٩٤).

كقوله تعالى: ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ (فاطر: ٤٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم -: «**الخيل معقود بنواصيها الخير**».

ومنه قول الشريف الرضي:

لا يُذكر الرملُ إلا حنَّ مغتربٌ	**له بذي الرَّمل أوطارٌ وأوطانُ**
إذا تلفتَ في أطلالها ابتدرت	**للعين والقلب أمواهٌ ونيرانُ**

وقال المصري: «هو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه» **(تحرير التحبير/١٠٧، وبديع القرآن/٢٩).**

وقال الحلبي والنويري: «ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف، وهو ما كان كالمصحف إلا في اتحاد الكتابة ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج أو لا تتقارب، فإن تقاربت سمي مضارعًا وإن لم تتقارب سمي لاحقًا» **(حسن التوسل/٩٥، ونهاية الأرب ٧/٩٦).**

فالمضارع كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٦). واللاحق كقول علي - رضي الله عنه -: «**الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر**».

وقسمه السيوطي مثل ذلك (**شرح عقود الجمان**/١٤٦)، وقال الحموي: إنّ «من الناس من يسمي كل ما اختلف بحرف «تجنيس التصريف» سواء كان من المخرج أو من غيره» (**خزانة الأدب**/٢٩، وينظر **الروض المريع**/١٦٧).

تجنيس التغاير:

سماه التبريزي «المطلق» (**الوافي**/٢٦)، وقال المصري: «هو أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا والأخرى فعلاً» **(تحرير التحبير/١٠٤، وبديع القرآن/٢٨).** كقوله

تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ (الأنعام: ٧٩) وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ (التوبة: ٢٨) وقوله صلى الله عليه وسلم -: «عُصية عَصَت الله ورسوله، وغفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله».

ومنه قول جرير:

كأنك لم تَسِرْ ببلادِ نجد ... ولم تنظر بناظرة الخياما

وقال المصرى: «وقد فرع التبريزى من هذا القسم ضربا سماه التجنيس المستوفى، وهو أن تتشابه الكلمتان لفظًا وخطًا وإحداهما اسم والأخرى فعل» (تحرير التحبير/١٠٤) كقول أبى تمام:

ما ماتَ من كَرَمِ الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بنِ عبدِ اللهِ

وهذا هو الجناس التام الذى تقدم.

تجنيس التماثل:

قال المصري: «هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين» (**تحرير التحبير**/١٠٥، **وبديع القرآن**/٢٨)، وهو ضربان:

الأول: تتماثل فيه الكلمتان سواء كانتا اسمين أم فعلين في اللفظ والخط كقول الشاعر:

عَينُه تقتل النفوسَ وفوه ... منه تُحيى عينُ الحياة النفوسا

الثاني: لا تتماثل فيه الكلمتان إلاّ من جهة الاشتقاق سواء أكانتا اسمين أم فعلين، كقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (الواقعة: ٨٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم «أسلم تسلم».

ومنه قول البحترى:

نسيم الروض في ريح شمال ... وصوب المزن في راح شمول

ثم قال المصري: «وهذان التجنيسان أعنى التغاير والتماثل من التجنيس الذى أصّله قدامة وابن المعتز» (**تحرير التحبير**/١٠٥).

التجنيس الحقيقي:

قال ابن قيم الجوزية: «هو أن تأتي بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى في الحروف مغايرة لها في المعنى» (**الفوائد/ ٢٤٠**).

وقال ابن الأثير الحلبي: «فأما الحقيقي فهو ما استوت ألفاظه في الخط والوزن والتركيب» (**جوهر الكنز/٩٢**). وهذا هو الجناس التام، وقد تقدم.

تجنيس الخط:

هو تجنيس التصحيف أو المصحف وقد تقدم. **وقال الوطواط:**

«ويسمونه أيضًا المضارعة والمشاكلة» (**حدائق السحر/ ١٠٢**).

تجنيس العكس:

سماه العلوى «المعكوس»، وسماه الحموى والمدنى «المقلوب» (**خزانة الأدب/٣٩، وأنوار الربيع ١/ ١٩٥**).

وقال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمة عكس الأخرى» (**البديع في نقد الشعر/ ٣٠**) وهو قسمان:

الأول: تنقلب فيه الحروف، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (طه: ٩٤). وقول أبي تمام:

بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائف في ... متونِهنَّ جلاءُ الشكِّ والرِيَبِ

الثاني: تنقلب فيه الكلمات كقوله - صلى الله عليه وسلم: «**جار الدار أحق بدار الجار**» وقول بعضهم: «**عادات السادات سادات العادات**».

وقال المصرى: «هو أن تكون إحدى كلمتيه عكس الأخرى بتقديم بعض الحروف على بعض» (**بديع القرآن/ ٣٠**).

وقال الحلبي والنويري: «فإن اشتملت كل كلمة على حروف الأخرى وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس» (**حسن التوسل/١٩٧، ونهاية الأرب ٧/٩٧**). كقول عبد الله بن رواحة يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم:

تحمله الناقةُ الأدماءُ معتجرًا   بالبرد كالبدر جلّى نورهُ الظُلما

(الآدم الأسمر مؤنثه أدماء. اعتجر: لفّ عمامته).

تجنيس القلب:

هو أن تختلف الكلمتان في ترتيب الحروف، وقد قسّمه القزوينى إلى قسمين:

(الإيضاح/٣٨٨، التلخيص/٣٩١، شروح التلخيص ج٤/٤٢٨، المطول/٤٤٨، الأطول ج ٢/٢٢٧، المنزع البديع/٤٨٧، الروض المريع/١٦٦).

الأول: قلب الكل كقولهم: «حسامه فتح لأوليائه حتف لاعدائه».

الثاني: قلب البعض كما جاء في الخبر: «**اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**».

وعليه قول المتنبى:

مُمنَّعة مُنعَّمة رَداحٌ   يكلف لفظُها الطيرَ الوقوعا

وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي «مقلوبا مجنحا» ومثّل له السيوطى بقوله تعالى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (طه: ٩٤). وهذا هو تجنيس العكس.

تجنيس القوافي:

وهو أن يأتى في القافية كما يفهم من الأمثلة التى ذكرها المظفر العلوى (**نضرة الإغريض/٨٩**) كقول النابغة الذبيانى:

نرى الراغبين العاكفين ببابه   على كل شِيزَى أُتْرِعَتْ بالعَراعر

له بفناء البيت دهماءُ جونةٌ   تلقم أوصال الجزور العُراعرِ

(العراعر - بفتح العين الأولى -: الأسنمة، والعراعر - بضم العين الأولى: الضخمة الكبيرة الشيزى خشب صلب تصنع منه القصاع، ويراد به هنا القصاع. دهماء: قدر سوداء لكثرة استعمالها. جونة: القدر التى اسودت من دخان النار. جزور: ما يذبح من النوق أوالغنم).

ومنه الأبيات:

أتعرف أطلالاً شَجَوْنك بالحال ... وعيش زمان كان في العصر الخالي
ليالي ريعان الشباب مُسَلَّطٌ ... عليّ بعصيان الأمارة والخال
وإذ أنا خدن للغويّ أخي الصبا ... وللغزل المزيح ذي اللهو والخال
ليالي تُكني تستبيني بدلها ... وبالنظر الفتّان والخد والخال
إذا سكنت رَبْعًا رئمت رباعها ... كما رئم الميثاء ذو الريشة الخالي
ويقتادني منهم رخيم دلاله ... كما اقتاد مُهْرًا حين يألفه الخالي

الخال الأول موضع، والثاني: الماضي، والثالث: العُجب، والرابع: الذي لا زوجة له، والخامس: النقطة السوداء، والسادس: الذي ليس له مُعين، والسابع: الذي يسوس الدواب.

(الغوي: الضال. المريح: من مرح. رئم: ألف وأحب. ذو الريثة: الريث الإبطاء. الميثاء: صفة للأرض اللينة السهلة من غير رمل).

التجنيس الكامل:

هو التجنيس التام أو المستوفى وقد تقدم (**الطراز ٢/٣٥٦**).

تجنيس الكناية:

هو تجنيس الإشارة، وقد تقدم.

(**خزانة الأدب ٤١، وشرح عقود الجمان/١٤٧، وأنوار الربيع ج١/٢١٧، والمنزع البديع/٤٩٦، الروض المريع/ ١٩٦٤**).

التجنيس اللاحق:

قال الرازي: «وأما إن كان الاختلاف بحرفين غير متقاربين فيسمى التجنيس اللاحق» (**نهاية الإيجاز/٢٩**).

وقال السكاكي: «وهو أن يختلفا لا مع التقارب» (**مفتاح العلوم/٢٠٣**) وقال مثل ذلك ابن الزَّمَلْكاني والحلبي والنويري والقزويني والسيوطي.

(التبيان/١٦٧، وحسن التوسل/١٩٢، ونهاية الأرب/٩٤، والإيضاح/ ٢٨٧ والتلخيص/٣٩١، ومعترك ج١/٤٠٠، وشرح عقود الجمان/ ١٤٦).

وقال المدني: «هو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف من غير مخرجه ولا قريب منه» (أنوار الربيع ١/١٤٠). ويكونان إما في الأول كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة:١). وإما في الوسط كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (غافر: ٧)، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٧، ٨). وإما في الآخر كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ (النساء: ٨٣).

وقول البحتري:

هل لما فات من تلاقٍ تلافِ ... أم لشاكٍ من الصبابة شافِ

وفرّق الحموي بينه وبين المضارع فقال: «وأما اللاحق فقلّ من فرّق بينه وبين المضارع، والمراد بالمضارع هنا المشابه. والفرق بينهما دقيق فإن اللاحق هنا ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه، ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمي مضارعًا، وإن كان قريبًا منه كان مضارعًا أيضًا. وأنا أذكر شاهد كل منهما فإن الفرق بينهما يدق عن كثير من الأفهام ولم يُساعده على ظلمة شكّه غير ضياء الحسن. والمضارع هو المتشابه في المخرج كقوله تعالى، وهو إلى الغاية التي لا تدرك: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٦). ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». ومثله قول بعضهم: «البرايا أهداف البلايا».

ومن النظم قول الشريف الرضي - رحمه الله:

لا يُذكر الرملُ إلا حنّ مغتربٌ ... له إلى الرمل أوطارٌ وأوطانٌ

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمي وابن دريد والفراء.

قال بعض أهل الأدب في كتاب: «راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن الحقوق» فالعين والحاء من مخرج واحد. ويعجبني قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة في هذا الباب:

رقّ النسيم كرقتي من بعدكم فكأننا في حبّكم نتغاير
ووعدت بالسلوان واش عابكم فكأننا في كذبنا نتخاير

فالغين والخاء من مخرج واحد... واللاحق قد تقدم أنه ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ٩، ١٠). وكتب بعضهم في جواب رسالة: «وصل كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين». ومن النظم قول البحتري وأجاد إلى الغاية:

عَجِب الناس لاعتزالي وفي .... نلقى منازل الأشراف
وقعودي عن التقلب والأر ض لمثلي رحيبةُ الأكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها غير أني امرؤ كفاني كفافي

في «كفاني» و «كفافي» هو اللاحق الذي لا يلحق» (**خزانة الأدب/٢٩** ، وينظر **أنوار الربيع ١/١٤٠**).

تجنيس اللفظ:

قال المظفر العلوي: «وربما سموه المطلق» (**نضرة الإغريض/٥٥**). ومنه قول جرير:

حلاه ذا سقيم يرى لشفائه وردًا ويمنع إنْ أراد وُرودًا

(حلاه عن الماء: طرده ومنعه).

وقول القطامي:

صريعُ غوانٍ راقهنّ ورقته لدُنْ شَبَّ حتى شابَ سود الذوائبِ

في «شبّ» و «شاب» تجنيس لفظ.

التجنيس اللفظي:

قال الحموي: «أما اللفظي فهو النوع الذي إذا تماثل ركناه وتجانسا خطًا خالف أحدهما الآخر بإبدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء» (**خزانة الأدب/ ٣٨، وينظر أنوار الربيع ١/ ١٩٣**).

وقال السيوطي: «ويبقى قسم آخر نبهت عليه من زيادتي، وهو أن يكون المبدل مناسبًا للآخر مناسبة لفظية، ويسمى اللفظي كالذي يكتب بالضاد والظاء» (**خزانة الأدب/٣٨، وينظر أنوار الربيع ١/ ١٩٣**).

وقال السيوطي: «ويبقى قسم آخر نبهت عليه من زيادتي وهو أن يكون المبدل مناسبًا للآخر مناسبة لفظية ويسمى اللفظي كالذي يكتب بالضاد والظاء نحو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣). والتاء والهاء نحو: «**جبلت القلوب على معادة المعاداة**». والنون والتنوين كقول الأرجاني:

وبيضُ الهند من وَجْدي هواز ... بإحدى البيض من عليا هوازنْ

والنون والألف كقول أبي العفيف التلمساني:

أحسن وجه الله وجها وفيما ... إن لم يكن أحق بالحسن فَمَنْ

(**شرح عقود الجمان/١٤٦، معترك ج١/ ٤٠١، وينظر أنوار الربيع ج ١/ ١٩٣**.

التجنيس المبدل:

قال المظفر العلوي: «وهو قريب من المطمع» (**نضرة الإعريض/٧٤**). وكان قد عرّف المطمع بقوله: «هو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم يبدأ في أختها على وفق حروفها فيطمع في أنه يجيء بمثلها فيبدل في آخرها حرفًا بحرف» (**نضرة الإغريض/٧٢**).

قول الخطيم المحرزي:

ليالي شهر ما أُعَرِّسُ ساعةً ... وأيامَ شهر ما أُعَرِّجُ دائب

أطمع أنه يجنس «أعرس» فقال: «أعرج» فأبدل الجيم من السين.

ومثال التجنيس المبدل قول الزبرقان بن بدر:

فُـرْسـانُ صـدق في الـصـبـاح إذا ... كَـثُـرَ الـصـيـاحُ ولجَّ في الـنَّـفْـرِ

أبدل الياء من الباء.

ومنه قول العُديل:

أخـا شقَّةٍ قد شقَّه دَلَـجُ السُّرى ... يـبـيـتُ يــروم الهــمَّ كـلَّ مــرام

أبدل الفاء من القاف.

التجنيس المتشابه:

وهـذا النوع من التام، **قال السكاكي:** «وإذا وقع أحد المتجانسين في التام مركبًا ولم يكن مخالفا في الخط كقوله:

إذا مَـلِـكٌ لم يـكـن ذا هِـبـه ... فَــدَعْــه فــدولــتُــه ذاهِـبـه

سمى «متشابها» (**مفتاح العلوم**/٢٠٣).

وذكر القزويني كلام السكاكي (**الايضاح**/٣٨٤، **والتلخيص**/٣٨٩، وينظر **الأطول** ٢/٢٢٤). وعدّه الحلبي من المركب (**حسن التوسل**/١٨٨) وفعل مثله المدني الذي قال: «الجناس المقرون ويسمى المتشابه، وهو ما اتفق ركناه لفظًا وخطًا» (**أنوار الربيع** ١/٩٨). ومثّل له بالبيت السابق وبأبيات أخرى.

التجنيس المجنب:

قال ابن الأثير: هو «أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى والجنيبة» (**المثل السائر** ١/٢٦٣، **الجامع**/٢٦٣). كقول البُستي:

أبـا الـعـبـاس لا تَـحْـسَـبْ لساني ... لـشـيء مـن حِـلـى الأشـعـارِ عـاري

فـلـي طـبـع كـسـلـسـالٍ مَـعـينٍ ... زلال مـن ذرى الأحـجـار جـاري

وقال: «وهذا القسم له رونق وطلاوة».

التجنيس المحرّف:

قال القزويني: «وإن اختلفا في هيئات الحروف فقط سمى محرّفا» (**الايضاح**/٣٨٤، **والتلخيص**/٣٨٩).

والاختلاف قد يكون في الحركة فقط مثل: «جُبّة البُرْد جُنّة البَرد» وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (الصافات: ٧٢، ٧٣).

وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم: «**البِدْعة شَرَك الشِّرْك**».

وقول أبي العلاء:

والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشَعْر أو بيتٌ من الشَعَر

وهذا هو التجنيس الناقص عند السكاكي (**مفتاح العلوم**/٢٠٢).

وقال الحموي: هو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك» (**خزانة الأدب**/٣٦). وقد سماه «جناس التحريف» وقد تقدم.

التجنيس المحض:

قال المظفر العلوي: «ومعنى المحض الخالص وكأنه من أصل واحد في مسموع حروفه» (**نضرة الإغريض**/٥١).

ومنه قول أبي حية البجلي:

يعدّها للعدى فتيان عادية وكل كهل رحيب الباع صِهْميم

قوله: «العدى» و«عادية» تجنيس محض (والصهميم من الرجال: الشجاع الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى).

(يرد البيت بعد تحت تجنيس المشابهة).

وقال يزيد بن جدعاء:

وهم صَبّحوا أخرى ضرارًا ورهطه وهم تركوا المأمومَ وهو أميمُ

«المأموم» الذي يهذي من أم رأسه، و«الأميم» حجر يشدخ به الرأس.

التجنيس المحقق:

قال ابن رشيق: «التجنيس المحقق ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع» (**العمدة ١/٣٢٣**). كقول أحد بني عبس:

وذلكم أنّ ذل الجار حالفكم وأنّ أنفكم لا يعرفُ الأنفا

فاتفقت «الأنف» مع «الأنف» في جميع حروفهما دون البناء، ورجعا إلى أصل واحد، وهذا عند قدامة (**نقد الشعر/١٨٩**) أفضل تجنيس وقع.

ومثله في الاشتقاق قول جرير - والجرجاني يسميه التجنيس المطلق (**الوساطة/٤١**):

وما زال معقولاً عقالٌ عن الندى وما زال محبوسًا عن الخير حابس

التجنيس المخالف:

قال الحلبي والنويري: «هو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها» (**حسن التوسل/١٩٦، ونهاية الأرب ٧/٩٧**). كقول أبي تمام:

بيض الصفائحِ لا سودُ الصحائف في متونهنّ جلاءُ الشك والريبِ

وقول البحتري:

شواجرُ أرماحٍ تقطع بينهم شواجرُ أرحامٍ ملوم قطوعها

وقول المتنبي:

مُمَنَّعة منعمه رَداحٌ يُكلّفُ لفظُها الطيرَ الوقوعا

والبيت الأول من شواهد «تجنيس العكس».

التجنيس المختلف:

هذا النوع من التجنيس الناقص، وقد قال ابن الزَّمْلَكاني: «ثم النقص إن وقع بتغير الحركات سمى المختلف» (**نهاية الإيجاز/٢٨، والطراز ٢/٣٥٩**). وذكره المظفر العاوى بهذا الاسم. **وقال الحلبي والنويري**: «ومنه المختلف ويسمى التجنيس الناقص» (**حسن التوسل/١٨٦، ونهاية الأرب ٧/٩١**).

والاختلاف إما في الحركة كقوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم كما حسنْت خلْقي فحسّن خُلُقي**». وقول أبي العلاء:

لغيري زكاةٌ من جمال فإن تكن ... زكاةُ جَمال فاذكرى ابن سبيلِ

أو بالحركة والسكون كقوله: «البدْعة شَرَك الشّرْك».

أو بالتخفيف والتشديد كقولهم: «الجاهلُ إما مُفْرط وإما مفرّط».

التجنيس المذيّل:

قال السكاكي: «هو أن يختلفا بزيادة حرف» (**مفتاح العلوم**/٢٠٢). **وقال الحموي:** «اختلف جماعة المؤلفين في اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فإن فيها مطابقة للمسمى، وما ذاك إلا أن المذيل هو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفًا في آخره فصار له كالذيل» (**خزانة الأدب**/٢٨).

وذكر السيوطي أن بعضهم يسميه «المتوّج» (**معترك** ١/٤٠٠ **وشرح عقود الجمان**/١٤٥). وسماه الوطواط «التجنيس الزائد» وقال: ويسمونه أيضًا التجنيس المذيل» (**حدائق السحر**/٩٦). وسماه الحلبي والنويري المذيل والزائد والناقص (**حسن التوسل**/١٨٧، **ونهاية الأرب** ٧/٩١).

وقال العلوي: «هو أن تجيء الكلمتان متجانستي اللفظ متفقتي الحركات والزنة خلا أنه ربما وقع بينهما مخالفة» (**الطراز** ٢/٣٦٢). وتلك المخالفة على وجهين:

الأول: أن تختص إحدى الكلمتين بحرف يخالف الأخرى من عجزها كقول أبي تمام:

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصم ... تصول بأسياف قواضٍ قواضب

فآخر «عواص» ياء، وآخر «عواصم» ميم، وآخر «قواضٍ» ياء، وآخر «قواضب» باء.

وقول البحتري:

لئن صَدَفَتْ عنّا فربَّتَ أنفسٍ ... صوادٍ إلى تلك النفوس الصوادفِ

فآخر «صواد» الياء، وعجز «صوادف» الفاء مع اتفاقهما فيما عدا ذلك.

الثاني: أن تختلف الكلمتان من أولهما كقوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ (القيامة: ٢٩، ٣٠). فلم يختلف «الساق» و «المساق» إلا بزيادة الميم في أول «المساق».

ومن ذلك ما ذكره عبد القاهر:

وكم سبقت منه إليّ عوارفٌ ... ثنائيَ من تلك العوارِف وارفُ

وكم غررٍ من برّه ولطائفٍ ... لشكري على تلك اللطائف طائفُ

قال: «وذاك أن زيادة «عوارف» على «وارف» بحرف اختلاف من مبدأ الكلمة في الجملة فإنه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرف من هذا التخيل وإن كان لا يقوى تلك القوة كأنك ترى أن اللفظة أعيدت عليك مبدلاً من بعض حروفها غيره أو محذوفًا منها» (**أسرار البلاغة/١٩**).

التجنيس المردد:

هو التجنيس المزدوج والمكرر **حدائق السحر/٨٩** و**مفتاح العلوم/٢٠٢**، و**حسن التوسل/١٩١**، و**نهاية الأرب ٩٣/٧**، و**الطراز ٣٦٥/٢**).

قال ابن الزّملكاني: «ومتى ولي أحد المتجانسين الآخر من غير فصل قيل له المزدوج» (**التبيان/١٦٨**، و**الإيضاح في شرح مقامات الحريري/١١**. مثل: «مَن جَدَّ وجد» وقال الشاعر:

حَدَقُ الآجالِ آجالُ ... والهوى للناس قتّالُ

فالأول جمع «إجْل» بكسر الهمزة وسكون الجيم وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع «أَجَل» بفتحهما. وهو مدة الشيء.

وقال الحلبي والنويري: «ويقال له التجنيس المردّد والمكرر أيضًا، وهو أن يأتي في أواخر الأسجاع وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما ضميمة الأخرى وبعضها» (**حسن التوسل/٩١** و**نهاية الأرب ٩٣/٧**). كقول البُستي:

أبـا الـعـبـاس لا تحسب لشيني ... بـأنـي مـن حِـلـى الأشـعـار عـاري

فـلـي طـبـع كـسـلـسـالٍ معين ... زلالٌ مـن ذرى الأحـجـار جـاري

وكان ابن الأثير قد ذكر هذين البيتين شاهدًا للتجنيس المجنب (**الجامع الكبير/٢٦٣**). وصحح الصفدى ذلك وقال: «هو النوع الذى يسمونه بالمزدوج» (**نصرة الثائر/١٤٨**).

وقال العلوى: «وإنما لقب هذا بالمزدوج لما يظهر بين الكلمتين من الاستواء، ومنه الازدواج وهو الاستواء، ويقال له التجنيس المردد، ويقال له المكرر أيضًا. وينقسم إلى ما يكون الازدواج واردًا على جهة الانفصال في الكلمتين جميعًا كقولك: «**منْ جدّ وجد**» و «**من لجّ ولج**». وإلى ما يكون الازدواج واردًا إلى جهة الانفصال في إحداهما والاتصال في الأخرى كقولك: «إذا ملأ الصاع انصاع» (**الطراز ٢/٣٦٥**). وكبيتى البستى السابقين. «أبا العباس.....».

التجنيس المرفو:

أدخله القزوينى في التجنيس التام وقال: «والتام أيضًا إن كان أحد لفظيه مركبًا سمّى جناس التركيب، ثم إن كان المركب منهما مركبًا من كلمة وبعض كلمة سمى مرفوًا».

(**الإيضاح/٣٨٣**، وينظر **التبيان/١٦٧**، و**حسن التوسل/١٩٠**، و**نهاية الأرب** ج ٧/ ٩٢، و**خزانة الأدب**/ ٢٣، و**معترك** ج ١/ ٤٠١، و**شرح عقود الجمان/١٤٤**، و**الإيضاح في شرح مقامات الحريرى** ص ١١).

وقال الحلبى والنويري: «ومن أنواع المركب المرفو وهو أن تجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من الأخرى فتضم إلى القصيرة من حروف المعانى أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركنا التجنيس» (**حسن التوسل/١٩٠**، و**نهاية الأرب** ٩٢/٧).

وقال المدني: «هو ما كان أحد ركنيه مستقلاً والآخر مرفوًا من كلمة أخرى» (**أنوار الربيع ١/١١١**).

ومنه قول الحريري:

ولا تَلْهُ عن تذكار ذنبك وابْكِهِ بدمع يُحاكي الوبْلَ حالَ مصابه
ومثِّل لعينيك الحمام ووقْعه وروعة ملقاه ومطعَمَ صابه

وكان عبد القاهر قد سماه كذلك ومثّل له بقول القائل:

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أوْدعاني

التجنيس المركب:

هو تجنيس التركيب والتجنيس المرفو. وقد تقدم.

التجنيس المزدوج:

هو التجنيس المردد أو المركب.

التجنيس المستوفى:

ويقال له التام والكامل، وهو أن تكون كل كلمة مستوفاة في الأخرى (**الطراز** ٢/٣٥٦)، وقال الحموي عن التام: «إن انتظما من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفى» (**خزانة الأدب**/٣٠) وهذا ما ذهب إليه القزويني من قبل (**الإيضاح**/٣٨٣).

وعدّ هذا من التجنيس لاختلاف المعنيين لأن أحدهما فعل والآخر اسم، ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيسا، وإنما كان لفظة مكررة، أي: أنه ينبغي أن تكون الكلمتان من نوعين، ولذلك قال القزويني: «وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفى» (**الإيضاح**/٣٨٣). ومنه قول الشاعر:

ما مات من كَرَمِ الزمان فإنّه يحيا لدى يحيى بنِ عبدِ اللهِ

وقول الآخر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكُنْ إلى ردّ أمر الله فيه سبيلُ

تجنيس المشابهة:

وهو مما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المغاير (**حسن التوسل/١٩٥ ونهاية الأرب ٧/٩٥**). كقوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤) وقوله: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ (المائدة: ٣١).

ومنه قول البحتري:

وإذا ما رياح جودك هَبَّتْ صار قولُ العذّال فيك هباءا

وقول أبي حية البجلي:

يعدّها للعدى فتيان عادية وكل كهل رحيب الباع صِهْميم

(ورد البيت تحت التجنيس المحض، سابقًا)

قال المظفر العلوي، «وقوله: «يعدها للعدى» تجنيس مشابه».

التجنيس المشوش:

قال السكاكي، «وههنا نوع آخر يسمى تجنيسًا مشوشًا وهو مثل قولك: «بلاغة وبراعة» (**مفتاح العلوم/٢٠٢**).

وقال الغانمي:«وكل تجنيس تجاذبه طرفان فلا يمكن إطلاق اسم إحدهما عليه فهو المسمى بالمشوش. مثاله قولهم: «فلان مليح البلاغة لبيق البراعة» (**التبيان/١٦٨ ، والإيضاح في شرح مقامات الحريري/١٢**).

وقال العلوي، «فلو اتفق العينان في الكلمتين وكانتا من حرف واحد لكان ذلك من تجنيس التصحيف، أو كان اللامان متفقين لكان ذلك من المضارع. فلما لم يكن كما ذكرناه بقى مذبذبًا بين الأمرين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه. ومنه قولهم: «صَدّ عني مذ صَدّ عنّي» فلولا تشديد النون لكان معدودًا من تجنيس المركب» (**الطراز ٢/٣٦٨**).

وقال الحموي، «إن الركنين إذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا لواحد كان الجناس مشوشا» (**خزانة الأدب/٣٦**).

ومثاله قول أبي فراس:

لطيرتي في الصداع نالت ... فوق منال الصداع مني

وجدت فيه اتفاق سوء ... صدعني مثل صد عني

قال المدني: «فلولا تشديد نون «عني» لكان جناسا مركبا، أو كان «صَدّعنّي» كلمة واحدة لكان جناسًا محرفا» (**أنوار الربيع** ١/٢٢٢).

التجنيس المصحف:

هو تجنيس التصحيف، وقد تقدم.

(**حسن التوسل**/١٩٢، **نهاية الأرب** ج٧/ ٩٣، **الطراز** ج٢/٣٦٥، **خزانة الأدب**/ ٣٦، **الإيضاح في شرح مقامات الحريري**/١١).

التجنيس المضارع:

تحدث ابن رشيق عن تجنيس سماه «المضارعة» وقال: إنه على ضروب كثيرة منها أن تزيد الحروف وتنقص وهو الذى يسميه القاضى الجرجانى الناقص (**الوساطة**/٤٣) كقول أبي تمام:

يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ ... تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

ومنه أن تتقدم الحروف وتتأخر كقول أبي تمام:

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف في ... متونهنّ جلاءُ الشّك والرِيَبِ

ومنها التصحيف ونقص الحروف كقول بعضهم:

فإنْ حلوا فليس لهم مقرّ ... وإنْ رحلوا فليس لهم مَفَرُّ

وقال الرازي: (**العمدة** ١/٣٢٥): «إن الحرفين اللذين وقع الاختلاف فيهما إما أن يكونا متقاربين أو لا يكونا متقاربين، فالأول يسمى المضارع والمطرف» (**نهاية الإيجاز**/٢٩).

وقال السكاكي: «التجنيس المضارع أو المطرف هو أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج» (**مفتاح العلوم**/٢٠٢).

وقال ابن الزملكاني: «وإن لم يتفقا خطًا فإن وقع التفاوت بحرف من الحروف المتقاربة سواء وقع أولاً أو آخرًا أو حشوًا لقب المضارع». (**التبيان**/١٦٧).

وقال القزويني: «ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمى الجناس مضارعًا» (**الإيضاح**/٣٨٦، **والتلخيص**/٣٩١). وهو إما في الأول نحو: «**بيني وبين كِنّي ليل دامس وطريق طامس**». أو في الوسط كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام:٢٦). أو في الآخر كقوله – صلى الله عليه وسلم –: «**الخيل معقود بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة**».

وقال الحلبي والنويري: «ومنه المضارع ويسمى المطمع، وهو أن يجاء بالكلمة ويبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها فتطمع في أنها مثلها فتخالف بحرف. ويسمى المطرف أيضًا وهو أن تجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلاّ بحرف واحد من الحروف المتقاربة سواء وقع آخرًا أو حشوًا كقوله – صلى الله عليه وسلم – «**الخيل معقود بنواصيها الخير**». ومنه قول الحُطيئة:

مطاعينُ في الهيجا مطاعيمُ في الدجى ... بنى لَهُم آباؤهم وبَنى الجدُّ

وقول البحتري:

ظَلَـلْتُ أرجـم فيك الظنو ... نَ أحاجمه أنْتَ أم حاجبهْ؟

(**حسن التوسل**/١٩٢، **ونهاية الأرب** ٩٤/٧، **وينظر الروض المريع**/١٦٤).

ولكن المطرف عند القزويني هو «أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول كقوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ (القيامة: ٢٩، ٣٠) أو في الوسط كقوله: «جَدّي جهدي». أو في الآخر كقول أبي تمام:

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ ... تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ

وعرف المضارع بأن يكون الحرفان المختلفان متقاربين (**الإيضاح**/٣٨٥، **والتلخيص**/٣٩٠)

وقال العلوي: «هو أن يجمع بين كلمتين هما متجانستان لا تفاوت

بينهما إلا بحرف واحد سواء وقع أولاً أو آخرًا أو وسطًا حشوًا». وهو وجهان: (الطراز٢/٣٦٦)

الأول: أن يقع الاتفاق في الحروف المتقاربة كالحديث الشريف السابق.

الثاني: أن يقع في الحروف التي لا تقارب فيها كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ ﴾ (النساء: ٨٣).

وكقول البحتري:

ألما فات من تلاق تلاف ... أم لشاك من الصبابة شاف؟

ثم قال: «وما هذا حاله يقال له التجنيس اللاحق والتجنيس الناقص» (الطراز ٢/٣٦٧)

وأدخله السيوطي في تجنيس التصريف وهو عنده قسمان: «ما يكون التخالف بحرف مقارب في المخرج وما يكون بغيره، والأول يسمى المضارع والثاني اللاحق. وكل منهما أما في الأول أو في الوسط أو في الآخر» (**شرح عقود الجمان/١٤٦**، **ومعترك ١/٤٠٠**).

والمضارع عند الحموي هو «المشابه في المخرج» (**خزانة الأدب/٢٩**). وسماه المدني «المطرف» وقال: «وأما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرف في طرفه الأول وهو عكس المذيل، فإن المذيل تكون الزيادة في آخره فهي كالذيل. وقد يسمى هذا الجناس المردوف والناقص وفي تسميته اختلاف كثير ولكن المطرف أولاها لأنه مطابق للمسمى إذ الزيادة فيه كالطرف لأنها في أوله، وخير الأسماء ما طابق المسمى» (**أنوار الربيع ١/١٧١**).

التجنيس المضاف:

قال القاضي الجرجاني: «ومنه التجنيس المضاف كقول البحتري:

أيا قمر التمام أعنت ظلمًا ... عليّ تطاول الليل التمام

ومعنى التمام واحد في الأمرين ولو انفرد لم يعد تجنيسًا ولكن أحدهما صار موصولاً بالقمر والآخر بالليل فكانا كالمختلفين» (**الوساطة/٤٤**).

وقال ابن رشيق تعليقًا على هذا البيت: «فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيسًا وإذا انفصل لم يكن تجنيسًا. وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال: «ليل التمام» كما قال: «قمر التمام». والرماني سمّى هذا النوع مزاوجًا ومثله عنده قول الآخر:

حمتني مياه الوفر منها مواردي　　فلا تحميانى ورد ماء العناقدِ

(العمدة ١/ ٣٣٠، وينظر الوافي/٢٦٢، وقانون البلاغة/٤٣٨)

وقال المصري: «وأما القسم الذي جعلته لها تاسعًا وهو الذي ذكره التبريزي وسماه التجنيس المضاف وأنشد فيه قول البحتري: «أيا قمر التمام.....» فهو مع قطع النظر عن الإضافة من تجنيس التحريف، لكن هو قسم قائم بذاته لاتصال المضاف بالمضاف إليه» (تحرير التحبير/ ١١٠). وليس هذا النوع من تسمية التبريزي وإنما من تسمية القاضي الجرجاني (الوساطة/ ٤٤).. وسماه ابن الزملكاني «تجنيس الإضافة» (التبيان/١٦٨) وقد تقدم.

التجنيس المطابق:

قال البغدادي: «وأما التجنيس فهو أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت:

إحداهما مشتقة من الأخرى ويسمونه المطابق، وهو أشهر أوصافه وأكبر أصنافه» (قانون البلاغة/٤٣٧).

نحو قول امرئ القيس:

لقد طمح الطمّاحُ من بعد أرضه　　ليلبسني من دائه ما تلبَّسا

والمطابق من تسمية قدامة وقد قال: «فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها» (نقد الشعر/١٨٥).

مثل قول زياد الأعجم:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل　　وللؤم فيهم كاهلٌ وسنامُ

والتجنيس المطابق هو التجنيس المطلق عند التبريزي الذي نقل عنه البغدادي تعريفه ومثاله ولكنه وضعه للمطابق (الوافي/٢٦٤).

التجنيس المطرف:

هو التجنيس المضارع، وقد تقدم.

(**حدائق السحر/٩٩، نهاية الإيجاز/ ٢٩، مفتاح العلوم/٢٠٢، حسن التوسل/١٩٢، نهاية الأرب ج٧/٩٤، الإيضاح/٢٨٥، التلخيص/٣٩٠، شروح التلخيص ج٤/٤٢٥، شرح عقود الجمان/١٤٥، الأطول ج٢/٢٦٦؛ أنوار الربيع ج١/١٧١**).

غير أن الحموي قال عنه:

وأما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفًا في طرفه الأول» (**خزانة الأدب/٣٥**) وهذا غير تعريفه للمضارع (**خزانة/٢٩**).

التجنيس المطلق:

قال القاضي الجرجاني: «وأما التجنيس فقد يكون منه المطلق وهو أشهر أوصافه، كقول النابغة:

وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت بعد الكلال تَشَكَّى الأَيْنَ والسَّأما

وهذا يتصل بالاشتقاق فـ «خرق» و«خرقاء» يجمعهما أصل، وقد قال ابن رشيق بعد أن تكلم على التجنيس المحقق: «ومثله في الاشتقاق قول جرير والجرجاني يسميه التجنيس المطلق» (**العمدة/٣٢٤**).

وقال التبريزي: «التجنيس أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى، وهذا الجنس يسمونه المطلق» (**الوافي/٢٦٠**). نحو قول امرئ القيس:

لقد طمع الطماح من بُعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

وقول جرير:

فما زال معقولاً عقالٌ عن الندى وما زال محبوسًا عن المجد حابسُ

وهذا الذي سماه البغدادي «التجنيس المطابق» وذكر له الأمثلة نفسها (**قانون البلاغة/٤٣٧**).

وعرّفه ابن الزملكاني بمثل تعريف التبريزي وذكر بيت جرير (**التبيان/١٦٦**).

وسماه المظفر العلوي» تجنيس اللفظ» (**نضرة الإغريض/٥٥**)، وعدّه العلوي من الناقص وقال: «المختلف بالأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق وما هذا حاله يقال له المطلق» (**الطراز/٣٥٩**)، كبيت جرير، ثم قال: «وإنما سمي مطلقًا لأنه لما كانت حروفه مختلفة ولم يشترط فيه أمر سواه قيل له مطلق». وسماه السكاكي «تجنيس المشابهة» أو المتشابه» (**مفتاح العلوم/٢٠٣**)، وقال الحموي: «أما الجناس المطلق فإن للناس في الفرق بينه وبين المشتق، معارك وسماه السكاكي وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته وقربه من المشتق وكل منهما يختلف في الحروف والحركات. ولكن الفرق بينهما دقيق قلّ من أتى بصحته ظاهرًا فإن المشتق غلط فيه جماعة وعدّوه تجنيسًا، وليس الأمر كذلك فإن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد، والمراد من الجناس اختلاف المعنى في ركنيه، والمطلق كل ركن منه يباين في المعنى» (**خزانة الأدب/٢٥**).

التجنيس المطمع:

هو التجنيس المضارع (**حسن التوسل/١٩٢، ونهاية الأرب ٧/٩٤**)، وقد تقدم.قال السيوطي: «وسمى قوم هذا النوع المطمع لأنه لما ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التي قبلها طمع في أنه يجانسها بمثلها جناسًا مماثلاً» (**شرح عقود الجمان/١٤٦**).

وقال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم يبدأ في أختها على وفق حروفها فيطمع في أنه يجيء بمثلها فيبدّل في آخرها حرفا بحرف وهو حسن في التجنيس» (**نضرة الإغريض/٧٢**). كقول الحطيئة:

مطاعينُ في الهيجا مطاعيمُ في الدجى ... بنى لهم آباؤهم وبنى الجدُّ

وقول أبي كدراء العجلي:

نَهَضْت إلى حديدٍ مشرفيٍّ ... حديثِ الصَّقْلِ مأثور حسام

التجنيس المعكوس:

هو أن يقدم المتكلم المؤخر من الكلام ويؤخر المقدم منه، قال ابن الأثير: «وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب «التبديل» وذلك اسم مناسب لمسماه، لأن المؤلف يأتي بما كان مقدمًا في جزء كلامه الأول مؤخرًا في الثاني، وبما كان مؤخرًا في الأول مقدمًا في الثاني» (**الجامع الكبير/٢٦٢، والمثل السائر ١/٢٦١**). وهو ضربان:

الأول: عكس الألفاظ كقول بعضهم: «**عادات السادات سادات العادات**». وقول عتاب بن ورقاء:

إنّ الليالي للأنام مناهلٌ ... تُطوى وتُنشر دونها الأعمارُ

فقصارُهُنّ مع الهموم طويلةٌ ... وطوالُهُنّ مع السرور قِصارُ

وكقول الأضبط:

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... ويأكل المالَ غيرُ مَنْ جَمعَه

ويقطع الثوبَ غيرُ لابسه ... ويلبس الثوبَ غيرُ من قطَعه

ومنه قول تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (الروم: ١٩)

الثاني: عكس الحروف كقوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٣)، وقول بعضهم:

أهديت شيئًا يقلّ لولا ... أحدوثةُ الفألِ والتبرُّك

كرسي تفاءلت فيه لما ... رأيت مقلوبَه يَسرّك

وكقول الآخر:

كيف السرور بإقبالٍ وآخره ... إذا تأملته مقلوبُ إقبالِ

قال ابن الأثير: «وهذا الضرب نادر الاستعمال لأنه قلما تقع كلمة تقلب حروفها فيجيء معناها صوابا» (**الجامع الكبير/٢٦٢**).

تجنيس المعنى:

قال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بألفاظ يدل بمعناها على الجناس وإن لم يذكره» (**نضرة الإغريض**/٧٠). كقول الشاعر في مدح المهلب:

حدا بأبى أم الرئال فأجفلت نعامته من عارضٍ يتلَهّبُ

يذكر فعل المهلب بقطري بن الفجاءة، وكان قطري يلقب «أبا نعامة» فأراد أن يقول: حدا بأبي نعامة فأجفلت نعامته، أي: روحه فلم يستقم له فقال: «بأبي أم الرئال» وأم الرئال النعامة وهو جمع رأل.

وقال الحلبي والنويري: «هو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها. وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظًا، ولا يوافقه الوزن على الإتيان باللفظ المجانس فيعدل إلى مرادفه» (**حسن التوسل**/١٩٧، **ونهاية الأرب** ٩٧/٧). ثم قالا: «وبعضهم لا يدخل هذا في باب التجنيس وإن كان في غاية الحسن والصعوبة».

وتحدث العلوي عن هذا النوع في «تجنيس الإشارة» (**الطراز** ٣٧٢/٢).، وأفرد الحموي نوعًا سماه «الجناس المعنوي» (**خزانة الأدب**/٤١) وهو «تجنيس المعنى»، وقسمه إلى تجنيس إضمار وتجنيس إشارة وقال: «إن المعنوي طرفة من طرف الأدب عزيز الوجود جدًا». وتابعه في ذلك السيوطي والمدني» (**شرح عقود الجمان**/١٤٧، **وأنوار الربيع** ٢٠٩/١). وقسماه إلى إضمار وإشارة، وقد تقدم هذان النوعان.

التجنيس المغاير:

قال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمتان اسمًا وفعلاً» (**البديع في نقد الشعر**/١٢). كقوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤) وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ (الروم: ٤٣).

وقول ذي الرُّمة:

كأنّ البُرى والعاجَ عيجتْ مُتونُه على عُشَرٍ نَهّى به السَّيْل أبْطَحُ

(البري: الخلاخيل. العاج: أسورة من العاج. بيت: لويت. العشر: شجر ناعم لين. نهى به السيل: بلغ به إليه، الأبطح: بطن الوادي).

وقول جرير:

كأنك لم تَسِرْ ببلاد نَجْدٍ ... ولم تنظر بناظرةَ الخياما

وقول الآخر:

رب خَوْد عرفت في عرفات ... سلبتني بحسنها حسناتي

ورمت بالجمار جمرة قلبي ... أي قلب يقوى على الجمرات

حرَّمت حين أحرمت نوم عيني ... واستباحت حماي باللحظات

وأفاضت مع الحجيج ففاضتْ ... من دموعي سوابقُ العبرات

لم أنل من مِنى مُنى النفس لكن ... خِفْتُ بالخيف أن تكون وفاتي

وقال المظفر العلوي: «هو أن يأتي الشاعر بكلمتين إحداهما اسم والأخرى فعل» (نضرة الإغريض/٦١). ثم قال: «وهذا التجنيس يستحسنه أهل البديع في الشعر وهو كثير جدًا».

وقال الحلبي والنويري: «ومما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المشابه وبعضهم المغاير قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤). وقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ (المائدة: ٣١). وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس: ١٠٧) وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ (النمل: ٤٤).

ومن النظم قول البحتري:

وإذا ما رياح جودك هبَّت ... صار قول العذّال فيها هباءا

(حسن التوسل/١٩٥، ونهاية الأرب ٧/٩٥)

وسماه ابن الأثير الحلبي «جناس المغايرة» وقال: «هو أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا والأخرى فعلا» (جوهر الكنز/٩٢).

وهذا النوع أقرب إلى تجنيس الاشتقاق وغيره من الأنواع الأخرى التى تعتمد على المقاربة في الاشتقاق، ولكنهم اشترطوا في هذا النوع أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا والأخرى فعلا.

التجنيس المفروق:

وهو الضرب الثانى من التجنيس المركب، والمركب قد يكون من كلمة وبعض كلمة وهو المرفو، أما إذا اختلفا فهو المفروق.

(نهاية الإيجاز/٢٠، التبيان/١٦٧، مفتاح العلوم/٢٠٣، حسن التوسل/١٨٩، نهاية الأرب ج ٩٢/٧، الإيضاح في شرح مقامات الحريرى/ ١١، الإيضاح/٢٨٤، التلخيص/٣٨٩، خزانة الأدب/٢٢، الأطول ج٢٢٤/٢، أنوار الربيع ج ١٠٣/١).

ومنه قول البستى:

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا
ما الذى ضرّ مدير الـ جام لو جاملَنا

وقال المدنى: «وخصّ باسم المفروق لافتراق الركنين في الخط» (أنوار الربيع ١٠٣/١) ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر:

لا تَعرضَنّ على الرواة قصيدةً ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
فمتى عَرضْت الشعر غير مهذّبٍ عدّوه منك وساوسًا تهذى بها

التجنيس المقارب:

قال المظفر العلوي: «ومعناه أنه يقارب التجنيس وليس بتجنيس» (نضرة الإغريض/٦٦) كما قال محمد بن عبد الملك الأسدى:

ردّ الخليط أيانقًا وجمالا وأراد جيرتك الغداة زيالا

فـ «ردّ» و «أراد» يشبه التجنيس المقارب وليس بتجنيس.

وقال القطامي:

كأنَّ الناس كُلُّهم لأمّ ونحنُ لِعَلَّةٍ عَلَتِ ارتفاعا

التجنيس المقتضب:

هو تجنيس الاشتقاق وتجنيس الاقتضاب، وقد تقدم.

التجنيس المقلوب:

هو تجنيس العكس، وقد تقدم.

التجنيس المكرر:

هو التجنيس المردد والتجنيس المزدوج، وقد تقدم.

التجنيس الملفق:

قال الحموي: «حد الملفق أن يكون كل من الركنين مركبًا من كلمتين، وهذا هو الفرق بينه وبين المركب. وقلّ من أفرده عنه، وغالب المؤلفين ما فرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبًا إلا الحاتمي وابن رشيق وأمثالهما. ولعمري لو سمى الملفق مركبًا والمركّب مُلفقا لكان أقرب إلى المطابقة في التسمية؛ لأن الملفق مركب في الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثاني مركب من كلمتين، وهذا هو التلفيق» (**خزانة الأدب/٢٧**). ومنه قول الشاعر:

وكم لجباهِ الراغبين إليه من مجالِ سجودٍ في مجالس جُودِ

وقال السيوطي: «هو المتركب ركناه» (**شرح عقود الجمان/١٤٤**)، وذكر المدني مثل ما قال الحموي وأضاف أمثلة إليه. ومن ذلك قول الصلاح الصفدي الذي كان مولعًا بهذا النمط:

بكيت على نفسي لنوح حمائم وجدت لها عندي هدية هادِ

تنوب إذا ناحت على الأيك في الدجى مناب رشاد في منابر شادِ

وقوله:

متى تصنع المعروف تَرْقَ إلى العلى وتَلْقَ سُعُودًا في ازدياد سُعودِ

وإنْ تغرِسِ الإحسانَ تجْنِ الثمار من   مغار سعودٍ لا مغارس عُودِ

التجنيس المماثل:

قال التفتازاني: «سمى جناسًا مماثلاً جريا على اصطلاح المتكلمين من أن التماثل هو الاتحاد في النوع» (**المختصر** ٤/٤١٥).

وقال ابن منقذ: «هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين» (**البديع في نقد الشعر**/١٤) كقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (الواقعة: ٨٩) وقوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤).

وقول النبى صلى الله عليه وسلم: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**».

ومنه قول الشاعر:

إذا أعطشتك أكفُّ اللئام   كفتك القناعةُ شبعا وريّا
فكن رجلاً رجله في الثرى   وهامة همته في الثريّا
أبيا لنائل ذي ثروةٍ   تراه بما في يديه حفيا
فإنّ إراقةَ ماء الحياة   دون إراقة ماء المحيّا

وعرّفه المظفر العلوى بمثل ذلك (**نضرة الإغريض**/٩٥)، وقال القزويني: «فإن كانا من نوع واحد سمى مماثلاً» (**الإيضاح**/٢٨٢، **والتخليص**/٣٨٨)، وهو من الجناس التام، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥).

وسماه ابن الأثير الحلبى «جناس المماثلة» (**جوهر الكنز**/٩٣)، وردد الحموى ما قاله القزوينى وهو أنه «إذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سُمى مماثلا» (**خزانة الأدب**/٣٠).

التجنيس المنفصل:

قال ابن رشيق: «وقد أحدث المولدون تجانسًا منفصلاً يظهر أيضًا في الخط كقول أبى تمام:

رفدوك في يوم الكلاب وشققوا   فيه المراد بجحفلٍ كاللاّبِ

الكاف للتشبيه، واللاب جمع لابة، وهي: الحرة ذات الحجارة السود... وليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون، ولكنه استظرف فأدخل في هذا الباب تملحًا. وأكثر من يستعمله الميكالي وقابوس وأبو الفتح البستي وأصحابهم.

التجنيس الناقص:

وهو غير التام والكامل، وذلك أن يكون نقص في إحدى الكلمتين: قال القاضي الجرجاني: «ومنه الناقص كقول الأَخْنَس بن شهاب:

وحامي لواء قد قتلنا وحاملٍ   لواءً مَنَعْنا والسيوفُ شوارعُ

فجانس بـ «حامي وحامل»، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر (**الوساطة**/٤٣).

وأدخله ابن رشيق في تجنيس المضارعة» وأشار إلى أن الجرجاني سماه التجنيس الناقص (**العمدة** ٣٢٥/١) وسماه التبريزي والبغدادي والصنعاني ناقصًا.

(**الوافي**/٢٦٢ **وقانون البلاغة**/٤٣٨، **والرسالة المحمدية**/١٣٣).

وقال الرازي: «إنه التجنيس الذي يكون الاختلاف واقعًا في هيئة الحروف (**نهاية الإيجاز**/٢٨) وهذا ما قاله الوطواط من قبل (**حدائق السحر**/٩٥). وإلى ذلك ذهب السكاكي وقال: «هو أن يختلفا في الهيئة دون الصورة» (**مفتاح العلوم**/٢٠٢) وقال ابن الزملكاني: «وهو ما عدا التام» (**التبيان**/١٦٦). وقال القزويني: «وان اختلفا في أعداد الحروف سمي ناقصا» (**الإيضاح**/٣٨٥، **والتلخيص**/٣٨٩)، وهو إما أن يختلفا بزيادة حرف واحد وهو المطرف، أو بزيادة أكثر من حرف واحد وهو المذيل.

وسماه الحلبي والنويري «المختلف» وقالا: «ومنه المختلف ويسمى التجنيس الناقص، وهو مثل الأول في اتفاق حروف الكلمتين إلا أنه يخالفه إما في هيئة الحركة.. أو بالحركة والسكون» (**حسن التوسل**/١٨٦، **ونهاية الأرب** ٩١/٧).

وقسمّ العلوى التجنيس كغيره إلى قسمين أساسيين:

الأول: التجنيس التام وهو المستوفى والكامل، وذلك أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركاتهما ويختلفا في المعنى.

الثاني: الناقص، ويقال له المشبه، ويأتي على أنحاء مختلفة، ويأتى على عشرة أضرب: المختلف والمشتق وغير المشتق. المفروق والمرفو والمذيل والمزدوج والمصحف والمضارع والمشوش والمعكوس والإشارة.

(الطراز ج ٢/ ٣٥٩، وينظر صوامع/ ٤٠٠، شرح عقود الجمان/ ١٤٥، الأطول ج ٢/ ٢٢٥، الروض المريع/ ١٦٦).

وقد سبق الكلام على هذه الأنواع وغيرها من الأنواع التى شعبها المتأخرون، وهى كلها ترجع إلى التجنيس الناقص[1].

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. تأليف الدكتور أحمد مطلوب ٢/ ٥١-١٠٩.
انظر أيضا: دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني - تحقيق لجنة بمعرفة الناشر. دار ابن خلدون - الإسكندرية د. ت/ ٢٤٢ - ٢٤٥. وجواهر البلاغة تأليف العلامة السيد/ أحمد الهاشمي - تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد/ ٢١٨ - ٢٢٥، وكشاف اصطلاحات الفنون. تأليف الشيخ الأجل المولوى محمد على بن على التهانوى ١/ ٢٢٦ - ٢٢٩، وقاموس القرآن الكريم. المدخل - إعداد نخبة من العلماء والباحثين. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي/ ١٦٢، ١٦٣.

(٦١) التقريب

أحد المعاني التي يأتي لها كل من الحرفين التاليين: كأن، وهي حرف ناسخ من أخوات (إن) وأصل معناه التشبيه، ولكنه قد يأتي للتقريب في رأي الكوفيين. وقد حملوا عليه هذه الأقوال: كأنك بالشتاء مقبل - وكأنك بالفرج آت، وكأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل. وكقول الحريري:

كأني بك تنحط إلى اللحد وتنغط

قالت المؤلفة: وقيل كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٧) «الحفيّ: العالم المستقصي» (المعجم الوسيط ١/١٨٧):

وكأنّ في كل هذه الأمثلة ليست للتشبيه وإنما هي للتقريب، وقد قيل في إعراب هذه الأساليب عدة أقوال أقربها إلى الصواب ما يلي: كأن للتقريب والياء حرف تكلم، أو الكاف حرف خطاب والباء زائدة، وما بعدها اسم كأن، وما يليها خبرها.

والحرف الثاني الذي يأتي للتقريب: قد، وهي حرف يدخل على الماضي والمضارع ويفيد دخوله على الماضي تحقيق وقوعه وتقريب زمانه من الحال (المغني ١٩٢/٢) أي: أنه جعل الماضي قريب الوقوع ومتصلا بالحال فإذا قيل مثلا: سافر محمد، أصل الفعل إفادة سفره قريبًا أو بعيدًا، ولكن إذا قيل: قد سافر محمد، تعين الفعل للماضي القريب[1].

قد: وأدرج الإمام بدر الدين الزركشي «قد» في النوع السابع والأربعين في الكلام على المفردات من الأدوات وقال عنها: تدخل على الماضي المنصرف وعلى المضارع شرط تجرّده عن الجازم والناصب وحرف التنفيس.

وتأتي لخمس معان: التوقع، والتقريب، والتقليل، والتكثير، والتحقيق. ثم يعرّف كُلاً منها ومن بينها التقريب الذي نحن بصدده، فيقول عنه - رحمه الله:

(١) معجم المصطلحات النحوية والصرفية - الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي مؤسسة الرسالة - بيروت. ودار الفرقان - عمان - الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م/ ١٨٥.

وأما التقريب؛ فإنها ترد الدلالة عليه مع الماضي فقط، فتدخل لتقريبه من الحال؛ ولذلك تلزم «قد» مع الماضي إذا وقع حالا، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام: ١١٩) وأما ما ورد دون «قد» فقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ (يوسف: ٦٥).

و«قد» فيه مقدرة؛ هذا مذهب المبرد والفراء وغيرهما.

وقيل: لا يقدر قبله قد.

وقال ابن عصفور: إن جواب القَسَم بالماضي المتصرف المثْبَت، إن كان قريبًا من زمن الحال دخلت عليه «قد واللام»، نحو: والله لقد قام زيد؛ وإن كان بعيدا لم تدخل، نحو: والله لقام زيد.

وكلام الزمخشري يدلّ على أنّ «قد» مع الماضي في جواب القسم للتوقع، قال في الكشاف عند قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في سورة (الأعراف:٥٩).

فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون باللام إلا مع «قد»، وقلّ عندهم مثل قوله:

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا فَمَا إنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ

(لامرئ القيس، **ديوانه / ٣٢**).

قلت: إنما كان كذلك؛ لأن الجملة القَسَمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها؛ فكانت مظِنَّة لمعنى التوقع؛ الذي هو معنى «قد» عند استماع المخاطب كلمة القَسَم.

وقال ابن الخباز: إذا دخلت «قد» على الماضي أثَّرتْ فيه معنيين: تقريبه من زمن الحال، وجعله خبرا منتظرا؛ فإذا قلت: قد ركب الأمير، فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك. هذا تفسير الخليل. انتهى.

وظاهره أنها تفيد المعنيين معًا في الفعل الواحد.

ولا يقال: إن معنى التقريب ينافي معنى التوقع؛ لأن المراد به ما تقدم تفسيره.

وكلام الزمخشري في «المفصل» يدلّ على أن التقريب لا ينفكّ عن معنى التوقع[1].

وقد ذكر السيد/ أحمد الهاشمي «قد» ضمن أدوات توكيد الخبر[2].

ونورد فيما يلي الآيات التي تبدأ بـ «فقد» و«قد» و «لقد» نقلا عن معاجم ترتيب الآيات، وبالله التوفيق (انظر الصور المرفقة).

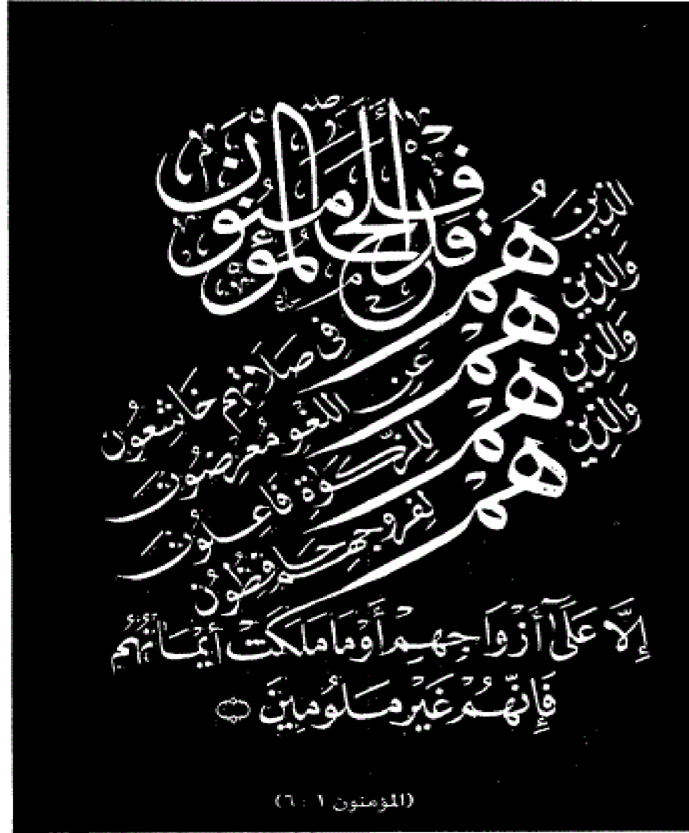
فقد:

الآية	رقمها	السورة	رقمها	منزلها
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	٥	الأنعام	٦	مكية
فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	٦	الشعراء	٢٦	مكية
فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا	١٩	الفرقان	٢٥	مكية
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	١	المؤمنون	٢٣	مكية
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ	١٤	الأعلى	٨٧	مكية
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا	٩	الشمس	٩١	مكية

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي-تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٤/٢٠٥-٢٠٧.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف السيد/ أحمد الهاشمي - تدقيق وفهرسة حسن مختار محمد/٤٦.

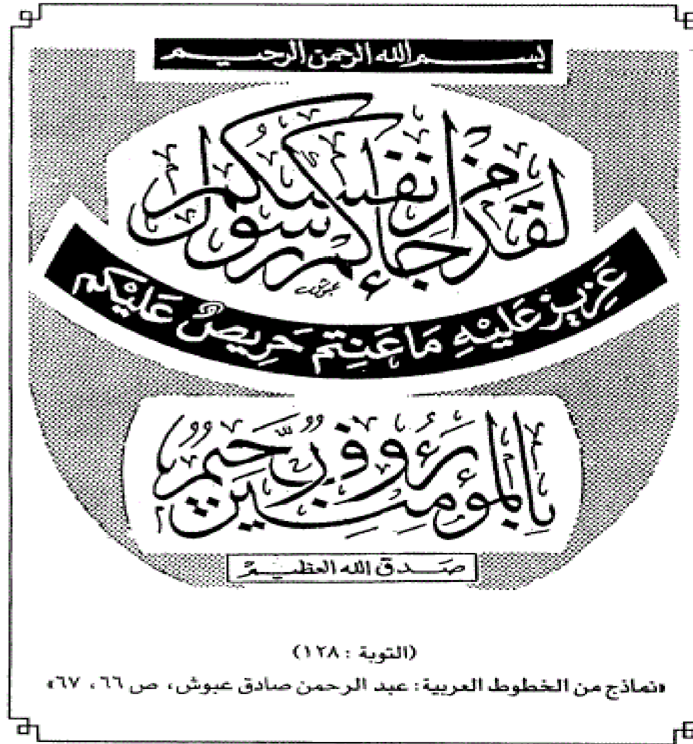
قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ	١٠٤	الأنعام	٦	مكية
قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين	١٤٠	الأنعام	٦	مكية
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون	٣١	الأنعام	٦	مكية
قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين	١٣٧	آل عمران	٣	مدنية
قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين	١٠٢	المائدة	٥	مدنية
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير	١	المجادلة	٥٨	مدنية
قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين	١٠٥	الصافات	٣٧	مكية
قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ	٤	ق	٥٠	مكية


قد أفلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون
والذين هم للزكاة فاعلون
والذين هم لفروجهم حافظون
إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فإنهم غير ملومين

(المؤمنون ١ : ٦)

الآية	رقمها	السورة	رقمها	منزلها
قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ	٢	التحريم	٦٦	مدنية
قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ	٥٠	الزمر	٣٩	مكية
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ	١٣	آل عمران	٣	مدنية
قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ	٦٦	المؤمنون	٢٣	مكية
قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ	٤	الممتحنة	٦٠	مدنية
قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ	٢٦	النحل	١٦	مكية

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ	١٤٤	البقرة	٢	مدنية
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ	٣٣	الأنعام	٦	مكية
۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا	١٨	الأحزاب	٣٣	مدنية
لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ	٤٨	التوبة	٩	مدنية
لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا	٩٤	مريم	١٩	مكية
لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ	٧٠	المائدة	٥	مدنية
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ	٢٥	الحديد	٥٧	مدنية



(التوبة : ١٢٨)

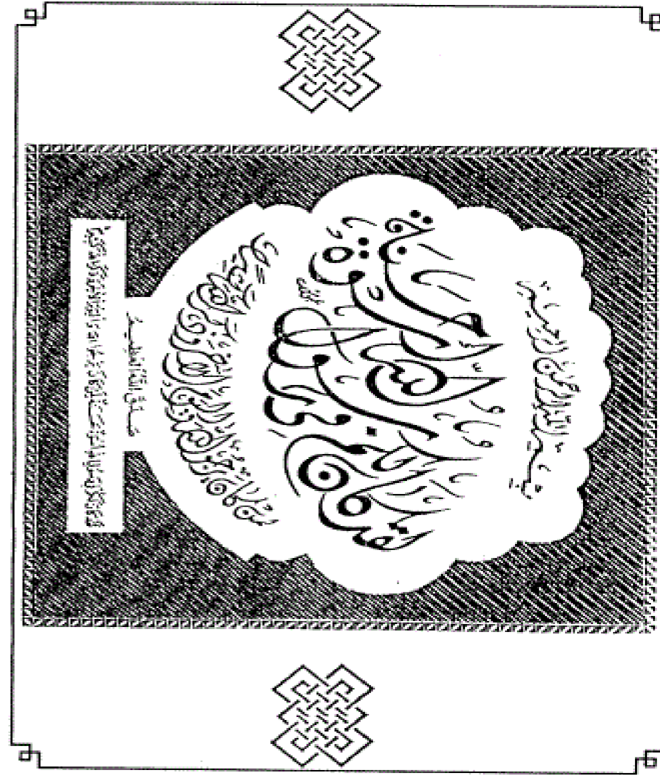
«نماذج من الخطوط العربية: عبد الرحمن صادق عبوش، ص ٦٦، ٦٧»

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾

(آية ١٢٨ سورة التوبة)

هذا تكوين بالخط الثلث والنسخ يركز على الآية الكريمة (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ) وعلى (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ثم يفصل بينهما شريط أسود دائرى فيه الربط بين الجملتين وبين التكوينين مع وضع خلفية منقطة.

وعلى ذكر الخلفية فإن كل الخلفيات لكل الآيات السابقة واللاحقة هى خلفيات مطبوعة جاهزة على هيئة أفرخ ويقال لها (جريزيه) فيها النقط وفيها الخطوط الرأسية والأفقية والمائلة وأشكال أخرى عديدة.



(الأحزاب: ٢١)

«نماذج من الخطوط العربية: عبد الرحمن صادق عبوش، ص ٦٢، ٦٣»

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ....﴾

(آية ٢١ سورة الأحزاب)

هذا تكوين بيضاوى بالخط الديوانى يمتاز بالبساطة والسلاسة ويكون هو والأرضية البيضاء القاعدة العريضة التى يقوم عليها الإصلاح حيث تهدى المؤمنين للقدوة برسول رب العالمين، وترى السطر الثانى وكأنه هلال منفرج ويكون مع الآية شكلاً منسجمًا.

الآية	رقمها	السورة	رقمها	منزلها
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	٥٩	الأعراف	٧	مكية
لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا	٢٩	الفرقان	٢٥	مكية
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	١٠	الأنبياء	٢١	مكية
لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ	٤٦	النور	٢٤	مدنية
لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	١١٧	التوبة	٩	مدنية
لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	١٢٨	التوبة	٩	مكية
لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا	٨٩	مريم	١٩	مكية
لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ	٧٨	الزخرف	٤٣	مكية

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	٧	يس	٣٦	مكية
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	٤	التين	٩٥	مكية
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ	٤	البلد	٩٠	مكية
لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ	١٨	النجم	٥٣	مكية
۞ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا	١٨	الفتح	٤٨	مدنية
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ	١٨١	آل عمران	٣	مدنية
لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا	٢٧	الفتح	٤٨	مدنية
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	١١١	يوسف	١٢	مكية
۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ	٧	يوسف	١٢	مدنية

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ	١٥	سبأ	٣٤	مكية
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا	٢١	الأحزاب	٣٣	مدنية
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	٦	الممتحنة	٦٠	مدنية
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	٧٣	المائدة	٥	مدنية
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	١٧	المائدة	٥	مدنية
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ	٧٢	المائدة	٥	مدنية

لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ	٢٢	ق	٥٠	مكية
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	١٦٤	آل عمران	٣	مدنية
لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ	٢٥	التوبة	٩	مدنية
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	٨٣	المؤمنون	٢٣	مكية
لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	٦٨	النمل	٢٧	مكية[1]

(١) الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم - دكتور حسين محمد فهمي الشافعي. جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م/١٥٩، ٢٠٠-٢٠٢، ٢٢٧ - ٢٢٠. ومعجم الآيات القرآنية - ترتيب دكتور حسين نصار. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م/ ٩٩، ١٢٤، ١٣٥، ١٤٥، ١٤٦.
انظر أيضا المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، وضعه محمد منير الدمشقي، مكتبة التراث الإسلامي. د.ت/ ٦٠، ٦١.

(٦٢) التعجيب

(انظر الصورة المرفقة).

جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة ع ج ب ما يلي:

(مُعجَبٌ - عَجَبًا - عجيبٌ - أو عجبتُمْ - عَجِبوا - تَعْجَبُ - أتعجبين - تَعْجَبون - عَجيب - عُجاب).

من الحسنى، عجْب كل شيء: مؤخره وهو العُصعص في الإنسان.

والعسيب من الدابة، وآخر الكثيب المستدق منه، وجمعه عجوب.

ومنه يكون التعجب مما خفى سببه، والعَجب: النظر إلى شيء غير مألوف والمعتاد فهو حالة تعرض للإنسان عند الجهل لسبب الشيء، ويكون أفكارًا لما يرد عليه مما يقل اعتياده، والشيء الذى يكون كذلك عجيب وعجيبة، أو أعجوبة، وعُجاب - كجسام -: تجاوز حد العجب، وعُجّاب - كرُمّان - على المبالغة - وفعله: عجب منه - كفهم - عَجَبا - وتعجَّب، واستعجب، أو الاستعجاب: شدة التعجب...

أما عن مواقع آيات التعجب فقد وردت كما يلي:

فَعَجَبٌ: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ (الرعد: ٥).

عَجَبًا: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ (يونس: ٢) واللفظ في (الكهف: ٩، ٦٣). و(الجن: ١).

عَجِبْتَ: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصافات:١٢).

أوعجبتم: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ (الأعراف: ٦٣).

واللفظ في (الأعراف: ٦٩).

عَجبوا: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ﴾ (ص:٤) واللفظ في (ق:٢).

تَعجب: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (الرعد: ٥).

اتعجبين: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ (هود: ٧٣).

تعجبون: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (النجم: ٥٩).

عجيب: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ (ق: ٢).

عُجاب: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص:٥)[1].

ويعرف **المعجم** «التعجب» على النحو التالى (مادة التعجب):

العُجْبُ والعَجَب: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، وقد عجِبَ منه يَعْجَبُ عجبًا وتعجَّب واستعجب. والاستعجاب: شدة التعجُّب (اللسان: عجب)

قال ابن فارس: «وأما التعجب فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف كقولك: «ما أحسن زيدًا» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ (عبس: ١٧). وهو أحد أبواب الكلام العشرة التي ذكرها (**الصاحبي**/١٨٨)

وقد أدخله الرازي في أقسام النظم وقال إنه كقول الشاعر:

أيا شَمْعًا يضيء بلا انطفاء … ويا بدرًا يلوح بلا مَحاقِ

فأنت البدْرُ ما معنى انتقاصي … وأنت الشمْعُ ما سببُ احتراقي

وهذا ما ذكره الوطواط فقال: «تكون هذه الصنعة بأن يظهر الشاعر في أحد أبياته تعجبه وحيرته من شيء من الأشياء» (**حدائق السحر**/١٨٩)، وذلك كقول أديب ترك: «أيا شمعا يضيء....»[2].

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم - إعداد المرحوم الأستاذ أمين الخولي. مجمع اللغة العربية. دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، ٤/ ١٩٢، ١٩٣، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضعه محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م/ ٥٦٦، ٥٦٧.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف الدكتور أحمد مطلوب ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ

كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ

كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

وَإِلَى ٱلْجِبَالِ

كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

وَإِلَى ٱلْأَرْضِ

كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

(الغاشية: ١٧ - ٢٠)

حروف من غير نقط - كتبها محمد حداد - ص ٢٧

وضرب الأخفش الأوسط مثالا للتعجب هو قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥) فقال - رحمه الله-: فزعم بعضهم أنه تعجّب منهم. كما قال: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ (عبس: ١٧) تعجّبًا من كفره، وقال بعضهم:

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾، أي: ما أصبرهم، ما الذى صَبَّرهم؟ **(معانى القرآن** ١/١٥٥، ١٥٦).

وضرب مثلا آخر في موضع لاحق وهو قوله تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ (الكهف: ٢٦) فقال - رحمه الله -:

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ أى: ما أبصره وأسمعه، كما تقول: أكرِم به، أي: ما أكرمه؛ وذلك أن العرب تقول: يا أمة الله، أكرِمْ بزيد! فهذا معنى: ما أكرمه! ولو كان يأمرها أن تفعل، لقال: أكرمى زيدًا! **(معانى القرآن** ٢/٢٩٥)[1].

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (مريم: ٣٨).

- هكذا نجد أن للتعجب صيغتان هما: ما أفْعَلَهُ، وأفْعِلْ به، وأنه يشترط في الفعل الذى يُتعجّب منه مباشرة أن يكون ثلاثيًا، تامًا، مثبتًا، مبينًا للمعلوم، متصَرفًا، ليس الوصف منه على أفعل، قابلاً للتفاوت[2].

وحين تكلم الإمام بدر الدين الزركشى عن «الخبر» قال -رحمه الله-: والقصد به إفادة المخاطب وقد يُشْرَب مع ذلك معانى آخر... ومن هذه المعانى «التعجب» فقال:

منها التعجب، **قال ابن فارس:** وهو تفضيل الشيء على أضرابه (بوصف).

وقال ابن الصائغ: استعظام صفة خرج بها المتعجّب منه عن نظائره، نحو: ما أحسن زيدا! وأحسِنْ به! استعظمتَ حسنَه على حسن غيره.

---

(١) معانى القرآن - صنَّفه الأخفش الأوسط الإمام أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة المجاشعى البلخى البصرى - حققه الدكتور فائز فارس - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١/١٥٥، ١٥٦، و ٢/٢٩٥.

(٢) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، تأليف على الجارم ومصطفى أمين - دار المعارف. القاهرة.

وقال الزمخشري في تفسير سورة الصف (**الكشاف** ٤١٨/٤): معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

وقال الرمّاني: المطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يُعرف سببه؛ وكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن، قال: وأصل التعجّب إنما هو للمعنى الخفيّ سببُه، والصيغةُ الدالة عليه تسمى تعجبًا، يعني مجازا. قال: ومن أجل الإبهام لم تعمل «نعم» إلا في الجنس من أجل التفخيم؛ ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر.

قالت المؤلّفة: وقد ذكر الرماني «التعجب» من بين وجوه «ما» العشرة، وضرب له مثلا فقال: «نحو ما أحسن زيدًا، وما أعلمه بكذا! هي في تقدير شيء، كأنك قلت: شيء حسّن زيدا، وموضعها رفع بالابتداء، وخبرها فعل التعجب، وهو أحسن، وعلى ذلك قياس الباب (انظر **حروف المعاني** ١٥٤).

ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه، وهي: «ما أفعله» و«أفعل به»، وصيغا من غير لفظه نحو «كَبُر» في نحو: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (الكهف: ٥)، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ﴾ (الصف: ٣)، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨).

واحتج الثمانيني على أنه خبر بقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ (مريم: ٣٨)، تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم؛ والله سبحانه لم يتعجب بهم، ولكن دلّ المكلّفين على أن هؤلاء قد نُزّلوا منزلة من يتعجب منه.

(الثمانيني هو عمر بن ثابت أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير، شارح كتابي **اللمع والتصريف** الملوكي. توفي سنة ٤٤٢ - **بغية الوعاة**/ ٣٦٠).

ويمضي البدر الزركشي في كلامه عن «التعجب فيقول:

وهنا مسألتان:

الأولى: قيل لا يتعجب من فعل الله؛ فلا يقال: «ما أعظم الله!»، لأنه يؤول: «إلى شيء عظّم الله» كما في غيره من صيغ التعجب؛ وصفات الله تعالى قديمة.

وقيل بجوازه باعتبار أنه يجب تعظيم الله بشيء من صفاته، فهو يرجع لاعتقاد العباد عظمتَه وقدرته، وقد قال الشاعر:

ما أقـدر اللهَ أن يُـدْنى على شَحَطٍ ... مَـنْ دارُه الـحَـزْنُ مِمَّن دارُه صُـولُ

والأولون قالوا: هـذا أعـرابى جاهل بصفات الله. **وقال بعض المحققين:** التعجب إنما يقال لتعظيم الأمر المتعجب منه، ولا يخطر بالبال أن شيئًا صيَّره كذلك وخفى علينا، فلا يمتنع حينئذ التعجب من فعل الله.

والثانية: هل يجوز إطلاق التعجب في حق الله تعالى؟ فقيل بالمنع؛ لأن التعجب استعظام ويصحبه الجهل، والله سبحانه منزَّه عن ذلك، وبه جزم ابن عصفور في «**المقرب**».

(هو على بنّ مؤمن بن محمد بن على المعروف بأبى الحسن بن عصفور النحوى الإشبيلي، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، وصاحب كتاب **الممتع في التصريف والمقرب وشارح أشعار الشعراء الستة الجاهلين** وغيرها توفي سنة ٦٦٣؛ ومن كتابه **المقرب** نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٩، ٧٩م نحو. وانظر **بغية الوعاة** ص ٣٥٧).

قالت المؤلفة الدكتورة فاطمة محمد محجوب: النسخة التى عندى من «المقرب» اقتنيتها من عمان - الأردن، من معرض الكتاب العراقى يوم الثلاثاء، ٢ ربيع الأول ١٤١٠هـ - ٢٤ أكتوبر ١٩٨٩م أثناء رحلتنا السياحية الثقافية الخارجية، وبيانها كما يلي: المقرِّب: تأليف على بن مؤمن المعروف بابن عصفور المتوفي سنة ٦٦٩ هـ - تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى، الجمهورية العراقية. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - لجنة إحياء التراث الإسلامى. الكتاب الثالث - مطبعة العانى. بغداد ١٩٧١.

قال: فإن ورد ما ظاهره ذلك صرف إلى المخاطب؛ كقوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥)، أى: هؤلاء يجب أن يتعجب منهم.

وقيل، بالجواز، لقوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، إن قلنا: «ما» تعجبية لا استفهامية، وقوله ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ ﴾ في قراءة بعضهم بالضم.

(سورة الصافات ١٢، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، بتاء المتكلم المضمومة، والمعنى على هذه القراءة: قل يا محمد بل عجبت أنا أو أن هؤلاء من رأى حالهم يقول عجبت، وانظر **إتحاف فضلاء البشر** ٣٦٨).

والمختار الأول، وما وقع منه أوّل بالنظر إلى المخاطب، أي: علمت أسباب ما يتعجب منه العباد، فسمى العلم بالعجب عجبا.

وأصل الخلاف في هذه المسألة يلتفّ على خلاف آخر، وهو أن حقيقة التعجب: هل يشترط فيه خفاء سببه فيتحير فيه المتعجب منه، أو لا ؟

ولم يقع في القرآن صيغة التعجب إلا قوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وقوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ (عبس: ١٧)، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ﴾ (الانفطار: ٦)، في قراءة مَنْ زاد الهمزة.

(وهي قراءة سعيد بن جبير، قال صاحب الكشاف: إمّا على التعجب وإمّا على الاستفهام، من قولك: غر الرجل فهو غار، إذا غفل، من قولك: بَيَّتهم العدو وهم قارُون، وأغره غيره جعله غرا).

ثم قال المحققون، التعجب مصروف إلى المخاطب، ولهذا تلطف الزمخشرى فعبّر عنه بالتعجب، ومجيء التعجب من الله كمجيء الدعاء منه والترجّي؛ وإنما هذا بالنظر إلى ما تفهمه العرب، أي: هؤلاء عندكم ممن يجب أن تقولوا لهم هذه. وكذلك تفسير سيبويه.

كما ذكر ابن الزركشي (**البرهان** ١٨/٣) من فوائد التكرير «التعجب» كقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٩، ٢٠) [1].

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق - محمد أبي الفضل إبراهيم ٣١٧/٢ - ٣١٩، و ١٨/٣.

وقد تكلم الحافظ السيوطى عن «التعجب» باعتباره النوع التاسع من أنواع المجاز، وضرب له مثلا بقوله تعالى: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ (النمل: ٢٠).

وقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (النبأ: ١) [١]، وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الإسراء: ٤٨).

كما ذكر الجلال السيوطى «التعجب» باعتباره أحد أقسام الخبر فقال عنه **(الإتقان ٢/ ٩٩)**:

(فرع) من أقسامه على الأصح التعجب. **قال ابن فارس**: وهو تفضيل شيء على أضرابه. **وقال ابن الصائغ**: استعظام صفة خرج بها التعجب منه عن نظائره. **وقال الزمخشري**: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. **وقال الرماني**: المطلوب في التعجب الإبهام، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكل ما استبهم السبب كان التعجب أحسن. قال: وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفى سببه، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبًا مجازا. قال: ومن أجل الإبهام لم تعمل نعم إلا في الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر، ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهى ما أفعل وأفعل به، وصيغا من غير لفظه نحو قوله - كبرت كلمة تخرج من أفواههم - كبر مقتا عند الله - كيف تكفرون بالله -.

(قاعدة) قال المحققون: إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥) أى: هؤلاء يجب أن يتعجب منهم، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزّه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجب بدله: أى أنه تعجيب من الله للمخاطبين.

ثم عاد فذكره باعتباره النوع الرابع من أنواع الاستفهام وقال عنه (٢/ ١٠٣):

(١) التحبير في علم التفسير لأبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى/ ٩٨.

الرابع: التعجب أو التعجيب نحو - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ **قال الزمخشري:** الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم، ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾. ثم يقول (ص ١٠٤): والعادة تقضي بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعمله، وفي طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء. وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر، فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول: أيّ شيء عرض لي في حال عدم رؤية الهدهد؟ وقد صرح في **الكشاف** ببقاء الاستفهام في هذه الآية. وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقي. لأن معنى أين تذهب: أخبرني إلى أي مكان تذهب؟ فإني لا أعرف ذلك، وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهي.

وأما التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع، أوطلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرّر المخاطب: أي: يطلب منه أن يكون مقرًا به. وفي كلام أهل الفن ما يقتضي الاحتمالين. والثاني أظهر. وفي **الإيضاح** تصريح به، ولا بدع في صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لأنه طلب الفهم، أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان، وبهذا تنحل إشكالات كثيرة في مواقع الاستفهام، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة. انتهى ملخصا [1].

وقد ذكر **المعجم** تحت عنوان «استفهام التعجب ما يلي: ويقال له استفهام التعجيب، وقد مثل له السيوطي (**معترك** ١/٤٣٥، **والإتقان** ٢/٨٠، **وشرح عقود الجمان**/٥٣) بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨) ؛ ومنهم ومن هذا الكون قول المتنبي مخاطبًا الحُمّى:

أبِنْتَ الدهر عندي كلُّ بنتٍ ... فكيف وصلتِ أنت من الزِّحامِ [2]

(١) الإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/٥٩٩ - ١٠٢، ١٠٤. انظر أيضا، فمعجم المصطلحات النحوية والصرفية. الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي. مؤسسة الرسالة - بيروت، ودار الفرقان - عمان - الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ / ١٤٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. تأليف الدكتور أحمد مطلوب (١/١٨٩).

ومن المسائل التى أوردها الإمام بدر الدين الزركشى عند كلامه عن «الهمزة» وصلتها بموضوع التعجيب الذى نحن بصدده: مسألة في دخول الهمزة على «لم» فقال - رحمه الله -:

وإذا دخلت على «لم» أفادت معنيين:

أحدهما: التنبيه والتذكير، نحو: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ (الفرقان: ٤٥).

والثاني: التعجّب من الأمر العظيم، كقوله: ألم تر إلى فلان يقول كذا، ويعمل كذا!

على طريق التعجّب منه. وكيف كان فهى تحذير [١].

ونسوق فيما يلى الآيات التى تبدأ بـ «ألم» التى نحن بصددها وتفيد المعنيين المذكورين إتمامًا للفائدة، وذلك نقلا عن معاجم ترتيب الآيات، وبالله التوفيق.

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٤/١٧٩.

الآية	رقمها	السورة	رقمها	منزلها
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ	٢٥٨	البقرة	٢	مدنية
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ	٢٣	آل عمران	٣	مدنية
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ	٤٤	النساء	٤	مدنية
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا	٥١	النساء	٤	مدنية
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ	٢٨	إبراهيم	١٤	مدنية
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	١٤	المجادلة	٥٨	مدنية

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ	٢٤٣	البقرة	٢	مدنية
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا	٧٧	النساء	٤	مدنية
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ	١١	الحشر	٥٩	مدنية
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ	٨	المجادلة	٥٨	مدنية

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾	٦٩	غافر	٤٠	مكية
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	٦٠	النساء	٤	مدنية
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٤٩	النساء	٤	مدنية
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	٢٤٦	البقرة	٢	مدنية
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾	٤٥	الفرقان	٢٥	مدنية

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ	٣١	لقمان	٣١	مكية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ	٢٧	فاطر	٣٥	مكية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ	٦٣	الحج	٢٢	مدنية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	٢١	الزمر	٣٩	مكية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ	١٩	إبراهيم	١٤	مكية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ	٦٥	الحج	٢٢	مدنية

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ	٤٣	النور	٢٤	مدنية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ	٤١	النور	٢٤	مدنية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩	١٨	الحج	٢٢	مدنية
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	٧	المجادلة	٥٨	مدنية

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ	٢٩	لقمان	٣١	مدنية
أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا	٨٣	مريم	١٩	مكية
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ	٢٥٥	الشعراء	٢٦	مدنية
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ	٢٤	إبراهيم	١٤	مكية
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ	١	الفيل	١٠٥	مكية
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	٦	الفجر	٨٩	مكية[1]

(١) الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم، دكتور حسين محمد فهمى الشافعى/ ٢١ - ٢٤، ومعجم آيات القرآن ، ترتيب دكتور حسين نصار/ ٢٢، ٢٤. انظر أيضًا المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، وضعه محمد منير الدمشقى/ ٦٠، ٦١.

(٦٣-٦٤) السؤال والجواب

٦٣ - السؤال:

أفرد الإمام الفيروزآبادى البصيرة الأولى من بصائره للكلام على «السؤال»، ومما قاله عنه ما يلي:

والسّؤال ورد في القرآن على عشرين وجهًا:

الأول: سؤال التعجّب: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ (المؤمنين: ٨٢). وورد في مواطن أخرى.

الثانى: سؤال الاسترشاد: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ (الأنبياء: ٧) ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ (الزخرف: ٤٥).

الثالث: سؤال الاقتباس (كأن المراد أن هذا السؤال يقتبس منه كيف يدعو العبد ربه فيقول: يارب ما تصنع بعذابي، فإنى أدعوك أن تغفر لى).

﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧).

الرابع: سؤال الانبساط: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ (طه: ١٧).

الخامس: سؤال العطاء والهِبَة: ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ (آل عمران: ٣٨)، وورد في مواطن أخرى.

السادس: سؤال العَوْن والنُّصْرة: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٤).

السابع: سؤال الاستغاثة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

الثامن: سؤال الشفاء والنّجاة: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

التاسع: سؤال الاستعانة: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ (الأنبياء: ٨٩).

العاشر: سؤال القُرْبَة: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ (التحريم: ١١).

الحادى عشر: سؤال العذاب والهلاك: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ (نوح: ٢٦).

الثانى عشر: سؤال المغفرة: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي﴾ (إبراهيم: ٤١) وورد في مواطن أخرى.

الثالث عشر: سؤال الاستماع للسائل والمحروم: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ١٠).

الرابع عشر: سؤال المعاودة والمراجعة لنوح (كأن المراد سؤال ترك المعاودة): ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (هود: ٤٦)، ولمحمّد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩)، وهو يريد قراءة نافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام على أن (لا) ناهية. وقراءة الباقين بضم التاء ورفع اللام ولا نافية. وانظر **الإتحاف**.

وللصّحابة: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١).

الخامس عشر: سؤال الطّلب وعَرْض الحاجة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الرحمن: ٢٩)، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ (النساء: ٣٢).

السادس عشر: سؤال المحاسبة والمناقشة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ (الحجر: ٩٢)، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ٦).

السّابع عشر: سؤال المخاصمة: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (النبأ: ١)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧)، أى: يتخاصمون.

الثامن عشر: سؤال الإجابة والاستجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ (البقرة: ١٨٦).

التّاسع عشر: سؤال التعنُّت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥).

العشرون: سؤال الاستفتاء والمصلحة، وذلك على وجوه مختلفة تارة عن حَيْض العيال (العيال: جمع عيل، هو من تتكفل به، وأراد به النساء):

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وتارةً من نفقة الأموال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٥).

وتارةً عن حكم الهلال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ (البقرة: ١٨٩).

وتارة عن القيامة وما فيها من الأهوال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

وتارة عن حال الجبال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ (طه: ١٠٥).

وتارة عن الحرب والقتال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وتارة عن الحرام والحلال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ (المائدة: ٤)، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ (البقرة: ٢١٩).

وتارة عن اليتيم وإصلاح ما لَهُ من المال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

وتارة عن الغنائم: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ (الأنفال: ١).

وتارة عن العذاب والنكال: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج: ١).

وتارة عن العاقبة والمآل: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (التكاثر: ٨).

وتارة عن المبالغة في الجدال ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

وتارة عن كرم ذى الجلال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨). قال الشاعر:

إذا كنت في بلد قاطنًا ... وللعلم مقتبسًا فاسألِ
فإن السّؤال شفاءُ العباد ... كما قيل في الزّمن الأوّلِ[1]

وقد ذكر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق، في كلامه عن «طرق بيان الأحكام في القرآن» أن في القرآن طريقتين لبيان الأحكام: **إحداهما**: الطريق الذى لم يسبق بسؤال «وهذا هو الأصل الغالب في توجيه الأوامر والنواهى إلى المؤمنين توجيهًا غير مسبوق بسؤال (ص ١٨٠ - ١٨٢) وهو ليس موضوع بحثنا هنا..

ثم قال، وهو ما نحن بصدده:

والطريق الآخر:

هو البيان الذى جاء في القرآن مسبوقًا بسؤال.

وهذا يكون بيانًا لحكم لم يسبق بيانه واحتاج الناس إلى معرفته فسألوا عنه أو كشفًا لحكم سبق بيانه، ولكنه عند الناس في حاجة إلى إيضاح.

ولقد جاءت في القرآن الكريم إجابات لأسئلة وجهت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:

من هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وكان هذا جوابًا لسؤال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟

ولقد أخذ العلماء من هذا أنه: لا ينبغى رفع الصوت في الدعاء ولا في العبادة إلا بالمقدار الذى لا يخل بالخشوع، ولا يقلق السامعين ويشوش عليهم.

وفي شأن الهلال سألوا: لم يبدو في أول الشهر دقيقا مثل الخيط ثم يعظم حيث يستوى ويستدير، ثم يعود كما كان؟ فنزل قول الله تعالى:

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى بـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. الكتاب الخامس. القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م، ٢/ ١٦٥ - ١٦٨.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ (البقرة: ١٨٩).

وهذا الجواب قد عدل بالسائلين عما يسألون عنه، وهو سبب هذه الظاهرة التي يشاهد عليها القمر في دورته الشهرية، مظهرًا في الجواب الجانب الذى ينفعهم في حياتهم، وهو أنهم يؤقّتون بناءً على هذه الظاهرة بعض العبادات: كالصوم والحج وبعض المعاملات كالبيع والمداينات، وهكذا أخذ بهم إلى الطريق الواقعى الذى يستوى فيه العالم والجاهل. وهو التوقيت بالسنة القمرية التى لا تتوقف على معرفة الحساب، والقرآن يوجه النظر دائمًا إلى الوسائل الطبيعية الفطرية التى تقع أمام الناس ويتساوى علمهم بها.

كما جاء السؤال عن الأشهر الحرم والقتال فيها، وأجاب القرآن عن هذا بقول الله - تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ (البقرة: ٢١٧).

فأبان بهذا الجواب: أن القتال في الشهر الحرام أمرٌ مستنكر، وقرر حرمة الشهر، ولكنه بيّن أن هناك ما هو أشد استنكارًا، وهو الصد عن سبيل الله، والكفر به، والصد عن المسجد الحرام، وإخراج أهله منه.

كل واحدة من هذه الجرائم التى فعلها المشركون أو مجموعها أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.

ومن هذه الآية: أخذ العلماء قاعدة وجوب ارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بد من أحدهما.

وأسئلة وإجابات عن الخمر والميسر، وعن اليتامى ومخالطتهم والتعامل معهم، وعن النساء ونشوزهن وعدم حل الزوجة أثناء دورتها الشهرية، وعن (ميراث الكلالة) الذى لا ولد له ولا والد حيث كانت الإجابة أن ميراثه يؤول لإخوته وأخواته أشقائه أو لأبيه.

ثم أسئلة عما أحل وعما حرم وإجابات في هذا الشأن كما في (سورة المائدة)، وعن الأنفال والغنائم كما في (سورة الأنفال). تلك مثل من أسئلة المؤمنين التى وردت مع إجاباتها في القرآن الكريم جاءت في السور المدنية، وهذه السور هى التى حوت النسبة الغالبة من النصوص التشريعية.

على أنه كانت هناك أسئلة من غير المؤمنين وإجاباتها وقد جاء أكثرها في السور المكية التى قامت بالدعوة إلى أصول الدين.

وهذه الأسئلة على ما هو بادٍ منها ومن إجاباتها - كما جاءت في القرآن - تحمل روح الجدل والتحدى فيما يختص بالدعوة الإسلامية، فكان منها السؤال عن (الساعة) وعن (الروح) وعن الجبال ومصيرها، وعن بعض الشخصيات التاريخية.

نقرأ هذه الأسئلة وأجوبتها في سور الأعراف والإسراء والكهف وطه والأحزاب والنازعات.

وبتأمل نوعيات الأسئلة التى وردت في القرآن على ألسنة المؤمنين يتضح منها أن شأن المؤمن أن يسأل عما ينفعه في عباداته وفي معاملاته أو ما يجهل من عقائده.

فلا يسأل عن الأرواح بعد مفارقتها للجسد، وماذا تعمل، ولا عن كيفية عذاب القبر، ولا مساحة الجنة، ولا عن طبيعة أرضها وسمائها، وغير هذا مما شغل به المسلمون أنفسهم الآن، مع أن هذا من الأمور الغيبية التى حجب علمها على الناس.

إن على المسلمين الإيمان المطلق بهذه الغيبيات من غير طلب لما أجمل أو أبهم منها.

وما دمنا نتحدث عن تساؤلات المؤمنين وإجابات القرآن عليها، فإنما نوجه النظر إلى أن الأوْلَى بكل مسلم - إذا غاب عنه حكم من الأحكام الشرعية في العبادات أو في المعاملات أو في أى أمر من أمور الدين - الأولى بكل مسلم ومسلمة - أن يلجأ إلى العلماء الموثوق بعلمهم ليبنوا أحكام الدين كما جرى على ذلك السلف الصالح امتثالا لقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

ولقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

«أفضل الصدقة أن يتعلَّم المرءُ المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم» (رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن أبى هريرة).

وقال - عليه الصلاة والسلام:

«من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (رواه الترمذى. وقال: حديث حسن).

وقد قيل:

العلم خزائن مفاتيحها السؤال، فإنه يؤجر فيه أربعة:

السائل والعالم والمستمع والمحب لهم.

وعلى الأمة الإسلامية أن تحذر الأخذ في دينها عن غير العلماء بعقيدة الإسلام وشريعته حتى يتجنبوا الوقوع في الآثام، بل والخلافات بسبب الفتاوى التى تصدر ممن جهلوا أحكام الإسلام[1].

(٦٣ - ٦٤) السؤال والجواب

وقد أورد الإمام بدر الدين الزركشى، تحت عنوان «قاعدة فيما يتعلق بالسؤال والجواب» ما يلي:

الأصل في الجواب أن يكون مطابقا للسؤال، إذا كان السؤال متوجّها، وقد يُعْدَل في الجواب عما يقتضيه السؤال، تنبيها على أنّه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك، ويُسَمّيه السكاكي الأسلوب الحكيم.

وقد يجئ الجواب أعمَّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال وأغفله المتكلم.

وقد يجيء أنقص لضرورة الحال.

مثال ما عُدِل عنه قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ

---

(١) مع القرآن الكريم، بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر. الأزهر الشريف. الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية. قضايا إسلامية معاصرة (٨) ١٩٩١/ ١٨٠، ١٨٢ - ١٨٧.

لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٨٩) فعُدل عن الجواب لمَا قالوا: ما بالُ الهلال يبدو رَقيقًا مثل الخيط، ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقُص حتى يعود كما بدأ؟ فأجيبوا بما أجيبوا، به لينتهوا إلى أنّ الأهمَ ما تركوا السؤال عنه.

وكقوله تعالى: ﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ٢١٥)، سألوا عما ينفقون، فأجيبوا ببيان المصْرَف؛ تنزيلا لسؤالهم منزلة سؤال غيره، لينبه على ما ذكرنا، ولأنه قد تضمن قوله: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ (البقرة: ٢١٥) بيان ما يُنفقونه وهو خير، ثم زيدوا على الجواب. ببيان المَصْرَف.

ونظيره: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه: ١٧)، فيكون طابق وزاد. نعم روى عن ابن عباس أنه قال: جاء عمرو بن الجموح، وهو شيخ كبير له مال عظيم، فقال: ماذا أنفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت، فعلى هذا ليست الآية مما نحنُ فيه، لأن السائل لم يتعلق بغير ما يطلُب، بل أجيب ببعض ما سأل عنه.

وقال ابن القشيري: السؤال الأول كان سؤالا عن النفقة إلى من تُصْرف، ودلّ عليه الجواب، والجواب يخرج على وفق السؤال؛ وأمّا هذا السؤال الثانى فعن قَدْرِ الإنفاق، ودلّ عليه الجواب أيضًا.

ومن ذلك أجوبة موسى عليه السلام لفرعون حيث قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ (الشعراء: ٢٣، ٢٤)، لأن «ما» سؤالٌ عن الماهية أو عن الجنس، ولمّا كان هذا السؤال خطأ؛ لأنّ المسؤول عنه ليس تُرى ماهيته فتُبين، ولا جنس له فيُذكر، عَدَل الكليم عن مقصود السائل إلى الجواب بما يعرف الصواب عند كيفية الخطاب؛ ولا يستحق الجريان معه، فأجابه بالوصف المنبّه، عن الظنّ المؤدّى لمعرفته، لكنه لما لم يطابق السؤال عنه فرعون لجهله، واعتقد الجواب خطأ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ فأجابه الكليم

بجواب يعمّ الجميع، ويتضمن الإبطال لعين ما يعتقدونه من ربوبية فرعون لهم بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأجاب بالأغلظ، وهو ذكر الربوبية لكلّ ما هو من عالمهم نصًا. ولما لم يرهم موسى عليه السلام تَفطّنوا غلّظ عليهم في الثالثة، بقوله ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٥، ٢٦، ٢٨) فكأنه شك في حصول عقلهم.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ٢١٧). ولم يقل: «عن قتال في الشهر الحرام»، لأنهم لم يسألوا إلا من أجْلِ القتال فيه، فكان ذكرُه أولى!

قيل: لم يقع السؤال إلا بعد القتال؛ فكان الاهتمام بالسؤال عن هذا الشهر: هل أبيح فيه القتال؟ وأعاده بلفظ الظاهر، ولم يقل: «هو كبير» لِيُعلَم حكم قتال وقع في الشهر الحرام.

وقد يُعدل عن الجواب إذا كان السائلُ قصده التعنّت، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ (الإسراء: ٨٥) فذكر صاحب **الإيضاح** في خلق الإنسان: أنّ اليهود إنما سألوا تعجيزنا وتغليظًا، إذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان وجبريل وملك آخر، يقال له الروح، وصِنْف من الملائكة والقرآن وعيسى، فقصد اليهود أن يسألوه، فبأىّ يسمىّ أجابهم قالوا: ليس هو، فجاءهم الجواب مجمَلا، فكان هذا الإجمال كَيْدًا يرسل به كيدهم.

وقيل: إنما سألوا عن الروح: هل هي محدثة مخلوقة أم ليست كذلك؟ فأجابهم، بأنها من أمر الله؛ وهو جواب صحيح، لأنّه لا فرق بين أن يقول في الجواب ذلك، أو يقول: «من أمر ربي» لأنّه إنما أراد أنها من فعله وخلقه.

وقيل: إنهم سألوه عن الروح الذى هو في القرآن، فقد سمى القرآن روحا في مواضع من الكتاب، وحينئذ فوقع الجواب موقعه؛ لأنه قال: لهم الروح الذى هو القرآن من أمر ربي، ومما أنزل الله على نبيه، ويجعل دلالة وعَلَمًا على صدقه، وليس من فعل المخلوقين، ولا مما يدخل في إمكانهم.

وحكاه الشريف المرتضى في «الغرر (أمالي المرتضى ١/ ١٢) عن الحسن البصري، قال: ويقويه قوله بعد هذه الآية: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٦)، فكأنه قال تعالى: إن القرآن من أمر ربي ولو شاء لرفعه.

ومثال الزيادة في الجواب، قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ١٧، ١٨)، فإنه عليه السلام، فَهِم أن السؤالَ يَعْقبه أمر عظيم يُحْدِثه الله في العصا، فينبغي أن ينبّه لصفاتها، حتى يظهر له التفاوت بين الحالين.

وكذا قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ (الشعراء: ٧٠، ٧١). وَحَسّنه إظهارُ الابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها، ليزداد غيظ السائل.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ (الأنعام: ٦٤) بعد قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا ﴾ الآية (الأنعام: ٦٣)، ولولا قصد بسط الكلام ليشاكل ما تقدم، لقال «ينجيكم الله».

ومثال النقصان منه قوله تعالى: ذاكرا عن مشركي مكة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ ﴾ (يونس: ١٥)، أي: ائت بقرآن ليس فيه سبّ آلهتنا، أو بدّله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وليس فيه ذكر آلهتنا، فأمره الله أن يجيبهم على التبديل، وطوَى الجواب عن الاختراع، قال الزمخشريّ: لأن التبديلَ في إمكان البشر، بخلاف الاختراع، فإنه ليس في المقدور، فطوى ذكره، للتنبيه على أنه سؤال محال.

وذكر غيرُه أنّ التبديل قريب من الاختراع، فلهذا اقتصر على جواب واحد لهما.

وخَطَر لي أنَّه لما كان التبديل أسهلَ من الاختراع، وقد نفى إمكان التبديل، كان الاختراع غيرَ مقدور عليه من طريق أوْلَى.

فائــدة

قيل: أصل الجواب أن يعاد فيه نفس سؤال السائل، ليكون وفق السائل، قال الله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ (يوسف: ٩٠)، و«أنا» في جوابه عليه السلام هو «أنت» في سؤالهم.

وقال: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا أَقْرَرْنَا﴾ (آل عمران: ٨١)، فهذا أصله، ثم إنهم أتوا عوض ذلك محذوف الجوب اختصارًا؛ وتركا للتكرار.

وقد يُحذف السؤال ثقةً بفهم السامع بتقديره، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (يونس: ٣٤)، فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد، فتعين أن يكون ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ (يونس: ٣٤). سؤال، كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ﴿مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (يونس: ٣٤)، فأجابهم الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (يونس: ٣٤)، فترك ذكر السؤال.

ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ (يونس: ٣٥).

قاعـدة

الأصل: في الجواب أن يكون مشاكلا للسؤال، فإن كان جملة اسمية فينبغي أن يكون الجواب كذلك، ويجيء ذلك في الجواب المقدّر أيضًا؛ إلا أن ابن مالك قال في قولك: «من قرأ؟» فتقول: زيد، فإنَّه من باب حذف الفعل، على جعل الجواب جملة فعلية. قال: وإنما قدرته كذلك، لا مبتدأ، مع احتماله، جريًا على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا تمامها، قال تعالى: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ﴾ (يس: ٧٨، ٧٩).

ومثله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٩)، ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ (المائدة: ٤). فلما أتى بالجملة الفعلية، مع فوات مشاكلة السؤال، عُلِمَ أن تقدير الفعل أولاً أولى. انتهى.

ومما رُجّح به أيضًا تقدير الفعل أنّه حيث صرّح بالجزء الأخير، صُرّح بالفعل، والتشاكل ليس واجبًا؛ بل اللائق كون زيد فاعلاً، أى: قرأ زيد أو خبرًا، أى القارئ زيد، لا مبتدأ، لأنه مجهول.

بقى أن يقال في الأولى: التصريح بالفعل أو حذفه؟ وهل يختلف المعنى في ذلك؟

والجواب: قال ابن يعيش: التصريح بالفعل أجود.

وليس كما زعم بل الأكثر الحذف، وأما قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ (المائدة: ٤). ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٩)، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ (يس: ٧٩). فكان الشيخ شهاب الدين بن المرحل - رحمه الله - يجعله من باب ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)، من أنهم أجيبوا بغير ما سألوا لنكتة.

وفيه نظر. وأما المعنى فلا شك أنه يختلف، فإنه إذا قيل: من جاء؟ فقلت: جاء زيد، احتمل أن يكون جوابًا وأن يكون كلامًا مبتدأ. ولو قلت: «زيد»، كان نصا في أنه جواب، وفي العموم الذى دلت عليه «من» وكأنك قلت: الذى جاء زيد، فيفيد الحصر. وهاتان الفائدتان، إنما حَصَلتا من الحذف.

ومنه قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦)؛ إذ التقدير: الملك لله الواحد، فحذف المبتدأ من الجواب، إذ المعنى: لا ملك إلا لله.

ومن قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ (المؤمنون: ٨٤)، ﴿لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٢)، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (سبأ: ٢٤).

ومن الإثبات قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس: ٧٩).

ولعلّه للتنصيص على الإحياء الذى أنكروه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ (المؤمنون: ٨٦).

وقوله: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٩)، لأن ظاهر أمرهم أنهم كانوا معطلّة ودَهرية، فأريد التنصيص على اعترافهم بأنها مخلوقة.

وقوله: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحريم ٣)، لأنها استغربت حصول النبأ الذى أسرّته.

وقال ابن الزُّمْلكانِى في «البرهان»: أطلق النحويون القول بأن «زيدًا» فاعل، إذا قلت: «زيد» في جواب «مَن قام؟» على تقدير: قام زيد، والذى يُوجبه جماعة علم البيان، أنه مبتدأ لوجهين:

أولهما: أنه مطابق للجملة التى هو جواب الجملة المسؤول بها في الاسمية كما وقع التطابق، في قوله تعالى: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ (النحل: ٣٠) في الجملة الفعلية، وإنما لم يقع التطابق في قوله تعالى: ﴿مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النحل: ٢٤)، لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرّين بالإنزال، وهم من الإذعان به على تفاوت.

الثاني: أن اللّبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل، فوجَب أن يقدّم الفاعل في المعنى، لأنّه متعلق بغرض السائل، وأما الفعلُ فمعلوم عنده، ولا حاجةَ إلى السؤال عنه، فحريٌّ أن يقع في الأخرى التي هي محل التكملات والفضلات.

وكذلك: أزيد قام أم عمرو؟ فالوجه في جوابه أن تقول: زيد، قام أو عمرو قام. وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في جواب:

﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾

(الأنبياء: ٦٢، ٦٣)؛ فإن السؤال وقع عن الفاعل؛ لا عن الفعل، ومع ذلك صُدّر الجواب بالفعل، مع أنهم لم يستفهموه عن كسر الأصنام، بل كان عن الشخص الكاسر لها!

والجواب أنّ ما عبد «بل» ليس بجواب للهمزة، فإن «بل» لايصلح أن يصدّر بها الكلام، ولأنّ جواب الهمزة بنعم أو بلى. فالوجه أن يُجعل إخبارًا مستأنفًا، والجواب المحقق مقدّر، دل عليه سياق الكلام، ولو صرح به لقال: «ما فعلته بل فعله كبيرهم»، وإنما اخترنا تقدير الجملة الفعلية على الجملة المعطوفة عليها في ذلك.

فإن قلت: يلزم على ما ذكرت أن يكون الخلف واقعا في الجملتين: المعطوف عليها. المقدرة، والمعطوفة الملفوظ بها بعد «بل»!

قلت: وإنه لازم، على أن يكون التقدير: ما أنا فعلته بل فعله كبيرهم هذا، مع زيادته بالخلف عما أفادته الجملة الأولى من التعريض، إذ منطوقها نفي الفعل عن إبراهيم عليه السلام، ومفهومها إثبات حصول التكبير من غيره.

فإن قلت: ولابد من ذكر ما يكون مخلَصا عن الخلف على كل حال.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن في التعريض مَخلَصا عن الكذب، ولَم يكن قصده عليه السلام أن ينسب الفعل الصادر منه إلى الصنم حقيقة، بل قصده إثبات الفعل لنفسه على طريق التعريض، ليحصل غرضُه من التبكيت، وهو في ذلك مثبت معترف لنفسه بالفعل؛ وليس هذا من الكذب في شيء.

والثاني: أنه غضب من تلك الأصنام، غَيْرة لله تعالى؛ ولما كانوا لأكبَرها أشدّ تعظيما، كان منه أشدّ غضبا، فحمله ذلك على تكسيرها، وذلك كلّه حَاملٌ للقوم على الأنَفَة أن يعبدوه، فضلا عن أن يخصّوه بزيادة التعظيم، ومُنَبِّه لهم على أن المتكسرة متمكن فيها الضّعْف والعجز، منادى عليها بالفَناء، منسلخة عن رِبْقَة الدفع، فضلا عن إيصال الضرر والنفع. وما هذا سبيلُه حقيق أن يُنظر إليه بعين التحقير لا التوقير. والفعل يُنْسَب إلى الحامل عليه، كما ينسب إلى الفاعل والمفعول

والمصدر والزمان والمكان والسبب، إذ للفعل بهذه الأمور تعلّقات وملابسات، يصحّ الإسناد إليها على وجه الاستعارة.

الثالث: أنّه لما رأى عليه السلام منهم بادرة تعظيم الأكبر، لكونه أكملَ من باقي الأصنام، وعلم أن ما هذا شأنه، يُصان أن يشترك معه مَنْ دونه في التبجيل والكبير، حمله ذلك على تكسيرها، منبِّها لهم على أن الله أغير، وعلى تمحيق الأكبر أقدر.

وحَرِيٌّ أن يخصّ بالعبادة؛ فلما كان الكبير هو الحامل على تكبير الصغير، صَحَّت النسبة إليه، على ما سلَف. ولما تبين لهم الحق رَجَعوا إلى أنفسهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون، إذ وضعتم العبادة بغير موضعها.

وذكر الشيخ عبد القاهر أن السؤال إذا كان ملفوظا به؛ فالأكثرُ تركُ الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم وحدَه. وإن كان مضمرا، فوجب التصريح بالفعل لضعف الدلالة عليه، فتعين أن يلفظ به.

وهو مشكل بقوله تعالى: ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ (النور: ٣٦، ٣٧). فيمن قرأها بفتح الباء، كأن **قيل:** من يسبحه؟ فـ**قيل:** يسبّحه رجال، ونظيره ضُرب زيد وعمرو، على بناء «ضرب» للمفعول، نعم الأولى ذكر الفعل لما ذكر، وعليه يخرج كلّ ما ورد في القرآن من لفظ «قال» مفصولا، غير منطوق به، نحو: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ (الذاريات: ٢٤، ٢٥)، كأنه **قيل:** فما قال لهم؟ ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (الذاريات: ٢٧) ولذلك قالوا: «لا تخف».

وعلى هذه السياقة تخرج قصة موسى عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣ - ٣١).

وعلى هذا كلّ كلام جاء فيه لفظة «قال» هذا المجيء، غير أنه يكون في بعض

المواضع أوضح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ﴾ (الذاريات: ٣٢)، فإنه لا يخفى أنه جواب لقوله: ﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ (الذاريات: ٣١).

ومثله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ (يس: ١٣ - ٢١).

(البرهان ٤/ ٤٢ - ٥٢)

ثم يسوق الإمام بدر الدين الزركشي فائدة لما زلنا بصدده، جعل عنوانها «فائدة في أن أقل الأمم سؤالاً أمة محمد عليه السلام، وننقلها فيما يلي:

نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: ما كان قوم أقلّ سؤالا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، سألوه عن أربعة عشر حرفا، فأجيبوا.

قال الإمام: ثمانية منها في البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ (البقرة: ١٨٦)، ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ (البقرة: ١٨٩)، والباقي ستة فيها!

هي آية ٢١٥: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾.

وآية ٢١٧: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾.

وآية ٢١٩: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾،

وفيها أيضا: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾.

وآية ٢٢٠: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾.

وآية ٢٢٢: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾.

والتاسعة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ في المائدة (المائدة: ٤).

والعاشرة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ (الأنفال: ١).

الحادي عشر في بني إسرائيل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ (الإسراء: ٨٥).

الثاني عشر في الكهف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ (الكهف: ٨٣).

الثالث عشر في طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ (طه: ١٠٥).

الرابع عشر في النّازعات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ (النازعات: ٤٢).

ولهذه المسألة ترتيب: اثنان منها في شرح المبدأ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ (البقرة: ١٨٦) فإنه سؤال عن الذات، وقوله: ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩)، سؤال عن الصفة.

واثنان في الآخر في شرح المعاد، وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ (طه: ١٠٥) وقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

ونظير هذا أنه ورد في القُرآن سورتان، أولهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (الحج: ١)، في النصف الأول، وهي السورة الرابعة، وهي سورة النساء. والثانية في النصف الثاني، وهي سورة الحج، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الّذي في الأول، يشتمل على شرح المبدأ، والذي في الثاني يشتمل على شرح حال.

فإن قيل، كيف جاء ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ثلاث مرات بغير واو: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ٢١٧). ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ (البقرة: ٢٢٢)؟

قلنا، لأنّ سؤالهم عن الحوادث؛ الأول وقع متفرقًا عن الحوادث، والآخر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ «قل» نحو: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٨٩)، ونظائره؟

قيل: حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء، مُستَغْنٍ عن الواسطة، وهو دليل على أنّه أشرف المقامات، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعي واسطة، وفي غير حالة الدعاء تجيء الواسطة[1].

(البرهان ٤/ ٥٢ - ٥٤)

ولفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق بحث مستفيض بعنوان **«يسألونك»** في القرآن، وقد ضمنه كتابه النفيس **«تفسير القرآن الكريم»** (ص ٥٣٧ - ٥٥٩)، ونسوق نصه إتماما للفائدة، وقد بدأه بالكلام على سورة الأنفال فقال - رحمه الله -:

«يسألونك» في القرآن:

بدئت هذه السورة بكلمة «يسألونك» فدل ذلك على أن ما تضمنته الآيات بعدها جاء جوابا عن سؤال توجهوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأنفال، وقد دعانا ذلك إلى تتبع الكلمة «يسألونك» في القرآن الكريم فوجدناه يحتوي على عدة من الأسئلة الموجهة إلى الرسول والأجوبة التي نزلت بمناسبة هذه الأسئلة وقد رأينا أن نستطرد في هذا المقام ونعرض لها ولو على سبيل الإجمال، لفتًا للأنظار إليها، وتنبيهًا على أسلوب القرآن فيها، وإرشادًا لما تضمنته من أحكام وحِكَم ومعانٍ لها في حياة المؤمن الخاصة والعامة، وما لها من أثر حسن، وتوجيه قيم مفيد.

استطراد في تتبع السؤال والجواب:

هذا. وقد جاء من هذه الأسئلة في سورة البقرة ما يأتي:

---

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٤/ ٤٢ - ٥٤.

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

ثانيا: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩).

ثالثا: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥).

رابعا: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧).

خامسا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

سادسا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩).

سابعا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

ثامنا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وجاء من هذه الأسئلة في سورة النساء:

أولاً، قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ....﴾ إلى آخر الآية ١٣٠، (النساء: ١٢٧ - ١٣٠) وفيها الفتوى فيما إذا خافت المرأة نشوزًا من بعلها، والفتوى في بيان معنى العدل المطلوب بين النساء.

ثانيًا، قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦).

وجاء من الأسئلة في سورة المائدة:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤).

وجاء منها في سورة الأعراف:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧) وقد جاء هذا السؤال في سورة الأحزاب: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣) وجاء في سورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٢ - ٤٦).

وجاء من الأسئلة في سورة الأنفال الآية الأولى منها التي نفسرها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ (الأنفال: ١).

وجاء منها في سورة الإسراء:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).

وجاء منها في سورة الكهف:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٨٣).

وجاء منها في سورة طه:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ (طه: ١٠٥).

مقارنات بين عبادات الأسئلة والأجوبة:

هذه هي جملة الأسئلة والأجوبة التي جاءت في القرآن، ونلاحظ على وجه عام:

أولاً: أنها دارت بين التعبير «بيسألونك» وهو الغالب، و«بيستفتونك» وقد جاءت في موضعين اثنين.

ثانياً: أن الجواب جاء في جميعها مسبوقًا بكلمة «قل» إلا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

ثالثاً: أن كلمة «قل» في مواردها جاءت مجردة عن الفاء إلا في السؤال عن الجبال إذ جاء الجواب ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ (طه: ١٠٥).

رابعاً: أيضًا أن السؤال عن الساعة في سورة النازعات أخذ جوابه أسلوبًا، غير الأسلوب المعتاد في الجواب إذ جاء: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٤٣).

خامساً: أن السؤال جاء في بعضها مسبوقًا بحرف العطف وهو الواو، وفي

بعضها غير مسبوق به، ترى ذلك واضحًا في سورة البقرة إذ جاءت أربعة منها بدون الواو متعاقبة.

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ وجاءت ثلاثة بعدها بالواو: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ وجاء في إحدى صيغتي الاستفتاء بالواو وهي الأولى منهما ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ﴾ (النساء: ١٢٧) وجاءت في الأخرى بدونها ﴿يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ (النساء: ١٧٦).

وجاءت في (الإسراء ٨٥) (والكهف: ٨٣) وفي (طه: ١٠٥) بالواو ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾.

سادسًا: أن المسؤول عنه جاء تارة مصرحًا به في السؤال وذلك في مثل ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾، ﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾، ﴿عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾، ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ ﴾، ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾، ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾، ﴿عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾، ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾، ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾، وهو الكثير الغالب، وجاء تارة غير مصرح به في السؤال، ولكن الجواب أو المقام يرشد إليه: فما يرشد إليه الجواب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾، ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ ﴾ ومما يرشد إليه المقام ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾.

سابعًا: أن أكثرها جاء في الأحكام والمسائل الفرعية: الإنفاق مُنفقًا ومصرفًا. القتال في الأشهر الحرم. حل الخمر. معاملة اليتامى.. قربان النساء في الحيض. ما يختص بشؤون الزوجات. التوريث. المطعومات.

وجاء فيها ما يتعلق بالإله سبحانه قربًا وبعدًا، وما يتعلق بفائدة بعض المظاهر الكونية كالسؤال عن الأهلة.

وجاء فيها ما يتعلق باليوم الآخر وقوعًا كالسؤال عن الجبال، وزمانًا كالسؤال عن الساعة.

وجاء فيها ما يتعلق ببعض الشخصيات التاريخية كالسؤال عن ذي القرنين.

وجاء فيها ما يتعلق ببعض الحقائق الإلهية كالسؤال عن الروح.

الفرق بين السؤال والاستفتاء:

هذه سبع ملاحظات عامة، ويجدر بنا أن نذكر كلمة عن كل واحدة منها قضاءً لحق البحث، وتنويرًا للباحثين في فهم القرآن والوقوف على أسرار أسلوبه، واعتباراته البلاغية.

أما عن الفرق بين السؤال والاستفتاء فنرى أن الاستفتاء هو طلب معرفة ما أشكل أمره واشتد خفاؤه، لا فرق في ذلك بين أن يكون من الأحكام أو من الحقائق الكونية؛ ولذلك تراه جاء بالنسبة للأحكام كما في آية النساء وفي غيرها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢) ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ (الصافات: ١١) ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (الصافات: ١٤٩) ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ (يوسف: ٤٦) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ (النمل: ٣٢).

وبهذه الشواهد الكثيرة يتبين أن من قيد الإفتاء بالأحكام لا حق له.

أما السؤال فهو طلب معرفة المجهول ليعرف، أو ما وقع فيه الشك والتردد بين وجوه مختلفة ليتعين الوجه المطلوب، وخُص تبيين المشكل باسم الفُتيا، لأنه بالبيان يقوى ويبرز ويأخذ من الفتى شبابه وقوته، فكأنه يقوى ويشب ويصير فتيًّا قويًا.

ولعلنا بعد هذا إذا نظرنا في موضوعي «يستفتونك» الواردان في النساء وقارناهما بموضوعات «يسألونك» الواردة في بقية سور القرآن تظهر لنا الحكمة جلية في استعمال كلمة «يستفتونك» في هذين الموضوعين المتعلقين بالأسرة ومشاكلها وحقوقها، واستعمال يسألونك في غيرها مما كان المطلوب فيه مجرد المعرفة.

أما مجيء كلمة «قل» في صدر الجواب فهو الأصل، وهي تُحدّد معنى الرسالة بين الله والعباد كما تحقق الأمر بأداء الرسول وحي الله إلى عباده.

الحكمة في خلو الجواب من كلمة «قل» في السؤال عند سبحانه:

أما خلو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨٦) من كلمة «قل» - وهي الموضوع الوحيد الذي لم يصدّر فيه الجواب بها - فللدلالة على رفع **الوساطة** بين العباد السائلين وبين المسؤول عنه - ربهم وخالقهم - وقد قال الرازي في هذا المقام كلمة لها سر عظيم في تصوير العلاقة بين الله والعباد قال:

«وكأنه سبحانه وتعالى - بعدم الإتيان بكلمة «قل» في هذا المقام - يقول: يا محمد إذا سئلت عن غيري فكن أنت المجيب وقل كذا وكذا، وإذا سئلت عني فاسكت لأكون أنا القائل».

نعم هو قريب ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)، ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٣ - ٨٥).

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء: ٥٦، ٥٧).

ليس القرب بمعنى العلم:

وليس القرب الإلهي قرب مكان - سبحانه - فنسبة الأمكنة والأزمنة وما فيهما إليه واحدة، فهو تعالى قريب من كل شيء، إذ منه كل شيء وإليه كل شيء، وليس القرب مجرد العلم بكل شيء فالله قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾، ولم يقل ولكن لا تعلمون. والذي من شأنه أن يُبصر إنما هو الذات لا العلم.

ولعل في ذلك أقوى رادع لمن يتخذون الوسطاء والشفعاء بينهم وبين الله، فيدعونهم ليقربوهم إليه، ويتجهون إليهم ليغفر لهم، ولينظروا قوله بعد: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) فلا نيابة، ولا مساعدة، ولا وساطة فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه. كما أن الآية تقف برفع الصوت في الدعاء والتكبير إلى الحد الذي طلبه الشارع.

الحكمة في تصدير الجواب بالفاء مع عدم الشرط:

أما مجيء «الفاء» في خصوص قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (طه: ١٠٥) مع التجرد منها فيما عداها، فقال بعض المفسرين: إنما جاءت الفاء هنا لأن السؤال لم يقع، وعليه يكون المعنى: إذا سألوا عن الجبال فقل.

وخير منه أن يقال: إن مجيء الفاء في هذا المقام دلّ على طلب سرعة الإجابة، أي: أجب ولا تهمل حتى لا تذهب بهم الشكوك في أمر هو من أصول الدين، وهو البعث، وذلك لما في دلالة الفاء على التعقيب والمباشرة.

أسلوب الجواب عن سؤال الساعة في النازعات:

أما مجيء الجواب عن سؤال الساعة في سورة النازعات على غير أسلوب الجواب فلعل سببه يرجع إلى أن هذا السؤال صدر منهم أولا، وجاء جوابه بالأسلوب المعتاد في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.... إلخ ما جاء، وكان الجواب واضحًا جليًا في أن الله قد استأثر بعلمها ولا شأن للرسول بها، فلم يكن سؤالهم عن ذلك مرة أخرى إلا نوعًا من المعتاد والمكابرة، فجاء الجواب على أسلوب من التهكم والتبكيت والتجهيل لهم بوظيفة الرسول، ويدل عليه قوله بعد: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ (النازعات: ٤٤، ٤٥).

الحكمة في وجود العاطف في البعض دون البعض:

أما وجود العاطف في بعضها فهو يرشد على اتصال السؤال بما قبله، وعدمه فيما لم يوجد فيه يدل على استئنافه وانقطاعه عما قبله وأنه فائدة جديدة. فالسؤال عن الأهلة، والسؤال عن الإنفاق، والسؤال عن الشهر الحرام، والسؤال عن الخمر أسئلة عن أشياء لم يكن بينها اتصال، وإنما بينها تباين وتقاطع لا يحسن معهما العطف.

أما السؤال عن الإنفاق الوارد بعد السؤال عن الخمر والسؤال عن اليتامى والسؤال عن المحيض فهي أسئلة تجتمع حول شأن واحد وهو النفقة، ومعاملة اليتيم، ومؤاكلة الحائض، وشرب الخمر، أي: أحوال تجتمع في خاصة الإنسان ومعاملته لمن يتصل به.

أما القول بأن الواو تدل على أن الأسئلة المتعاطفة وقعت في وقت واحد، ولا كذلك الأسئلة التي تجردت منها فيعوزه الدليل على اتحاد وقت السؤال.

وقد اقتضى المقام العطف في ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾ وفي ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ وفي ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ ولا كذلك في ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ وذلك كما يظهر بالرجوع إلى المقام الذي وردت فيه.

أمّا التصريح بالمسؤول عنه تارة في السؤال والاكتفاء بمعرفته من الجواب أو المقام تارة أخرى، فلا نستطيع أن نجزم بغير ما يقوله كثير من المفسرين من أنه تفنن في العبارة، وهو لون من ألوان الأداء امتازت به اللغة العربية، والقرآن أعظم مظهر لأسرار تلك اللغة فاحتوى على كل ما هو معهود في اللغة من أساليب الأداء المختلفة. وهذا لا يمنعنا من النظر في استطلاع اعتبارات خاصة يوحي بها المقام، أو مكانة المسؤول عنه في الأهمية، أو ظهوره ظهورًا لا يحتاج معه إلى التصريح به.

أكثر الأسئلة الواردة في الأحكام العملية:

وقد دل مجيء أكثرها في الأحكام على شدة حرصهم في تحري الحق، الذي

يرضى الله ويكون له أثر صالح في حياتهم وبخاصة الحياة الشخصية والاجتماعية. انظر سؤالهم عن الإنفاق مرتين، وعن الخمر والميسر، وعن اليتامى، والمحيض، وعن النساء، وعن ماذا أحل لهم، وعن الأنفال. وهي كلها شؤون عملية لها نفعها في الحياة، وهذا شأن المؤمن يتطلب سُبل العمل فيتجه إلى معرفة ما يحل ويحرم، ومعرفة ما يضر وينفع، فيسأل ليعلم إن كان جاهلاً، أو ليتيقن إن كان مترددًا.

أما الاشتغال بالسؤال عن النظريات البحت التي لا يتعلق بها نفع في الدنيا ولا ثواب في الآخرة، فهذا ليس من شأن المؤمنين العاملين، فلا ينبغي أن يُسأل عن الأرواح بعد مفارقتها للأجساد أين تكون؟ وماذا تعمل؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية عذاب القبر أللجسم والروح؟ أما للروح فقط؟ ولا بحياة كاملة أو ناقصة؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان، ولا كيفية الوزن، ولا عن الوزن، ولا عن أرض الجنة، ولا عن سمائها، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم، وملأ كثير من علمائهم به كتبهم، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير.

أما ما جاء من الأسئلة عن غير الأحكام فمنها السؤال عن الأهلة، وهو ظاهر أنه سؤال عن فائدتها، ولا ريب أن لها ارتباطا - كما جاء في الجواب - بحياتهم العملية؛ فبها يرتبط الصوم، والحج، وعدة النساء، وآجال العقود؛ فإن التوقيت بها يسيرٌ على الناس جميعًا بدو وحَضَر فهي مواقيت لجميع الناس، أما السنة الشمسية فإن شهورها لا تعرف إلا بالحساب، ولا تصلح توقيتًا إلا للحاسبين.

والقرآن يرشد إلى الوسائل الطبيعية التي تعم الناس أجمعين بمقتضى طبيعتهم، لا بمقتضى تقدمهم وارتقائهم، فإن تقدموا وارتقوا إلى معرفة وسائل أخرى تؤدي ما تؤديه الوسائل الطبيعية فلا عليهم أن يتعلقوا بها، وبخاصة إذا ذاعت وعمت وارتبط بها أغلب الناس في المعاملات.

الأسئلة الواردة عن العمليات مع قلتها ليست من المؤمنين:

أما السؤال عن الساعة، وعن الجبال، وعن الروح، وعن ذي القرنين، فيظهر أنها صادرة من المخالفين الذين لم يؤمنوا، وقد ورد أن اليهود أوعزوا إلى المشركين أن يسألوا الرسول عن ثلاث: عن الروح، وذي القرنين، والساعة. وقالوا:

إن أجاب عن جميعها فليس بنبي، وإن لم يجب عن واحدة منها فليس بنبي. فسألوا عن الساعة ففوض علمها إلى الله كما عندهم، وسألوا عن الروح ففوض علمها إليه سبحانه كما عندهم، وأجاب عن ذي القرنين كما هو عندهم وفي رواية ذكر أهل الكهف في هذا الشأن، وقد أجاب عنها وحقق أمرها، واختلافهم فيهم.

مختارنا في المراد بالروح المسئول عنها في سورة الإسراء:

ونحن نرى أن الروح المسؤول عنها في سورة الإسراء ليست الروح التي بها حياة الإنسان، وإنما المراد به القرآن نفسه، فإن الله قد سماه روحًا ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢) ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ (النحل: ٢)، فالقرآن حياة الأرواح والعقول. ولا ريب أن القرآن أحدث رجة عظيمة في نفوسهم، وزعزعة في عقائدهم، وأقض عليهم مضاجعهم، وهو كلام من جنس الكلام فما هو، وما شأنه؟ كان بذلك جديرًا أن يسألوا عنه وهم أرباب البلاغة وأساطين البيان. ويرشد إلى أن اللائق بالروح في هذا الموضع هو القرآن أن الحديث قبل السؤال وبعده كان عن القرآن ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢) ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الإسراء: ٨٦)، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: ٨٨، ٨٩).

فإذا كان الله أطلق على القرآن كلمة روح، وكانت الآية الواردة قبل السؤال عن الروح، والآيات الواردة بعده في وصف القرآن والحديث عنه، كان من اللائق حمل الروح المسؤول عنه على القرآن؛ إذ هو الذي ظهر على يد محمد وأحدث في نفوسهم ما أحدث، ولم يأتهم محمد معلنًا أنه معلم للحقائق الكونية والشوون الطبيعية التي خلقها الله، أو الأسرار الإلهية التي أودعها في خلقه، ولقد كانت أول

كلمة وجهت إليه ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (المدثر:٢) وتوالت الآيات التي تحدد مهمته في التبليغ عن ربه والإنذار والتبشير. ومن هذا كله ترجع لدينا حمل الروح المسؤول عنها في سورة الإسراء على القرآن الكريم.

قواعد تشريعية مستنبطة من الأسئلة وأجبوتها:

وبالنظر في الأسئلة التي وجهها المسلمون إلى الرسول في مدة التشريع تجدها لا تتجاوز اثني عشر، آخرها في الوجود السؤال عن الأنفال، وبالتأمل فيها وفي أجوبتها في القرآن الكريم نجدها قد اشتملت على مبادئ توجيهية وقواعد تشريعية يجدر بنا أن نقف عليها.

السؤال عن الأحكام لا عن الحقائق الكونية:

وأول ما يتبين لنا من ذلك أنها كانت تتعلق دائمًا بالأحكام فيما يحتاج إليه الناس في خيرهم وسعادتهم على الوجه الذي يرضى الله ويقربهم إليه، وأنه لا يوجد شيء منها يتجه إلى بيان الحقائق الكونية، حتى إن ما كان منها يدل بظاهره على طلب ذلك قد صرف القوم بالإجابة عنه إلى الجهة التي تنفعهم، وينبغي أن يسألوا عنها، وذلك كما روى في السؤال عن الأهلّة، كانوا يسألون عن علّة بدوّ الهلال صغيرًا ونموه شيئًا فشيئًا إلى أن يتكامل، ثم عودته إلى الانتقاص إلى أن يخفى، فجاء الجواب يرشدهم إلى الحكمة في الخلق على هذا الوجه، وأنها مما يرجع إلى فائدتهم من جهة أن الأهلة مواقيت يعرفون بها أوقات الصوم، والحج، وعِدَدَ النساء، وآجال العقود، ولا ريب أن التوقيت بها يسهل على الناس جميعًا فهي موافقة لهم فيما يضربون له آجالا، وليس ذلك متحققًا بالنسبة للسنة الشمسية التي لا تعرف إلا بالحساب، ولا ينتفع بالتوقيت بها إلا الحاسبون.

بناء الأحكام على الوسائل الطبيعية:

ومن ذلك نعلم أن القرآن في أحكامه وإرشاداته ينظر إلى الوسائل الطبيعية التي تعم الناس أجمعين بمقتضى طبيعتهم لا بمقتضى تقدمهم وارتقائهم. ومن ذلك نرى الشريعة تربط الحكم بدخول الأشهر برؤية الأهلة إن لم يكن بالسماء،

غيم، وبعدد الأيام إذا كان بها غيم، ويربط السفر الذي يترتب عليه تغيّر الأحكام بالسفر الطبيعي وهو سير الأقدام والإبل.

الحكم في الوسائل الإنسانية الحديثة:

والمسألة ذات النظر الآن هي: هل يبقى الناس متمسكين بهذه الوسائل الطبيعية إذا ما تقدمت الإنسانية وارتقت، وعرفت بالعلوم والمعارف وسائل غير هذه الوسائل الطبيعية، أو يصح لهم أن يعدلوا عن هذه الوسائل الطبيعية إلى الاعتماد على تلك الوسائل الإنسانية الجديدة؟

ومعنى هذا: هل يصح لهم اعتماد الحساب في معرفة الشهور وترك الرؤية جانبًا، والاعتماد في تقدير السفر على ما أحدث من وسائل سريعة كالقطارات، والطيارات، أو يظل الأمر على ما كان عليه فلا نصوم إلا بالرؤية، ولا نقدّر السفر المبيح للترخص إلا بسفر الأقدام والإبل ؟

هذا محل نظر واجتهاد، وقد تناوله الفقهاء المتأخرين، فتمسك الجمهور بالأصل، ورأى آخرون السير مع ما أحدث، وليس الخلاف إلا خلاف وسائل، والمعول عليه العلم والتحقق من دخول الشهر، أو المشقة وعدمها في السفر، والحكم معروف والحكمة بينة وقد عرضنا لهذه المسألة رجاء بحثها ومعرفة ما يطمئن القلب فيها.

الرسول صلى الله عليه وسلم جاء لبيان الأحكام:

وفي صرف السائلين عن العلة إلي الحكمة يتبين أن الرسول إنما جاء لبيان الأحكام لأفعال المكلفين لا لبيان الحقائق الكونية، فلا ينتظر أن يسأل: ما رأى الدين في جوهر السماء ولا طبقات الأرض، أو ما رأى الدين في صلاحية القمر أو المريخ للسكنى أو عدم الصلاحية، أو ما رأى الدين في كروية الأرض أو عدمه، ولا منابع النيل ولا كيفية سيره، ولا كيف تتكون الأمطار، ولا كيف يحدث البرق والرعد والصواعق، فإن ذلك ونحوه قد تركه الله للإنسان بعقله فيصل به إلى ما يصل إليه إن خطأ وإن صوابا، ولا حرج عليه في شيء من ذلك، وهو نظير البحث في كيفيات الزراعة والصناعة والتجارة والعلاج والحروب وما إليها من الشؤون التي وكل الله معرفتها وتحري المفيد منها إلى تجارب الإنسان وتقديره، وهذان نوعان لا سلطان

للتشريع الإلهي عليهما، ولعلهما هما المقصودان بما يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله «أنتم أعلم بدنياكم».

السؤال عن الواقع لا عن الفروض:

وكما أن الأسئلة لا يصح أن يُقصد بها بيان الحقائق لا يصح أن يطلب بها بيان أحكام الفروض؛ فإن أسئلة المؤمنين التي وردت في القرآن لم يتجه شيء منها إلى مفروض يقدر حصوله ثم يطلب الجواب عنه، وقد جرى على هذا المبدأ علماء الإسلام فحافظوا على أن يكون اشتغال المسلمين بالسؤال والجواب في دائرة الواقع الذي ينفعهم في دينهم ودنياهم، فلم يُعرف عنهم أنهم فرضوا مسائل وكلفوا أنفسهم البحث عن أجوبتها، وإنما كانوا يبحثون عن أجوبة ما وقع أو ما هو بصدد الوقوع في مجرى العادات، ولكن قد جاء الخلف بعد ذلك فشغلوا أنفسهم بتخريج أجوبة لفروض وتقديرات على القواعد المذهبية للمتقدمين.

ولعل ذلك كان أثرًا لشيوع فكرة إغلاق باب الاجتهاد، مضمومًا إليها حب التنافس في التخريج للفقه المذهبي، وحب الظهور بالعلم ودقة البحث أمام الأمراء والولاة.

لا وساطة بين الله وعباده:

وكما أخذنا هذين المبدأين من وحي هذه المسائل، أخذنا أيضًا من وحيها أنه لا وساطة بين الله وعباده، كما دل عليه أسلوب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٦) وبذلك بطلت **الوساطة** الكنسية، ووساطة التوسل بالأنبياء والأولياء، فضلا عن الاستغاثة والاستعانة بهم فيما لا يملكه أحد من العباد ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء: ٥٦، ٥٧).

ارتكاب أخف الضررين:

وكما أخذنا من وحي المسائل هذه المبادئ الثلاثة:

مبدأ السؤال عما يقع، ومبدأ عدم **الوساطة** بين الله وعباده، ومبدأ أن الرسول جاء لبيان الأحكام لا لبيان الحقائق الكونية. أخذنا منه مبدأ رابعًا وهوالإرشاد إلى ارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بدّ من أحدهما، وذلك كما رأيناه في السؤال عن القتال في الشهر الحرام، فإن القرآن مع تقريره أنه ذنب كبير وإثم عظيم، قد قرر أن غيره مما ارتكبه المشركون من الصد عن سبيل الله والكفر بالله والصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه، وما يرتكبونه من الفتنة عن دين الله، أشد عند الله من القتل في الشهر الحرام، فلا بأس فيما ارتكبه الذين قاتلوا في الشهر الحرام لهذه الاعتبارات التي هي أشد منه جرمًا وأعظم إثمًا.

وقد كان لهذا المبدأ آثار عظيمة في التشريع الإسلامي، فقد أبيح به أكل الميتة للمضطر، وشرب الخمر لإساغة اللقمة، كما أبيح به تشريح أجسام الموتى لمعرفة علة الموت وتحديد مسؤولية الجناية، ونرى هذا المبدأ مطبقًا في كثير من أفعال الإنسان في أوقات الضرورة والحاجة.

التحريم للضرر الغالب وإن وجد نفع مادي:

وكما أخذنا من وحي هذه المسائل هذه المبادئ الأربعة أخذنا مبدأ خامسًا، وهو: **أن تحريم الله للفعل إنما يكون للضرر الخالص أو الإثم الغالب، وإن كان فيه بإزاء هذا أو ذاك نفع في جهة ما**، وذلك كما يتبين من السؤال عن الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

اعتماد المشروعية وعدمها على الصلاح والفساد:

وأخذنا أن العبرة في المشروعية وعدمها بما يتضمنه الفعل من الصلاح والفساد، ولا عبرة بصورته ومظهره، فليس في تجافي اليتيم وعزلته في مأكله ومشربه خير حتى يكون ذلك التجافي مشروعًا، وليس في مجرد مخالطته شر حتى

تكون تلك المخالطة ممنوعة، إنما الخير في أن تحفظ نفسه، وأن يحفظ ماله، وأن يُعْنَى بشأنه وتقويمه، وهذا هو الأساس في المشروعية، فما كان فيه صلاحه فهو خير ومشروع، وما كان فيه فساده فهو شر وممنوع ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

هذه بعض المبادئ التشريعية العامة التي أردنا الإشارة إليها بمناسبة الحديث عن أجوبة الأسئلة الواردة في القرآن، وهي مبادئ مقررة في الشريعة يجب تطبيقها ورعايتها في معرفة أحكام الله لكل ما جَدَّ ويَجِدُّ من حاجات الإنسان وضروراته.

المسؤول عنه في آياتنا:

قلنا: إن الأسئلة - التي وجِّهت في القرآن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - كانت بالنسبة لتحديد المسؤول عنه، أو جهة السؤال مختلفة الألوان والأساليب. فمنها ما كان محددًا للمسؤول عنه، كما في السؤال عن الشهر الحرام، ومنها ما عرف المسؤول عنه من الجواب وذلك كما في السؤال عن الخمر، وعن اليتامى. وعن المحيض، ومن هذا القسم السؤال عن الأنفال في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ (الأنفال: ١) فإنه في ذاته يحتمل أن يكون سؤالا عن الأنفال من جهة حِلِّ أكلها والانتفاع بها، وأن يكون سؤالاً عن كيفية قسمتها وعمن ترجع إليه قسمتها، ولكن الجواب المذكور بعد يدل على أن المقصود هو السؤال عنها من الجهة الثانية لا من الجهة الأولى، وذلك من وجوه:

الأول: أن كونها لله والرسول لا يدل على حلها ولا على حرمتها، وإنما يفيد أن حكمها من حِلٍّ أو حرمة يستفاد منهما لا من غيرهما. أما ما هو ذلك الحكم على التعيين - وهو الذى يُسأل عنه - فإنه لا يستفاد منه ولا يدل عليه، فهو إذن لا يصلح أن يكون جوابًا.

الثاني: أن قوله: بعد: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١) يشير إلى أنهم ارتكبوا ما ينافي التقوى،

ووقع بسببه نزاع فيما بينهم، وخرجوا عن طاعة الله والرسول، ولا شك أن السؤال عن حلها أو حرمتها ليس مما ينافي التقوى ولا مما يقع بسببه، كما أنهم لا يخرجون به عن طاعة الله ورسوله، وإنما هو بالعكس يؤكد التقوى وجمع الكلمة والحرص على الطاعة، فهو بجملته وتفصيله لا يصلح أن يقع جوابًا عن سؤال الحلّ أو الحرمة، وإذن فليس السؤال عن الحل أو الحرمة.

ويؤيد ذلك ما ورد من أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها: أهي للمهاجرين، أم للأنصار، أم لهم جميعًا؟ أو أنها للشباب الذين أبلوا يومئذ بلاء حسنًا فقتلوا وأسروا وقالوا نحن المقاتلون فلنا الغنائم، أم للشيوخ الذين كانوا عند الرايات، وقالوا كنا لكم درءًا وفئة تتحازون إليها فلنا الغنائم؟ اختلفوا على هذا النحو أو ذاك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو صاروا بحالة تستدعي سؤاله: كيف تقسم الغنائم، ولمن الحكم في قسمتها؟ فجاء الجواب هكذا: قسمتها لله وللرسول فهما صاحبا الحكم فيها، وليس لأحد سواهما الحق في قسمتها، فاتقوا الله ولا تختلفوا فيما لا شأن لكم فيه، وامتثلوا أمرالله وحكمه إن كنتم مؤمنين.

هذا. وقد جاء في السورة نفسها تفصيل حكم الله في الغنائم: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

وهذا هو ما ذهب إليه جماعة من المفسرين،وعليه يكون السؤال سؤال استعلام لحكم الأنفال وقسمتها، وتكون الأنفال هي الغنائم نفسها لا خصوص ما كان يشترطه الإمام لمن يقوم في القتال بعمل نافع مفيد.

وقد رأى فريق آخر أن السؤال سؤال استعطاء، وأن كلمة «عن» زائدة، وأن الأنفال هي ما يشترطه الإمام لمن يعمل عملا بارزًا في الحرب كقوله تحريضًا على القتال:«من قتل فلانًا أو تسلق الحصن أو أغار على كذا فله كذا» وقد كان النبي

صلى الله عليه وسلم قد فعل ذلك فقام بكثير منه الشبان الأقوياء، فقال الشيوخ حينما تم النصر ورأوا أن الشبان سيأخذون كثيرًا من الغنيمة بطريق التنفيل: المغنم قليل، والناس كثيرون، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك، والمعنى: فأعطنا من هذه الأنفال فجاء الجواب: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: «تعطى بمقتضى الشرط» فاتقوا الله ولاتتمنوا حق غيركم أو تلتمسوا أن ينقض الرسول عهده، وأصلحوا ذات بينكم ونفذوا أوامر الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

والجواب وارد في موضعه، يلتقي مع حالة السائلين، وعلى هذا يكون السؤال كما قلنا سؤال استعطاء لا سؤال استفهام، وتكون الأنفال «ما ينفّله الإمام» لا الغنائم. وتكون آية الغنائم الآتية بعد غير متصلة بهذه الآية، وموضوعها الباقي بعد التنفيل، ولا اعتراض لنا على هذا الوجه سوى الحكم بزيادة كلمة «عن» والاعتماد في الحكم بزيادتها على قراءة «يسألونك الأنفال» اعتماد على شاذّ لا تنهض به حجة.

وقد رد أبو السعود هذا الوجه بأن ما في الآية من إضافة الأنفال لله والرسول والأمر بتقوى الله تعالى إلى آخره، لا يلتئم مع سؤال الاستعطاء؛ لأنهم على فرضه لا يستعطون إلا ما صار حقًّا لهم بمقتضى الشرط، ولا محذور فيه ولا مخالفة إلى آخر ما قال، تلك هفوة منه منشؤها ظنه أن السائلين هم الذين اشترطت لهم الأنفال، وليس كذلك، كما دلت عليه رواية حال الشيوخ مع الشبان؛ فإن الذين سألوا هم الشيوخ فقط، والكلام لهم والرد عليهم، وهو رد سليم يتفق والواقع، ويقرر انحراف الشيوخ أو محاولة انحرافهم عما اشترطه الرسول مع الشبان.

الغنيمة والفيء ومكانهما من النظام المالي في الإسلام:

وبمناسبة الغنائم والأنفال: يجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن الغنيمة نوع من أنواع الأموال في الدولة، ومنها الفيء وهو ما حصل عليه المؤمنون من أموال الأعداء عفوًا من غير حرب، كمال الصلح، والجزية، وكالأرض يرتحلون عنها للمسلمين، ومنها الصدقات، والزكاة، والخراج، والعشور والمعادن، والركاز. وهذه هي مصادر الأموال في صدر الإسلام. وقد ذكرت مصارف الغنيمة في سورة

الأنفال. وذكرت مصارف الفيء في سورة الحشر: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾

الآيات من ٧ - ١٠ سورة الحشر.

قال عمر: لولا من يأتي من آخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر. ويرى أنه دعا المهاجرين والأنصار واستشارهم فيما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم: تثبتوا الأمر وتدبروه ثم اغدوا عليّ، ففكر في ليلته، فلما غدوا عليه قال: مررت البارحة بالآيات التي في سورة الحشر وتلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ (الحشر: ٧، ٨) إلى قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ فلما بلغ قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ قال: ما هي لهؤلاء فقط وتلا قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ (الحشر: ١٠) ثم قال: ما بقى أحد من أهل الإسلام إلا وقد دخل في ذلك. ومعنى هذا أن عمر لم يقسم الفيء على المقاتلين ولا على المسلمين الموجودين، وإنما اتخذ منه معاشًا للحاضرين وعدّة للمقبلين، وانظروا قوله تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: ٧) والدُّولة اسم الشيء الذي يتداول، والمعنى: «فعلنا ذلك في الفيء كيلا تقسمه الرؤساء والأغنياء بينهم دون الفقراء والضعفاء» قرطبي [1].

(١) تفسير القرآن الكريم - محمود شلتوت - دار القلم. القاهرة. الطبعة الرابعة - ١٩٦٦/٥٢٧-٥٥٩.

(٦٤) الجواب

سبق أن أوردنا «السؤال» في مطلع هذا القسم تحت الرقم (٦٣) ونقلنا ما كتبه عنه الإمام الفيروزابادي في البصيرة الأولى (انظر **بصائر ذوي التمييز** ١٦٥/٢-١٦٨).

وقد وجدنا أن الإمام الفيروزابادي سبق أن أفرد «الفصل السابع» (**البصائر** ١٠٨/١-١١٦) للكلام عن «أصناف الخطابات والجوابات التي يشتمل عليها القرآن» وجعل لهذا الفصل طرفين: الأول في فنون المخاطبات (١٠٨/١-١١٠) وهو لا يعنينا هنا، والثاني «في الابتداءات والجوابات (١١٠/١-١١٦) وهو ما نحن بصدده، وننقله فيما يلي: قال - رحمه الله -:

الطرف الثاني من هذا الفصل في الابتداءات والجوابات. ويسمى تراجُعَ الخطاب.

والجواب يكون انتهاء، والسؤال يكون ابتداءً. والسؤال يكون ذَكرًا، والجواب يكون أُنثى. فإذا اجتمع الذَّكر والأُنثى يكون منه نتائج وتولُّدات.

وترد أنواع الجوابات في نصّ القرآن علىَ أربعة عشر وجهًا: جواب موصول بابتداء، جواب مفصول عنه، جواب مضمر فيه، جواب مجرد عن ذكر ابتداء، جوابانِ لابتداءٍ واحد، جواب واحد لابتداءَين، جواب محذوف، جواب إلى فصل غير متصل به، جواب في ضمن كلام، جواب في نهاية كلام. جواب مُدْخَل في كلام؛ جواب موقوف على وقت، جواب بفاء، جواب الأمر والنهي وغيرهما. جواب شرط، جواب قَسَم.

أما الجواب الموصول بابتداء فقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (الإسراء: ٨٥)، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ

عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢١٩). ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وأما الجواب المفصول عن الابتداء فنوعان:

أحدهما: أن يكون الابتداءُ والجواب في سورة واحدة. كقوله في الفرقان (الآية ٧)، ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ جوابه فيها: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ (الفرقان: ٢٠) وكقوله في البقرة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٣) جوابه فيها ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

والثاني: أن يكون الابتداء في سورة، والجواب في سورة أخرى، كقوله في الفرقان (الآية:٦٠): ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ جوابه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (الرحمن: ١، ٢) وفي الأنفال: (الآية: ٣١) ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ جوابه في بني إسرائيل ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ ﴾ (الإسراء: ٨٨) الآية. وفي سورة القمر ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ (القمر: ٤٤) جوابه في الصافات ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ (الصافات: ٢٥).

وأما الجواب المضمر ففي سورة الرّعد ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (الرعد: ٣١) جوابه مضمر فيه أي: (لكان هذا القرآن)، وأما الجواب المجرّد عن ذكر الابتداء فكما في سورة المائدة: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ (المائدة: ٩٣) فإنه في جواب الصحابة: فكيف من شرب الخمر قبل تحريمها ومات. وفي سورة البقرة ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٤٣) في جواب أناس قالوا كيف: بمن صلّى إلى بيت المَقْدِس قبل تحويل القبلة.

وأمّا جوابان لسؤال واحد كقوله في الزخرف (الآية: ٣١) ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فله جوابان: **أحدهما** ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ (الزخرف:٣٢) **والثاني** في سورة القصص: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ (الآية: ٦٨)، ونحو قوله ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (الرعد: ٤٣) أحد جوابيه ﴿يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ١-٣) وثانيهما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ (الأحزاب: ٤٥) وفي سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩). وكقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ (الدخان: ١٤)، جوابه في التكوير ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير: ٢٢) وجواب ثان في سورة ن ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم: ٢) وجواب ثالث في سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ (الأعراف: ١٨٤).

وأما جواب واحد لابتداءين فكقوله في سورة النور ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٠) وابتداءُ هذين الجوابين حديث الإفك. ونظير هذا في سورة الفتح ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ (الفتح: ٢٥) وابتداؤه صَدُّ الكفار المسلمين عن المسجد الحرام.

وأما الجواب المحذوف فكقوله في سورة البقرة ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (الآية: ٨٩) جوابه ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ وهو محذوف ومثل قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (هود: ١٧) جوابه محذوف أي: حال هذا الرّجل كحال مَن يريد زينة الحياة الدُّنيا.

وأمّا الجواب الّذي يكون راجعًا إلى فصل غير متّصل بالجواب فكقوله في سورة العنكبوت ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ (الآية: ١٦) جوابه ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ (العنكبوت: ٢٤) وهذا في يس: ﴿وَإِذَا

﴿قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ (الآية:٤٥) جوابه ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يس: ٤٨) وعلى هذا القياس مناظرة موسى وفرعون في سورة الشعراء في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣).

وأما الجواب الّذي يكون في ضمن كلام فكما في سورة (ص) لمّا زعم الكفار أنّ محمّدًا غير رسول بالحق نزلت الآية مؤكّدة بالقسم لتأكيد رسالته ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: ١) إلى قوله: ﴿وَعَجِبُوا﴾ وكذا قوله: ﴿ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (ق:١) إلى قوله: ﴿هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾. وهكذا في سورة الملك ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ (الملك: ٢١) جوابه في ضمن هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ﴾ (الملك: ٢٩) وأما الجواب الذي يكون في نهاية الكلام فكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (فصلت: ٤١) جوابه في منتهى الفصل ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤) وفي سورة الحج ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الحج: ٢٥) جوابه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ (الحج: ٢٥) وفي سورة الكهف ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ (الكهف: ٢٢) جوابه: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ (الكهف: ٢٢) وفي سورة الأنعام ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: ٩١).

إلى قوله ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ (الأنعام: ٩١) جوابه: ﴿قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ (الأنعام: ٩١).

وأمّا الجواب المُداخَل (أي: اشترك فيه لفظ السؤال ولفظ الجواب).

ففي سورة يوسف ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ (يوسف: ٧١، ٧٢) وفي قصة إبراهيم ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ (الذاريات: ٢٥).

وأما الجواب على وقف الوقت فكقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

فقالت الصحابة: متى وقت إجابة الدعاء؟ فنزلت: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨٦) وأيضا لما نزلت: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠) قالوا: متى وقت الاستغفار؟ فنزلت: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧).

وأما جواب الشرط والجزاء بغير فاء فمجزومٌ كقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١)، من يَغزُ يغنم، من يكظم غيظًا يأجره الله.

وأما جواب الشرط بالفاء فمرفوعٌ ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ (المائدة: ٩٥) ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ (الجن: ١٣).

وأما جواب الأمر والنهي والدعاء والتمنّي والاستفهام والعرض بغير فاء فمجزوم، وبالفاء منصوب. والأمر كقوله: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ (يوسف: ١٢) لا تضربني (هذا مثال للنهي) أشتمْك، اللّهمّ أعطني أشكرْك وكذا في غيره.

وأمّا بفاءٍ فكقولك: زرني فأكرمَك، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب: ٣٢).

﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٣) وكذا في غيرها لا جواب النفي، فإنه إذا كان بلا فاءٍ فمرفوع كقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ (يوسف: ١١١) وليس «يفترى» واقعاً في جواب النفي، كما مثّل، بل الجملة صفة للحديث).

وأمّا جواب القسم فأقسام القرآن ثلاثة أنواع: إما قَسم بأسماء الله تعالى: كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾، وإمّا بمفعولاته كقوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾. ﴿وَالشَّمْسِ﴾. ﴿وَالْعَصْرِ﴾. وإما بأفعاله كقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (الشمس: ٥، ٦).

ولا بد للقسم من جواب إما بإثبات أو بنفي. وتأكيد الإثبات يكون بإنّ وباللّام أو بهما. أمّا بإنّ فكقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ (العصر: ١، ٢)، وقوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ (الفجر: ١) إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ١٤). وأما بهما فكقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ (الذاريات: ٢٣).

هذه فنون الجوابات، وأنواع الخطابات التي نطق بها القرآن [1].

ونختتم هذا القسم من أقسام القرآن السبعين عن السؤال والجواب بما أورده الإمام بدر الدين الزركشي عن سبب ورود ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بغير واو، وورودها بالواو إتمامًا للفائدة. قال - رحمه الله -:

فإن قيل:

كيف جاء ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ثلاث مرات بغير واو: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩)، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ (البقرة: ٢١٩).

ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

قلنا: لأن سؤالهم عن الحوادث؛ الأول وقع متفرقا عن الحوادث، والآخر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى﴾ (البقرة: ١٨٦)، وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ «قُل» نحو: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩) ونظائره؟

قيل: حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء، مُستغنٍ عن الواسطة،

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ١/١١٠ - ١٦.

وهو دليل على أنه أشرف المقامات، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعي واسطة، وفي غير حالة الدعاء تجيء الواسطة [1].

ونسوق فيما يلي بيان هذه الآيات كما وردت في كل من **«الدليل الكامل»** و**«معجم آيات القرآن»** وبالله التوفيق:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بغير واو:

الآية	رقمها	السورة	رقمها	منزلها
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	١	الأنفال	٨	مدنية
۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	١٨٩	البقرة	٢	مدنية
۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ	٢١٩	البقرة	٢	مدنية
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا	٤٢	النازعات	٧٩	مكية

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٤/٥٤.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	١٨٧	الأعراف	٧	مكية
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	٢١٧	البقرة	٢	مدنية
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	٤	المائدة	٥	مدنية
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ	٢١٥	البقرة	٢	مدنية

(**الدليل الكامل** للدكتور الشافعي/ ٤٥٩، ٤٦٠، **معجم آيات القرآن** للدكتور نصار/ ٢٦٩)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ بغير واو:

الآية	رقمها	السورة	رقمها	منزلها
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا	١٠٥	طه	٢٠	مكية
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا	٨٥	الإسراء	١٧	مكية
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ	٢٢٢	البقرة	٢	مدنية
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا	٨٣	الكهف	١٨	مدنية

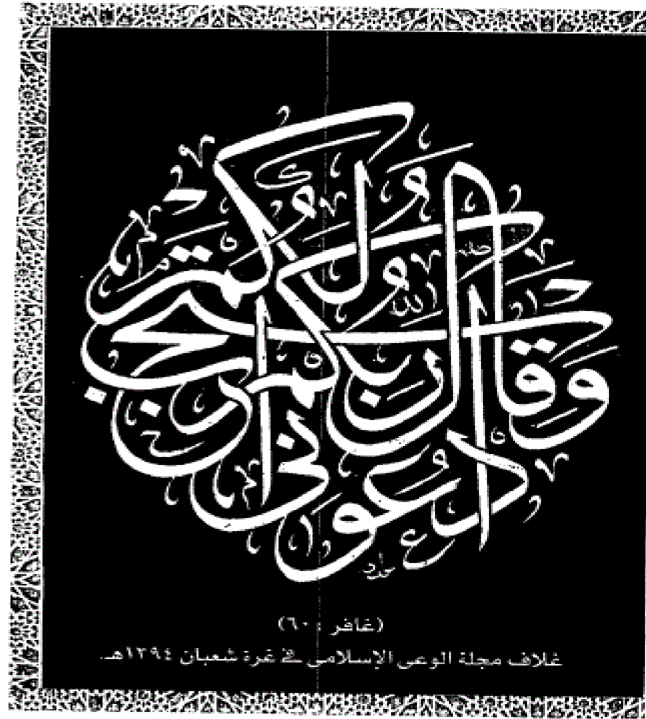
(الدليل الكامل/ ٤٢٤، ومعجم آيات القرآن/ ٢٥٦)[1]

(١) الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم. دكتور حسين محمد فهمي الشافعي/ ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٢٤، ومعجم آيات القرآن. ترتيب دكتور حسين نصار/ ٢٥٦، ٢٦٩. انظر أيضا: المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم. وضعه محمد منير الدمشقي/ ٤٥٧، ٢٤٧. وعجائب علوم القرآن لابن الجوزي - حققه وقدم له وعلق عليه د. عبد الفتاح عاشور. الزهراء للإعلام العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٦٥) الدعاء

أفرد الإمام الفيروزآبادي البصيرة رقم (١١) للكلام على: الدعاء، والدفع، والدفق. ونسوق فيما يلي ما كتبه عن «الدعاء» الذي نحن بصدده قال - رحمه الله -:

الدّعاء: الرّغبة إلى الله تعالى. وقد دعا يدعو دُعاء ودَعْوَى، والدعاءُ كالنداء أيضا، لكن النداءُ قد يقال إذا قيل يَا وَأيَا ونحو ذلك من غير أن يُضمّ إليه الاسم. والدّعاءُ لا يكاد يقال إلّا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلُّ واحد منهما موضع الآخر. ويستعمل (أي: الدعاء) أيضًا استعمال التّسمية نحو: دعوت ابني زيدًا. أي: سمّيته. قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور: ٦٣) حثًّا على تعظيمه صلى الله عليه وسلم. وذلك مخاطبة لمن يقول: يا محمد. ودعوته: إذا سألته. وإذا استغثته. قال الله تعالى: ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٠) تنبيهًا أنّكم إذا أصابتكم شدّة لم تفزَعُوا إلّا إليه. وقوله: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (الفرقان: ١٤) وهو أن يقول: يا لهفاهْ واحسرتاه ونحو ذلك من ألفاظ التّأسف. والمعنى: يحصل لكم غموم كثيرة. وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ (البقرة: ٦٨-٧٠). أي: سَلْه والدعاءُ إلى الشيء: الحثُّ على قصده. وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ (غافر: ٤٣) أي: رفعة وتنويه. (ولهم الدُّعْوَة على غيرهم) أي: يُبدأ بهم في الدّعاء. و (تداعَوْا عليهم تجمّعوا). **والداعية:** صريخ الخيل في الحروب، ودعاه الله بمكروه: أنزله به. وادّعى كذا زعم أنّه له، حقًّا كان أو باطلاً.

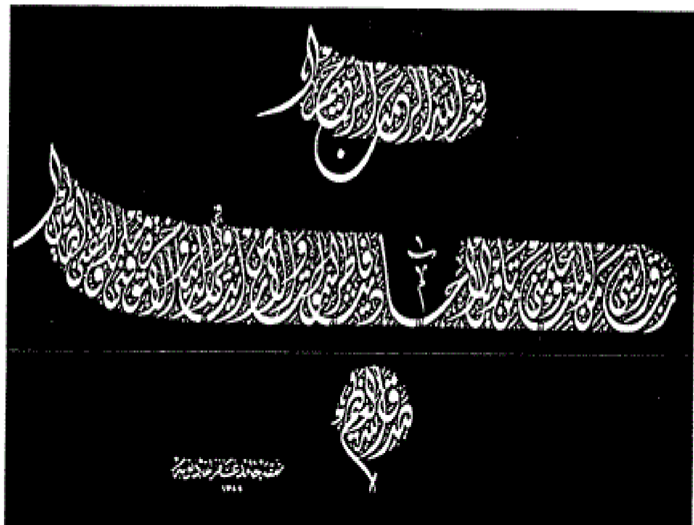


(غافر : ٦٠)

غلاف مجلة الوعي الإسلامي في غرة شعبان ١٣٩٤هـ.



لوحة بخط جلي ديواني على هيئة زورق، نمقها الخطاط هاشم محمد البغدادي عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)
(الإسراء: ٨٠)
أصول الخط العربي - كامل سلمان الجبوري ص١٩٦



لوحة بقلم الديواني الجلي تنص على البسملة والآية الكريمة «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين»

نمقها حامد الآمدي سنة ١٣٤٨ هـ (يوسف : ١٠١)

أصول الخط العربي - كامل سلمان الجبوري ص ١٩٧



تكوين بديع للآية الكريمة جديد في فكرته بالخط الديوانى والنسخ يشبه الثريا وترى الكلمات والحروف وهى صاعدة وكأنها تدعو الله بإسباغ الصبر وتثبيت الأقدام والنصر على الأعداء، وهذا التكوين داخل إطار عربى

نماذج من الخطوط العربية - عبد الرحمن صادق عبوش ص ٥٨، ٥٩.



(البقرة: ١٨٦)

تاريخ الخط العربي وأعلام الخطاطين - أحمد صبري محمود زايد ص ٣٠٢

والاسم الدّعوة والدّعاوة والدّعوة والدّعاوة. والدّعوة الحِلف، والدّعاء إلى الطّعام ويضمّ كالمَدعاة. والدّعوى: الادّعاء. قال: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ ﴾ (الأعراف: ٥) والدّعوى أيضًا الدّعاء كقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (يونس: ١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا﴾ (فصلت: ٣١، ٣٢) أي: ما تطلبون.

والدّعاءُ يَردُ في القرآن على وجوه:

الأوّل: بمعنى القول: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ (الأنبياء: ١٥) أي: قولهم.

الثاني: بمعنى العبادة: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ (الأنعام: ٧١) أي: أنعبدُ. ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ (الحج: ١٣).

الثالث: بمعنى النّداء ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ (النمل: ٨٠، والروم:٥٢).

أي: النّداء ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ ﴾ (القمر: ١٠) أي: نادى ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤) أي: بندائك.

الرّابع: بمعنى الاستعانة والاستغاثة ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ (البقرة: ٢٣). أي: استعينوا بهم ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ (يونس: ٣٨، وهود: ١٣) أي: استعينوا بهم.

الخامس: بمعنى الاستعلام والاستفهام ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا ﴾ (البقرة: ٦٨ - ٧٠) أي: استفهم.

السّادس: بمعنى العذاب والعقوبة ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ (المعارج: ١٧).

السّابع: بمعنى العَرْض ﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ (غافر: ٤١) أي: أعرضها عليكم ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ أي: تعرضونها عليّ النار.

الثامن: دعوة نوحٍ قومه ﴿إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح: ٥).

التّاسع: دعوة خاتم الأنبياء لكافّة الخَلْق ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥).

العاشر: دعوة الخليل للطيور ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (البقرة: ٢٦٠).

الحادى عشر: دعاءُ إسرافيل بنفخ الصّور يوم النشور لساكني القبور ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ (القمر: ٦).

الثانى عشر: دعاء الخَلْق ربَّهم تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) قال الشاعر (هو قطرى بن الفجاءة. والبيتان من قطعة حماسية. وانظر شرح التبريزي ١/٩٧).

وصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيلُ الخلود بمستطاع

سبيلُ الموت منْهَجُ كل حيّ ... وداعية لأهل الأرض داع

وممّا ورد في القرآن أيضًا من وجوه ذلك دعوة إبليس ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (القصص: ٤١) ودعوة الهادين من الأئمة الأعلام ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣). (وهذه الآية لا تدخل في الباب، فليس فيها لفظ الدعاء. هامش «تعليق محقق الكتاب ص ٦٠٢).

ودعوة إسرافيل ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ (الروم: ٢٥) ودعوة الكَفَرة الضّالّين ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرعد: ١٤) ودعوة الحقّ تعالى إلى الجنّة ذات الظّلال ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: ٢٥)، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ (البقرة: ٢٢١).

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ (ابراهيم: ١٠) [1].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢/٦٠٠-٦٠٢.

ونسوق فما يلي تفصيل آيات «الدعاء» وورودها، ونعني بالدعاء هنا دعاء الخَلق ربهم تعالى، وسؤاله كشف ضُرٍّ أو سَوْق نفع. وبالله التوفيق:

مادة: د ع و:

(دعا - دعاكم - دعاية - دعانا - دعاه - دَعَوَا - دَعَوا - دعوتُ - دعوتُكم - أدعوتُموهم - دعوتُهم - فَدَعَوْهم - ادْعُوا - ادْعُوكم - تَدْعُ - تَدْعُهم - تَدْعُو - تَدْعُوا - تَدْعُون - تدعونا - تدعونا - تدعونني - تدعونه - تدعوهم - ندعوهم «واو الجماعة» - نَدْعُ - سَنَدْعُ - ندعو - نَدْعُوَ - ندعوه - يَدْعُ - يَدْعُ «أصلها يدعو» - يَدْعُنا - يَدْعُو - يَدْعُوك - يدعُوكم - يَدْعُون - يدعوننا - يدعونني - يدعونه - يدعوه - يدعوهم - ادْعُ - ادْعُهُنّ - ادعوا - ادعوني - ادعوه - ادْعُوهم - دُعُوا - دُعِيَ - دُعيتم - تُدْعَى - تُدْعَوْنَ - يُدْعَى - يُدْعَوْن - دُعاء - الدعاء - دُعَاءِ «أصلها دعائي» دُعاءَكم - دُعاءه - دُعاؤكم - دَعائِك - دُعائِهم - دعائي - دَعْوَةَ - دَعْوتك - دَعْوتكما - دعواهم - داعِيًا - داعِيَ الله - الدّاع - الداعي - أدْعيائهم - يَدّعون - تدّعون)[1].

- دعا الله يدعون دعاء: سأله كشف ضُره أو سَوْق نَفْع.

- دَعَا:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ (آل عمران: ٣٨) أي: سأله، واللفظ بمعناه في (الزمر: ٨)، و (الدخان: ٢٢)، و (القمر: ١٠).

- دَعَاية:

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) وهي بمعنى سألني:

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، طبعة منقحة. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. الطبعة الثانية. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ - ٧٤/١.

- دعانا:

- ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ (يونس: ١٢).
هي بمعنى سألنا، واللفظ بمعناه في (الزمر: ٤٩).

- دَعَاهُ:

- ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النمل: ٦٢). أي: سأله.

- دَعَوَا:

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٨٩). أي سألا.

- دَعَوا:

- ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (يونس: ٢٢). أي: سألوا، واللفظ بمعناه في (العنكبوت: ٦٥)، و (الروم: ٣٣)، و (لقمان: ٣٢).

- تدعون:

- ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (الأنعام: ٤٠). أي: تسألون. واللفظ بمعناه في قوله تعالى: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ (الأنعام: ٤١). وفي قوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ (الأنعام: ٤١)، و(الإسراء: ٦٧).

- تدعونه:

- ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأنعام: ٦٣) أي: تسألونه.

- يَدْعُ:

رسمت في المصحف يدع وأصلها يدعو:

- ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ (الإسراء: ١١). أي: يسأل.

- يدعوننا:

- ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (الأنبياء: ٩٠). أي: يسألوننا.

- ادْعُ:

- ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ (البقرة: ٦١). أي: اسأله. واللفظ بمعناه في (البقرة: ٦٨- ٧٠)، و (الأعراف: ١٣٤)، و (الزخرف: ٤٩).

- ادعوا:

- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف: ٥٥). أي: اسألوا. واللفظ بمعناه في (غافر: ٤٩، ٥٠).

- ادعوني:

- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠). أي: اسألوني.

- ادعوه:

- ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الأعراف: ٥٦). أي: اسألوه أو اعبدوه.

- دعاء:

- ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٥٠)، أي: سؤال. واللفظ بمعناه في (فصلت: ٥١).

- الدعاء:

- ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨) أي: السؤال. واللفظ بمعناه في (إبراهيم: ٣٩).

- دُعَاء:

- ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠). أصلها دعائي. أي: سؤالي.

- دُعائك:

- ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم: ٤). أي: بسؤالك.

- دعوة:

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) أي: سؤال.

- دَعْوَتكُما:

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ (يونس: ٨٩). أي: سؤالكما.

- الداع:

وأصلها الدّاعي.

- ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦) أي: السائل[1].

ونحن نلاحظ أن آيات الدعاء تكون في معظم حالات ورودها مسبوقة إما بلفظ «ربِّ» نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ (البقرة: ١٢٦). وإما بلفظ «ربنا» نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧).

وهذا تفصيل الألفاظ وورودها.

- رَبِّ: وأصلها ربي:

البقرة/١٢٦، وآل عمران/ ٣٨، ٤١، والأعراف/ ١٥١، وإبراهيم/٣٥، ٤٠، ومريم/١٠، طه/٢٥، الأنبياء/٨٩، المؤمنون/٢٦، ٢٩، ٣٩، ٩٤، ٩٨، ١١٨، والشعراء/ ٨٣، ١٦٩، والنمل/ ١٩، والعنكبوت/ ٣٠، والصافات/ ١٠٠، وص/ ٣٥، والأحقاف/ ١٥، والتحريم/ ١١، ونوح/ ٢٨.

- رَبَّنا:

البقرة / ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٨٦، وآل عمران/٨، ١٤٧،

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية. القاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، ٢/٢١٩-٢٢٧.
انظر أيضا: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة. الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م/ ٣٢٦ - ٣٣٠.

١٩٣، ١٩٤، والنساء/٧٥، والمائدة/ ١١٤، و الأعراف/ ٤٧، ٨٩، والكهف/١٠، والفرقان/٧٤، وغافر/٧، ٨ والدخان/١٢، والحشر/ ١٠، والممتحنة/٥، والتحريم/٨ [1].

ويرد ذكر الدعاء في المصادر عند الكلام على خروج صيغ كل من أقسام الإنشاء وهي: الأمر، والنهي؛ والاستفهام، والتمني، والنداء، عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

ومن أمثلة ذلك:

١- الأمر (بغرض الدعاء).

في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ (النمل: ١٩)

(جواهر البلاغة/٥٩)

وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ (الأعراف: ١٥١، ص: ٣٥، ونوح: ٢٨).

(**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**/٦٣٥، **ومفتاح السعادة** ٢/٤٥١.

انظر أيضا: **قاموس القرآن**/ ٧٢ رقم ١٢).

والأمر بغرض الدعاء ذكره الفراء (**معاني القرآن** ٤٧٧/١)، ومنه قوله تعالى على لسان موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ (يونس: ٨٨). وذكره ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: ١٩) وقال: إنه «على طريق الدعاء والمسألة» (**تأويل مشكل القرآن**/٣١) وسماه ابن فارس «والمعنى مسألة» (**الصاحبي**/١٨٤). وقال المبرد: «الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي... وذلك كقولك في الطلب «اللهم اغفر لي». **وقال القزويني**: «إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع (**الإيضاح**/١٤٥ **وعروس البحر** ٢/٣٢٠)، كقوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ (نوح: ٢٨).

(**معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** ٣٢١/١).

(١) المرجع السابق/٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٢ - ٣٧٤.

وقد ذكره الإمام بدر الدين الزركشي عند كلامه عن خروج الخبر عن معناه الأصلي إلى معان آخر «قال - رحمه الله -: ومنها الدعاء، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، أي: أعنا على عباتك.

(البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٢١).

٢- النهي:

ذكره الإمام بدر الدين الزركشي عند الكلام على الأداة «لا» الناهية فقال: وترد للدعاء، نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولذلك قال بعضهم، «لا الطلبية» ليشمل النهي وغيره.

(البرهان ٤/ ٣٥٥. وانظر أيضا جواهر البلاغة/٦٤).

وقال طاش كبرى زاده عن النهي: وهو طلب الكف عن فعل: وصيغته، لا تفعل، وهي حقيقة في التحريم، ترد محارم، لمعان... وذكر منها «الدعاء» في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ (آل عمران: ٨).

(مفتاح السعادة ٢/٤٥٢)

٣- الاستفهام:

قال الحافظ السيوطي عند كلامه عن الاستفهام: وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازًا... ثم عدد المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، وذكر من بنيها «الدعاء» فقال - رحمه الله -: وهو كالنهي إلا أنه عن الأدنى إلى الأعلى نحو: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (الأعراف: ١٥٥) - أي: لا تهلكنا.

(الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٠٣)

وقد ورد النّص نفسه في كل من **مفتاح السعادة ٢/ ٤٥٠**، **ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ١٩٣**[1].

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف السيد/ أحمد الهاشمي - تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد/ ٥٩. ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/٤٥١، ٤٥٢، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف الدكتور أحمد مطلوب//٣٢١، والبرهان في علوم القرآن الكريم للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢/٣٢٢ و ٤/٢٥٥ والإتقان في علوم القرآن لشؤون لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/١٠٣.

(٦٦) الطلب

يقول الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي في «معجم المصطلحات النحوية والصرفية»:

هو أحد المعاني التي يأتي لها فعل الأمر أو ما في معناه كالمضارع المقترن بلام الأمر، ويعني الطلب في الأمر طلب حصول الشيء على وجه الاستعلاء، وهذا هو المعنى الحقيقي له، وقد يخرج إلى غيره لأغراض بلاغية.

وينسحب مفهوم الطلب كذلك على النهي والاستفهام والتمني والنداء، إذ أن هذه الأربعة ومعها الأمر تكوّن مجموعةَ الإنشاء الطلبي، ويضاف إليها الدعاء والعرض والتحضيض.

والطلب بأنواعه كلها أحد شيئين لا تعمل فاء السببية النصيب فيما بعدها إلا إذا سبقت به أو بالنفي، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ (النساء: ٧٣).

وينقسم الطلب إلى محض وغير محض. فأما المحض فهو ما كان بأحد المذكورات التي تقدمت والتي يطلق عليها مجموعةَ الإنشاء الطلبي.

وأما غير المحض فهو ما كان باسم الفعل أو بالمصدر أو بما لفظه خبر وأمثلة ذلك: صَهْ فأكرمك، وحسبك الحديث فينام الناس، وسكوتًا فينام الناس، ونحو: رزقني الله مالاً فأنفقه في الخير (ص١٣٩، ١٤٠).

ويفرد المؤلف بعد ذلك مادة لكل ما ذكره من مجموعة الإنشاء، الطلبي ما عدا «التمنّي» فإنه لم يذكره. ونبيّن فيما يلي كُلاً على حدة، وبالله التوفيق.

١- الأمر (ص ١٢، ١٣):

الأمْر، هو أحد أقسام الفعل الثلاثة وهو كل فعل دال على طلب حصول الشيء في المستقبل، وذلك عن طريق الصيغة لا عن طريق لام الأمر كما هو الشأن في الفعل المضارع، والأصل فيه أن يكون على سبيل الاستعلاء أي: أن يصدر من

أعلى إلى أدنى، وقد يخرج عن ذلك لغرض بلاغي يقتضيه السياق. ومثاله: اكتب وازرع، وقد وضع له النحاة علامتين يميزانه عن قسيميه المضارع والماضي، وهما: دلالته على الطلب، وقبوله نون التوكيد، وفي هذا يقول ابن مالك:

وماضي الأفعال بالتا مِزْ وسم بالنون فعل الأمر إن أمر فهم

فإن دلت الكلمة على الأمر، ولم تقبل نون التوكيد فهي اسم فعل نحو صَهْ، مَهْ - ففي مثل هاتين الكلمتين دلالة على الطلب، ولكنهما لا تقبلان النون فهما لهذا إسما فعل وليسا بفعلين.

وقد ذكر من علامات الأمر زيادةً على ما تقدم قبوله ياء المخاطبة، ولكن هذا غير دقيق في الأمارة على فعل الأمر إذ إن المضارع كذلك يقبل يا المخاطبة نحو تجتهدين وتأكلين.

والدلالة على الأمر ليست مقصورة على فعل الأمر بالذات، فقد يتضمنها المضارع أيضًا إذا اتصلت به لام الأمر، وهي لام مكسورة في الأصل، تتصل ببداية الفعل المضارع فتحوله من الخبرية إلى الطلبية، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (الطلاق: ٧).

وقد تكون هذه اللام ساكنة إذا ما سبقت بواو أو فاء نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ (البقرة: ١٨٦).

والأمر أيضًا لفظ يطلق ويراد به المعنى أو الوجه أو القسم، وكثيرًا ما يستعمل في بغداد وجوه المفارقة أو الموافقة بين الأشياء فيقال مثلاً: توافق كم كأي في خمسة أمور وتفارقها في خمسة أخرى - توافقها في الإبهام والافتقار إلى التمييز والبناء ولزوم التقدير وإفادة التكثير وهو الغالب فيها، وتخالفها في كونها بسيطة لا مركبة وكون تمييزها يأتي منصوبًا أو مجرورًا، وأنها قد تكون استفهامية وتقع مجرورة ويكون خبرها مفردًا.

ومن استعمال لفظ الأمر في المعاني والدلالات قولهم في لو الشرطية: إنها تفيد ثلاثة أمور أي: معانٍ ومفهومات، وهي: الشرطية، والتقيد بالماضي، والامتناع.

والفاء العاطفة تفيد ثلاثة أمور، أي: معانٍ، وهي: الترتيب، والتعقيب، والسببية.

ومن استعماله في معنى الوجه أو الوجوه قولهم: إذا أضيف لفظ «كل» إلى معرفة جاز في الاسم الواقع بعدها أمران: مراعاة اللفظ، فيقال: كلهم قائم بالإفراد ومراعاة المعنى فيقال: كلهم قائمون، بالجمع. وإن أضيف إلى نكرة وجب فيها أمر واحد وهو مراعاة المعنى كقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣٢) وقوله كذلك: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ (غافر: ٥).

٢- النّهي (ص ٣٣٢):

أسلوب إنشائي يطلب به المتكلم من المخاطب الكف عن فعل الشيء وإتيانه.

والأصل فيه أن يصدر ممن هو أعلى - وإن صدر عن المساوى فهو التماس. وإن صدر من الأقل فهو دعاء.

وقد يخرج إلى معان أخرى يعينها السياق والقرائن. ويتحقق النهي بأداة خاصة به وهي لا الناهية نحو: لا تشرك بالله - وهي من جوازم الفعل المضارع التي تجزم فعلاً واحدًا.

ويقع النهي من المتكلم للمخاطب كالمثال السابق، ولا يقع من المتكلم للمتكلم أي: لا ينهى المتكلم نفسه إلا نادرًا.

وقد ورد مثل هذا في قول النابغة الذبياني:

لا أعرفن رَبْرَبًا حورًا مدامعها ... مردفات على أعقاب أكوار

وقول الوليد بن عقبة (نسبه ابن هشام للفرزدق، ونقضه العيني في شواهده ونسبه للوليد بن عقبة، ج١/ص٢):

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد ... لها أبدًا ما دام فيها الجراضم

(الجراضم - الأكول الواسع البطن، والمقصود به هنا معاوية بن أبي سفيان) (ص ٣٣٢).

٣- الاستفهام (ص ١٧٩ - ١٨١):

الاستفهام: هو طلب العلم بما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن (**التعريفات للجرجاني**/١٨) فإن كان تلك الصورة وقوع نسبة بن الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق (انظر مادة تصديق)، وإلا فهو التصور.

والاستفهام أسلوب إنشائي طلبي - يتطلب إجابة بأحد أمرين - نعم ولا أو بالتعيين.

وله أدوات كثيرة كلها أسماء ما عدا أداتين منها هما: الهمزة وهل. فإنهما حرفان.

فأما الهمزة فقد أوثرت بثلاثة أمور هي:

١- **التصدير**: ولذلك قدمت على العاطف في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة: ١٠٠) ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ (الطور: ١٥).

٢- **طلب التعيين إذا ذكر معها المعادل نحو**: أزيد عندك أم عمرو؟

٣- **الدخول على النفي للتقرير** نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١) وغير التقرير نحو قولك: ألم تفعل؟ لمن قال: لم أفعل.

وأما هل فتنفرد بما يلي:

١- الوقوع موقع النفي نحو: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٤٧) أي: لا يهلك إلا القوم الظالمون.

٢- الوقوع موقع «قد» نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ (الإنسان: ١) أي: قد أتى.

ويشترك الحرفان في الوقوع موقع الأمر نحو: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾، (آل عمران: ٢٠) أي: أسلموا - وهل أنتم منتهون أي: انتهوا.

وأما أسماء الاستفهام فهي: من، ويستفهم بها عمن يعقل نحو: من عندك زيد أم عمرو - وما، ويستفهم بها عما لا يعقل نحو: ما مركوبك أفرس أم بعير؟ وعن صفات من يعقل نحو: ما زيد أطويل أم قصير؟ وأي، ويستفهم بها عن بعض نحو: أي الرجلين كلمك زيدٌ أم عمرو؟.

وأين ويستفهم بها عن مكان نحو: أين كنت أفي الدار أم في المسجد؟ وأيان ويستفهم بها عن زمان مستقبل نحو: أيان سفرك أغدًا أم بعد غد؟ ومتى ويستفهم بها عن زمان مضى وعن زمان مستقبل نحو: متى قدمت أمس - ومتى تسافر غدًا؟ - وكم ويستفهم بها عن عدد نحو: كم كتابًا اشتريت؟ وكيف وأنى ويستفهم بهما عن الحال نحو: كيف جئت - وأنى ظفرت بالعدو؟ وقد ويستفهم بأنى عن المكان والزمان نحو: أنى كنت وأنى سرت؟.

ويطلب بهذه الأدوات التصور، ولذلك فإنها تقتضي إجابة بتعيين المسؤول عنه مكانًا كان أو زمانًا أو عددًا أو حالاً.

وإذا كان الاستفهام في حقيقته طلبًا للعلم بالشيء فإنه قد يخرج عن هذا المعنى لأغراض بلاغية مختلفة ذكرها علماء البلاغة في مظانها من علم المعاني[1].

٤- التمني:

وننقله من كتاب «**جواهر البلاغة**» للسيد أحمد الهاشمي-قال -رحمه الله- (ص ٧٧، ٧٨):

التمني: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرَجى حصوله.

١- إما لكونه مستحيلاً؛ كقوله:

ألا ليتَ الشبابَ يعود يومًا فأخبِرُه بما فعل المشيبُ

٢- وإما لكونه ممكنًا غير مطموع في نَيْله؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ (القصص: ٧٩).

(١) معجم المصطلحات النحوية والصرفية - الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي/١٢، ١٣، ٢٣٢، ١٧٩ - ١٨١.

وإذا كان الأمر المحبوب مما يُرْجَى حصوله كان طلبه ترجّيًا، ويَعبَّر فيه «بعسى» و «ولعلّ»؛ كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١) و﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ (المائدة: ٥٢).

وقد تستعمل في التّرجّي لغرض بلاغي (الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل؛ مبالغة في بُعد نَيْله).

وللتمني أربع أدوات: واحدة أصلية، وهي «ليت»، وثلاث غير أصلية نائبة عنها، ويُتمَنّى بها لغرض بلاغي - وهي:

١- هل:

(اعلم أن سبب العدول عن «ليت» إلى «هل» إبراز المتمنّى؛ لكمال العناية به - في صورة الممكن الذي لا يُجزَم بانتفائه، وهو المستفهم عنه، كقوله تعالى: (حكاية): ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ (الأعراف: ٥٣).

٢- لو:

(وسبب العدول إلى «لو» الدلالة إلى عِزّة مُتمانّه ونُدرته؛ حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد؛ لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط).

كقوله تعالى: (حكاية): ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٢).

٣- لعلّ:

كقول الشاعر:

أسرب القطا، هل من يُعيرُ جناحَه ... لعلّي إلى مَـنْ قـد هَـويـتُ أطـير؟

ولأجل استعمال هذه الأدوات في التمنّي؛ يَنْصَب المضارع الواقع في جوابها[1].

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد/ أحمد الهاشمي - تدقيق وفهرسة حسين مختار محمد/٧٧، ٧٨.

٥- النداء (ص ٢١٩، ٢٢٠):

النداء: هو كما عرفه النحاة الدعاء بياء أو إحدى أخواتها أو هو طلب الإقبال بإحدى أدوات النداء.

والنداء: أسلوب إنشائي في حقيقته وإن كان معناه الإخبار باعتبار ما ينوب عنه حرف النداء المقدر بمعنى «أدعو».

وقد قيل في الرد على هذا بأن النداء في الحالتين إنشاء، وذلك على اعتبار أن «أدعو» قد نقلت إلى الإنشاء.

والنداء مأخوذ من ندَى الصوت بمعنى: بعده، ومنه فلان نديُّ الصوت، أي: بعيده أو مأخوذ من قولهم: ندِي صوته بمعنى: حسن.

ويتحقق النداء بأدوات كثيرة هي: يا وأي وآ وأيا وهيا والهمزة وواو، ولكل أداة من هذه الأدوات استعمال يحسن اتخاذها وتوظيفها فيه بحسب حالة المنادي قربًا أو بعدًا[1].

(٦٧ - ٦٨) البشارة والنذارة

- البشارة

قال الجرجاني: كل خبر صدق يتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب[2].

وقال الراغب الأصفهاني في مادة «بشر»:

البَشَرةُ ظاهر الجلد، والأدمة باطنة، كذا قال هامة الأدباء، وقال أبوزيد بعكس ذلك، وغلط أبو العباس وغيره. وجمعها بشَر وأبشار..

وأبشرتُ الرجل وبشَّرتُهُ وبَشَرْتُهُ أخبرته بسارٍّ بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، وبين هذه الألفاظ فُروق فإن بَشَرتُه عام وأبشرته نحو أحمدتهُ وبشَّرتُه على التكثير. وأبْشَر يكون

(١) معجم المصطلحات النحوية والصرفية. الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي/ ٢١٩، ٢٢٠.
(٢) التعريفات للسيد الشريف علي محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي/ ٧٠.

لازمًا ومتعدّيًا، يقال بَشرتُه فأبْشَر أي: استبشر وأبشرْتُه، وقرئ يبشّرُك ويَبْشُرُكَ وَيُبْشِرُك، قال عزّ وجل: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (الحجر: ٥٣-٥٥)

واستبشر إذا وجد ما يبشّره من الفرح، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٧٠) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ (آل عمران: ١٧١). وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الحجر: ٦٧) ويقال للخبر السّار البشارة والبشرى. قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٤) وقال تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان: ٢٢)، ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ (العنكبوت: ٣١) والبشير المُبشّر. قال تعالى: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ (يوسف: ١٩) ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٢٦) ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف: ٩٦) أي: تبشّر بالمطر. وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (الزمر: ١٧) وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾ (الأعراف: ٥٧) أي: نبشر بالمطر. وقال صلى الله عليه وسلم: **«انقطع الوحى ولم يبق ولا المبشّرات وهى الرؤيا الصالحة التى يراها المؤمن أو ترى له»** وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ (يس: ١١) وقال: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١). ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٣٨)، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣) فاستعارة ذلك تنبيه أن أسَرَّ ما يسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب، وذلك نحو قول الشاعر:

تحيةُ بينهم ضَرْبٌ وجيعٌ

ويصح أن يكون على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى

﴿ٱلنَّارِ﴾ (ابراهيم: ٣٠) وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (الزخرف: ١٧).

ويقال: ابْشَر أي: وجه بشارة نحو: أبْقَل وأمْحَل ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠) وأبشرتْ الأرض حسُن طلوع نَبْتها، ومنه قول ابن مسعود - رضي الله عنه -: «من أحبّ القرآن فليُبشر» أي: فليُسَرّ. قال الفراء: إذا ثُقّلَ فمن البشرى؛ وإذا خفّف فمن السرور، يقال: بَشَرْتُهُ فَبُشّرَ نحو جبرتُه فجُبر، وقال سيبويه: فأبْشَر، وقال ابن قتيبة: هو من بَشَرْتُ الأديم إذا رققْتُ وجهه، قال: ومعناه فليضمّر نفسه كما روي «إن وراءنا عقبة لا يقطعها إلا الضُّمّر من الرجال» وعلى الأول قول الشاعر:

فأعنهم وابشر بما بُشروا به وإذا هُمُ نزلوا بضنك فانزلِ

وتباشير الوجه وبِشْره ما يبدو من سروره، وتباشير الصُّبح ما يبدو من أوائله، وتباشر النَّخل ما يبدو من رُطبه، ويسمى ما يُعطى المبشّر بُشرى وبشارة[1].

وقد أفرد الإمام الفيروزآبادى البصيرة رقم (٤) من بصائره للكلام على «البشارى» فقال - رحمه الله -: البشارة: ومن الخبر السّار، ويقال لها البُشْرى أيضا. بَشرته، وأبشرته وبشّرته؛ أخبرته بسارّ بَسَط بَشرة وجهه. وذلك أن النّفس إذا سُرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر.

وبين هذه الألفاظ فروق؛ فإن بَشرته عامّ، وأبشرته نحو أحمدته، وبشّرته على التكثير. وقرئ «يَبْشُرك». و«يُبَشِّرُكِ» (الآيتان ٣٩، ٤٥ سورة آل عمران) وقد قرأ «يبشرك» من الثلاثى حمزة والكسائى، وقرأ الباقون «يبشرك» من التبشير كما في الاتحاف. وقرأ «يبشرك» من الإبشار ابن مسعود وهى قراءة شاذة. وانظر (البحر ٢/٤٤٧).

واستبشر إذا وجد ما يسّره من الفرح والبشير المبشّر.

(١) المفردات في غريب القرآن. تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني -تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م/ ٤٧ - ٤٩.

والبشارة وردت في القرآن على اثنى عشر وجهًا، لاثنى عشر قومًا باثنتى عشرة كرامة (أي: في المعظم، إذ منها بشارة المنافقين).

الأول: بشارة أرباب الإنابة بالهداية: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ (الزمر: ١٧) إلى قوله: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

الثاني: بشارة المخبتين والمخلصين بالحفظ والرعاية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج: ٣٤).

الثالث: بشارة المستقيمين بثبات الولاية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ (فصلت: ٣٠)

الرابع: بشارة المتقين بالفوز والحماية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ (يونس: ٦٣، ٦٤).

الخامس: بشارة الخائفين بالمغفرة، والوقاية: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ (يس: ١١).

السادس: بشارة المجاهدين بالرضا والعناية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ﴾ إلى قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ (التوبة: ٢٠، ٢١).

السابع: بشارة العاصين بالرحمة والكفاية: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ (الحجر: ٤٩ - ٥٦).

الثامن: بشارة المطيعين بالجنة والسعادة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾ (البقرة: ٢٥).

التاسع: بشارة المؤمنين بالعطاء والشفاعة، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس: ٢).

العاشر: بشارة المنكرين بالعذاب والعقوبة ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٣٨) ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١) وهذه استعارة ولكن تُنَبِّهُ أنّ أسَرَّ ما يسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب وذلك نحو قول الشاعر:

تحيّـةُ بينهم ضربٌ وجيع

(صدره: **وخيـل قـد دلفت لها بخيـل**

وهو من قصيدة لعمر بن معديكرب. وانظر (**الخزانة** ٤/٥٣).

ويصلح أن يكون ذلك مثل قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ (إبراهيم: ٣٠).

الحادي عشر: بشارة الصابرين بالصلوات والرحمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥) إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

الثاني عشر: بشارة العارفين باللقاء والرؤية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧) [١].

وننتقل الآن إلى النذارة.

- النذارة:

أورد الراغب الأصفهاني النذارة في مادة «نذر» فبدأ بالكلام عن «النّذْر» (في ثلاثة أسطر فحسب) ثم انتقل إلى الكلام عن «الإنذار» فقال - رحمه الله -:

والإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور، قال: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ (الليل: ١٣) ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣) ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١) ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ

(١) بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز. تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢/ ٢٠٠ - ٢٠٢، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين في ثنايا النص).

أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣) ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ (الشورى: ٧) ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ (يس: ٦) والنذير: المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار إنسانا كان أو غيره ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (هود: ٢٥) ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (الحجر: ٨٩) ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩) ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ (فاطر: ٣٧) ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣٦) والنُّذُرُ جَمْعُهُ، قال: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ (النجم: ٥٦) أي: من جنسِ ما أنذرَ به الذين تقدّموا قال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ (القمر: ٢٣) ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ (القمر: ٤١) ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ١٦) وقد نَذِرْتُ أي: عَلِمْتُ ذلك وَحَذِرْتُ[1].

ونسوق فيما يلي تفصيل كلٌّ من آيات البشارة وآيات النذارة وورودها، وبالله التوفيق.

آيات البشارة:

(**معجم ألفاظ القرآن الكريم** ١/ ١٣٣ - ١٣٦، مادة «ب ش ر»:

بُشِّر: أخبر بخبر.

بُشِّـر: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨: النحل)، واللفظ في ٥٩ النحل، و ١٧ الزخرف.

أبْشِرُوا بالجنَّة: افْرَحُوا بأنها جزاؤكم عند الله.

أبْشِرُوا: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠).

بشرتموني: أخبرتموني بخبر سار.

بشَّرْتُموني: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾ (الحجر: ٥٤).

(١) المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني/ ٤٨٧.

بَشَّرناك: ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ (الحجر: ٥٥).

بَشَّرناه: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠١)، واللفظ في (الصافات: ١١٢).

بَشَّرناها: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود: ٧١).

بَشَّروه: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات: ٢٨).

لِتُبَشِّرَ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (مريم:٩٧).

تُبَشِّرُون: أصلها تبشروني: تخبروني بخبر سارّ.

تُبَشِّرُون: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ (الحجر:٥٤).

نُبَشِّرُك: ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (الحجر:٥٣)، (مريم: ٧).

يُبَشِّرُ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٩) (الكهف: ٢)، (الشورى: ٢٣).

يُبَشِّرُك: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٩)، واللفظ في (آل عمران: ٤٥).

يُبَشِّرُهُم: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ (التوبة: ٢١).

بَشِّر الذين آمنوا: عِدْهم بثواب الله.

بَشِّر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ (البقرة: ٢٥)، واللفظ في ١٥٥/٢٢٣/ البقرة، و١٣٨ النساء، و١١٢/٣ التوبة، و٨٧/٢، يونس، و٣٤/ ٣٧ الحج، و٤٧/ الأحزاب، و١٧/ الزمر، و١٣/ الصف.

بَشِّره: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٧/ لقمان، و١١/ يس، و٨/ الجاثية.

بَشِّرهُم: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢١/ آل عمران، و٣٤/ التوبة، و٢٤/ الانشقاق.

فاستبشروا: فانتظروا خيرا.

فاستَبشِروا: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ﴾ ١١١/ التوبة.

يَستَبشِرُونَ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ ١٧٠/ آل عمران، واللفظ في ١٧١/ آل عمران، ١٢٤/ التوبة، و٦٧/ الحجر، و٤٨/ الروم، و٤٥ الزمر.

بُشرَى للمؤمنين: وَعْد لهم بثواب الله.

بُشرَى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧/ البقرة، ١٢٦/ آل عمران، ١٠/ الأنفال، ١٩/ يوسف ٨٩/ ١٠٢/ النحل، ٢٢/ الفرقان، ٢/ النمل، ١٢/ الأحقاف.

البُشرَى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ ٦٤/ يونس و٦٩/ ٧٤/ هود و٣١/ العنكبوت و ١٧/ الزمر.

بُشراكم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (الحديد: ١٢).

بشير: مبشر بالخير.

بَشِير: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ﴾ ١٩/ المائدة/ مكرر/ و ١٨٨/ الأعراف و ٢ هود.

بَشِيرًا: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ﴾ ١١٩/ البقرة و ٢٨/ سبأ و٢٤/ فاطر و ٤/ فصلت.

البَشِير: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ﴾ ٩٦/ يوسف.

مُبَشّرًا: وَاعِدًا بثواب الله.

مُبَشّرًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ١٠٥/ الإسراء، و٥٦/ الفرقان، و٤٥/ الأحزاب، و٨/ الفتح، و٦/ الصف.

مُبَشّرِينَ: جمع مبشر: من يُعلم بالخير.

مُبَشّرِينَ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ٢١٣/ البقرة، و١٦٥/ النساء و ٤٨/ الأنعام و ٥٦/ الكهف[1].

- آيات النذارة

(معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/ ٩٤ - ٩٨، مادة «ن ذ ر»):

(أنذر - أنذَرْتُكم - أنذَرْتَهُمْ - أنذَرْنَاكُم - أنذَرَهم - أُنذِرُكم - تُنذِرُ - تُنذِرهم - يُنذِرُ - ليُنْذِرَكم - ليُنْذِرُوا - يُنْذِرُونكم - أنْذِر - أنذِرْهم - أنْذِرُوا - أُنذِرَ - أنذِرُوا - ليُنْذَرُوا - يُنْذَرُون - مُنْذِر - مُنْذِرُون - مُنْذِرِين - مُنْذَرِين - نُذُرًا - نَذِير - نَذِيرًا - النُّذُر - نُذُر).

٢- أنذَره الشيء وبالشّيء أبلغه إيّاه وأعْلَمَه به. ويكون ذلك في الإعلام بالشيء المخوف في مدة تَسَع التَّحفظ منه.

تقول: أنذِرُك السوءَ وبالسُّوء فاحترس منه.

وقد يحذف أحد المفعولين، وقد يحذفان معًا. تقول: انذِرُك فاحْذَر.

وتقول: الرسول عليه الصلاة والسلام يبشر وينذر. والفاعل مُنذِر، والمفعول مُنْذَر.

أنذَرَ: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١).

أنذَرْتكم: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (١٣: فصلت)، واللفظ في ١٤/ الليل.

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم - طبعة منقحة. الطبعة الثانية. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ١/ ١٣٢-١٣٦.

أأنذرتهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦ : البقرة)، واللفظ في ١٠/ يس.

أنذرناكم: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (٤٠ : النبأ).

أنذرهم: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ (٣٦ : القمر).

أُنذِركم: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، واللفظ في ٤٥/ الأنبياء.

تُنذر: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٩٢ : الأنعام)؛ واللفظ في ٢/ الأعراف و ٩٧/ مريم و ٤٦/ القصص و ٣/ السجدة و ١٨/ فاطر و ١١/٦ يس و ٧ (مكرر)/ الشورى.

تُنذِرهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦ : البقرة).

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠ : يس).

يُنذِر: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢ : الكهف).

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ (٤ : الكهف).

واللفظ في ٧٠/ يس و ١٥/ غافر ١٢/ الأحقاف.

لِيُنذِركم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ (٦٣ - ٦٩ : الأعراف).

لِيُنذِروا: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ (١٢٢ : التوبة).

يُنذِرُونكم: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (١٣٠ : الأنعام)، واللفظ في ٧١/ الزمر.

أَنذِر: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ (٥١: الأنعام)، واللفظ في ٢/ يونس و ٤٤/ إبراهيم، ٢١٤/ الشعراء و ١/ نوح و ٢ المدثر.

أنذرهم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ (٣٩: مريم)، واللفظ في ١٨/ غافر.

أنذروا: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ (٢: النحل).

أنذرَ: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (٦: يس).

أنذروا: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ (٥٦: الكهف)، واللفظ في ٣/ الأحقاف.

لِيُنذَرُوا: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (٥٢: إبراهيم).

يُنذَرُون: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (٤٥: الانبياء).

مُنذِر: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧: الرعد)، واللفظ في ٤/ ٦٥/ ص، ٢/ق و ٤٥/ النازعات.

مُنذِرون: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ (٢٠٨: الشعراء).

مُنذِرين: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (٢١٣: البقرة)، واللفظ في ١٦٥/ النساء و ٤٨/ الأنعام و ٥٦ الكهف و ١٩٤/ الشعراء و ٩٢/ النمل، ٧٢/ الصافات و ٣/ الدخان ، ٢٩/ الأحقاف.

مُنذَرين: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (٧٣: يونس)، واللفظ في ١٧٣/ الشعراء و ٥٨/ النمل و ٧٣/ ١٧٧/ الصافات.

٣- النُّذْر: الإنذار، وهو اسم مصدر لأنذر.

نُذرا: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ (٦: المرسلات) أى: إنذارًا. أى: للإعذار أو الإنذار وهو التخويف.

٤- النّذير: الإنذار. وقد يطلق على المُنذَر به. والنّذير: المُنذر، كالبَديع للمُبْدِع، والسمّيع للمُسْمِع. ويجمع النّذير على النُّذُر.

نَذير: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ١٩ (مكرر)/ المائدة.

والنّذير: المنذر.

واللفظ في ١٨٤/ ١٨٨/ الأعراف، ٢/ ١٢/ ٢٥/ هود و ٨٩/ الحجر و ٤٩/ الحج و ١١٥/ الشعراء و ٤٦/ القصص و ٥٠/ العنكبوت و ٣/ السجدة و ٣/٤، ٤٦/٤٤ سبأ و ٢٣/ ٢٤/ ٤٢/٢٧/٢٤ (مكرر)/ فاطر و ٧٠/ ص و ٢٣/ الزخرف و ٩/ الأحقاف و ٥٠/ ٥١/ الذاريات و ٥٦/ النجم و ٢٦/٩/٨ الملك و ٢/ نوح.

نَذير: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧: الملك)، أي: إنذاري أو المنذر به. ونذير أصله نَذيري، فحذف ياء المتكلم تخفيفًا.

نَذيرًا: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (١١٩: البقرة).

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥: الإسراء).

النذير المنذر، واللفظ في ٥٦/٥١/٧/١/ الفرقان و ٤٥/ الأحزاب و ٢٨/ سبأ و ٢٤/ فاطر و ٤/ فصلت و ٨/ الفتح.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ (٣٦: المدّثّر)؛ أي: إنذارًا أو منذَرًا به. والحديث عن النار.

النُّذُر: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١: يونس)، يحتمل أن يكون المراد المُنذِرين أي: الرسل، وأن يكون المُراد: الإنذَارات أو المُنذَر به.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ (٢١: الأحقاف)، النُّذُر: المُرسَلون.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ (٥٦: النجم).

النذير: المنذر به أو الإنذار، واللفظ في ٥/٢٢/ ٣٦/ ٤١/ القمر.

نُذُر: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (١٦: القمر).

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (١٨: القمر). النُّذُر: الإنذارات أو المُنذِرَ به ونُذُر أصله نُذرى فحذف ياء المتكلم تخفيفا.

واللفظ في ٢١/ ٣٠/ ٣٧/ ٣٩/ القمر[1].

(٦٩-٧٠) الفاتحة والخاتمة

أي: فواتح السور وخواتمها

٦٩- الفاتحة

أوردها الدكتور أحمد مطلوب في **المعجم** تحت مادة «الابتداء» فقال (وقد نقلناه مختصرا):

الابتداء:

ذكر البلاغيون أن الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظًا وأحسن سبكًا، وأصح معنىً. وهذه المواضع هي: الابتداء، والتخلص، والانتهاء.

والابتداء أن يكون مطلع الكلام شعرًا أو نثرًا، أنيقًا بديعًا، لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن.

فقال: إن الابتداءات البارعة التي تقدم أصحابها فيها معروفة، ومنها..: قول أوس بن حجر:

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم - إعداد المرحوم الأستاذ محمد على النجار بمجمع اللغة العربية ١٣٩٠هـ. - ١٩٧٠م، ٦/ ٩٤ - ٩٨. انظر أيضا: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف. وضعه محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. القاهرة. الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩١م/ ١٥١-١٥٤، ٨٦٤ - ٨٦٦.

أيتها النفس أجملي جزعا ... إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمع الشجاعة والنجـ ... ـدة والحزم والندى جمعا
الألمعي الذي يظن بك الظـ ... ـن كأن قد رأى وقد سمعا

وقالوا: «لم يبتدئ أحد من الشعراء بأحسن مما ابتدأ به أوس بن حجر، لأنه افتتح المرثية بلفظ نطق به على المذهب الذي ذهب إليه منها في القصيدة فأشعرك بمراده في أول بيت» (حلية المحاضرة ١/ ٢٠٦)..

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى «براعة الاستهلال» كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بفتح عمورية، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

وقول المتنبي يرثي أم سيف الدولة الحمداني:

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات ... وما ينجين من خبب الليالي

وهذا ما ذهب إليه البلاغيون وأكدوه «ومنهم ما يسمى هذا الفن» حسن المطالع والمبادئ» كالثعالبي الذي عقد فصلاً للكلام على ابتداءات المتنبي الحسنة، وابن قيم الجوزية الذي قال عنه: «وذلك دليل على جودة البيان وبلوغ المعاني إلى الأذهان، فإنه أول شيء يدخل الأذن، وأول معنى يصل إلى القلب، وأول ميدان يجول فيه تدبر العقل (الفوائد/١٣٧). وقسمه إلى قسمين:

الأول: جلي كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢)، وأكثر مطابع سور القرآن الكريم على هذا النمط.

الثاني: خفي كقوله تعالى: ﴿الم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ (البقرة: ١، ٢)، وما يجري مجرى ذلك من السور التي افتتحت بالحروف المفردة والمركبة [1].

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. تأليف الدكتور أحمد مطلوب ١/٢٠ - ٢٢.

وللعلامة أحمد السباعي (ت ١١٩٧ هـ) رسالة صغيرة ألّفها شرحا لمنظومته في إعراب فواتح السور التي سماها «الدرر في إعراب أوائل السور».

وسنكتفي هنا بالمتن دون الشرح تحقيقا للفائدة، وبالله التوفيق.

قال المؤلف - رحمه الله - تحت عنوان «متن هذا الشرح»:

فواتح قرآنٍ كـ «صاد» جرى بها ... خلافٌ فمعناها: حروفٌ بلا مِرَا

وقيل: اسمُ قرآن أو اسماء سورةٍ ... وقيل: اسم مولانا المصدر للوَرَا

وقيل: اقتطاعٌ من سماة لربِّنا ... وقيل: مزيد كاسم صوت لمن درا

وقيل: اسم أعدادٍ لمدةِ أمةٍ ... وآجالهم فاحفظْ كما قد تقرَّرَا

وفي الأربع الأقوال الأولى محلّها ... له الرفعُ عن بدء وعنه فأخْبِرَا

أو انصُب بفعلٍ أو بإسقاط خافضٍ ... أو اجْذُر بحرف كُن لِذَا مُتبصرا

ولا تقرَبنْ فيما سوى ذي بل اسْرُدَنْ ... كما جاء تفسير لقاضٍ محررًا

وأرجح أقوال بها متشابهٌ ... بها استأثر الله العليمُ بلا امْتِرَا

فعنها انتفى الإعرابُ يا صاح جملة ... وذا حاصلُ الأقوال فيها تحررا[1]

---

(١) الدرر في إعراب أوائل السور. تأليف العلاّمة أحمد السّجاعي - دراسة وتحقيق الدكتور حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م/ ٨٦.

(٧٠) الخاتمة

أوردها الدكتور أحمد مطلوب في **المعجم** تحت مادة «الاختتام» فقال:

الاختتام من اختتم، وهو نقيض الافتتاح (اللسان، مادة «ختم»). وهو في البلاغة أن يختتم البليغ كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتم، فإنها آخر ما يبقى على الأسماع. وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية. وهذه تسمية العلوي (**الطراز** ٣/١٨٣) أما غيره فيسميه حسن الختام أو الخاتمة (**تحرير التحبير**/ ٦١٦، **وبديع القرآن**/ ٣٤٣، **وخزانة الأدب**/ ٤٦٠، **وأنوار الربيع**).

ومن أمثلة ذلك خواتيم القرآن الكريم «فإن الله تعالى ختم كل سورة من سورة بأحسن ختام وأتمها بأعجب إتمام، ختامًا يطابق مقصدها ويؤدى معناها من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تحميد، وغير ذلك من الخواتم الرائعة (**الطراز** ٣/١٨٣، ١٨٤).

ومن ذلك ما قاله أبو تمام يذكر فتح عمورية ويهنئ المعتصم بها:

إن كان بين حروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك اللاتي نُصِرْتَ بها ... وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النَّسَبِ

وما قاله المتنبي:

قد شرّف الله أرضا أنت ساكنُها ... وشرّف الناس إذ سوّاكَ إنسانا

وما قاله أبو نواس في المأمون:

فبقيت للعلم الذى تهدى له ... وتقاعَسَتْ عن يومك الأيامُ [1]

وقد عقد ابن أبي الإصبع المصري في كتابه النفيس «**تحرير التحبير**» بابًا للكلام على «الخاتمة» التي نحن بصددها، وذلك تحت عنوان «حسن الخاتمة» وننقل بعض ما جاء فيه فيما يلي. قال - رحمه الله-:

«وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. تأليف الدكتور أحمد مطلوب ٦٦/١، ٦٧.

أدعية ووصايا وفرائض، وتحميد وتهليل، إلى غيرذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلعٌ ولا تشوّف إلى ما يقال، كالدعاء الذي خُتِمَتْ به سورة البقرة، والوصايا التي خُتمت بها آل عمران، والفرائض التي خُتِمَتْ بها النساء، والتبجيل والتعظيم الذي خُتِمتْ بهما المائدة، والوَعد والوعيد الذى خُتِمَتْ بهما الأنعام، والتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة التي خُتِمَتْ به الأعراف، والحض على الجهاد وصلة الأرحام اللذين خُتِمَتْ بهما الأنفال، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم - ومدحه والاعتداد على الأمم به، ووسيلته ووصيته، والتهليل الذي خُتِمَتْ به براءة. وتسليته عليه السلام التي خُتِمَتْ بها سورة يونس، ومثلها خاتمة هود، ووصف القرآن ومدحه الذي خُتِمَتْ به يوسف، والرّد على من كذّب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي خُتِمَتْ به الرعد، ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في إنزاله الذي خُتِمَتْ به إبراهيم، ووصية الرسول التي خُتِمَتْ بها الحجر، وتسلية الرسول - عليه السلام - وطمأنينته ووعد الله سبحانه الذي خُتِمَتْ به النّحل، والتحميد الذي خُتِمَتْ به سبحان (هي سورة الإسراء)، وتحضيض الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الإبلاغ والإقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذي خُتِمَتْ به الكهف، وقد أتيت على نصف القرآن ليكون مثالاً لمن نظر في بقيته، ولم أطل بالبقية لكثرة سُور النصف الأخير (قد استوعب المؤلف الكلام على النصف الثاني من القرآن في كتابه «بديع القرآن» فانظره) والله أعلم [1].

٦٩ - ٧٠ الفاتحة والخاتمة:

أورد الإمام بدر الدين الزركشي الفواتح في (**البرهان** ٦٤/١ -١٨١) وذلك تحت «النوع السابع»، ثم أتبع ذلك بالخواتم في (**البرهان** ١٨٢/١ -١٨٥)، وذلك تحت «النوع الثامن».

كذلك أورد الحافظ السيوطي الفواتح في «**الإتقان**» (١٣٥/٢، ١٣٦)، ثم

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري - تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف - جمهورية مصر العربية - وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي العامة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م/ ٦٢١،٦٢٠، مع وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين في ثنايا النص.

أتبعها بالخواتم في «الإتقان» (١٣٧/٢، ١٣٨)، ولخصهما طاش كبرى زاده في كتابه «مفتاح السعادة» (٤٧٩/٢، ٤٧٨).

كما أورد «قاموس القرآن الكريم» ملخصًا مركزًا تحت رقم (٥) بعنوان «فواتح السور وخواتمها» ونكتفي به وننقل نصه فيما يلي:

فواتح السور وخواتمها:

حسن البدء من أهم متطلبات البلاغة عند البيانيين؛ لأنه أول ما يَقْرع السَّمْع، فإن جذب انتباه السامع استَعدّ لما بعده من كلام ووعا، وإلا أعرض عنه وجَفاه.

وقد أتتْ جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأكملها لفظًا، ونظمًا، ومعنىً.

ومن الابتداء الحَسن نوع خاص يُسمَّى «براعة الاستهلال»، وهو أن يَشْتَمِل أول الكلام على ما يُناسب الحال المُتكلم فيه، ويُشير إلى ما سبق الكلام من أجله، أعجب مثال على ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده. وهذه هي الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع العذبة وأنواع البلاغة.

وقد افتتح سبحانه وتعالى سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها.

الأول: الثناء عليه تعالى إمّا بإثبات صفات المدح له كالتحميد (في خمس سور)، وتبارك (في سور يس)، أو بتنزيهه تعالى، ونفي صفات النقص عنه (في سبع سور).

الثاني: حروف التهجّي في سبع وعشرين سورة: ألم، المص، الر، المر، حم، ... إلخ وقد اختلف في تفسيرها فقيل المراد بها الإشارة إلى حروف الهجاء، أو مادة الكلام التي يركّب منها كلامه تعالى، وهي مادة الكلام نفسها التي تركّب منها كلامُ العرب، إيماءً إلى أن هذا الكتاب من هذه الحروف التي أصلها عندكم،

فلو كان من عند البشر لما عجزتم عن الإتيان بمثله مع اجتماعكم على معارضته. وقد جاءت الفواتح على نص حروف الهجاء عددًا كأنه **قيل:** من زعم أن القرآن ليس معجزة، فليأخذ النصف الباقي ويركب عليه كلامًا يعارض به القرآن. وقيل: إنّ هذه الفواتح رموز اختَصّ الله بعلمها، فهي من المتشابه الذي يجب أن نؤمن بظاهره، ونترك العلم فيه إلى الله.

وقد بلغت الأسماء المتهجّاة في أوائل السور ثمانية وسبعين حرفًا، جملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفًا يجمعها قولك **«طرق سمعك النصيحة»**.

وبعض هذه الفواتح بُني على حرف واحد: ص، ق، ن.

وبعضها على حرفين: طه، طس، يس، حم.

وبعضها على ثلاثة أحرف: ألم، ألر، طسم.

وبعضها على أربعة أحرف: ألمص، ألمر.

وبعضها على خمسة أحرف: كهيعص، حم عسق.

١- عدم تجاوز الأحرف المفردة خمسة، لأن تراكيب الكلام في العربية لا تتجاوز هذا العدد، فأقصى أبنية اللغة العربية هي الخماسي.

٢- كَثُرَتْ الألف واللام في الفواتح لكثرتها في الكلام.

٣- أن التأمل في السور التي بدأت بالحروف المفردة يُؤدّي إلى الحُكم بأنّ كل سورة منها تُبْنَى على كلمات ذلك الحرف؛ فمن ذلك (ق)، فالسورة مبنية على الكلمات القافيه من ذكر القرآن، والخلق، وتكرار القول، والقرب من ابن آدم، وذكر الرقيب والسائق والقرين والإلقاء في جهنم... وسورة (ص) اشتملت على الخصومات المتعددة، مثل خصومة الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم، واختصام الخصمين عند داود، وتخاصم أهل النار، وكذلك سورة (ن) فإن فواصلها كلها من هذا الحرف، مع ما تضمنته من الألفاظ...

الثالث: النداء في عشر سور ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

الرابع: الجملة الخبرية في ثلاث وعشرين سورة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

الخامس: القسم في خمس عشرة سورة: وجاء القسم بالملائكة: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، والأفلاك ولوازمها: ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾، ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾، ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ﴾... وبالنبات: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، وبالحيوان وبالتربة، وبالهواء.

السادس: الشرط في سبع سور: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

السابع: الأمر في ست سور منه: ﴿ٱقْرَأْ﴾، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

الثامن: الاستفهام في ست سور: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

التاسع: الدعاء في ثلاث سور: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾..

العاشر: التعليل في سورة واحدة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

كذلك جاءت خواتم السور مثل الفواتح في الحُسْن لأنها آخر ما يَقْرَعُ الأسماع، ولذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يَبْقَى معه للنفوس تَشَوُّف إلى ما يُذْكر بعد، لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد، ووعيد، إلى غير ذلك من مثل:

(أ) تفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسبِّبَة لغضب الله، ومن الضلال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

(ب) الدعاء الذي اشتملت عليه آخر آية في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾..

(جـ) الوصايا التي خُتمتْ بها سورة آل عمران: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

(د) أحكام المواريث التي خُتمت به سورة النساء: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ﴾.

(هـ) التبجيل والتعظيم الذي ختمت به سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾.

(و) ومن أوضح ما أذن بالختام خاتمة «إبراهيم»: ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾، ومثلها خاتمة الأحقاف، وكذا خاتمة الحجر: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾، واليقين مُفسَّرٌ بالموت، فإنها في غاية البراعة.

(ز) وانظر إلى سورة الزلزلة، كيف بدأت بأهوال القيامة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وختمت بقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1].

وقد عقد الإمام بدر الدين الزركشي فصلاً في «البرهان» (١/١٨٥، ١٨٦) للكلام على «مناسبة فواتح السور وخواتمها» نسوقه فيما يلي إتمامًا للفائدة قال - رحمه الله -:

---

(١) قاموس القرآن الكريم، المدخل - إعداد نخبة من العلماء والباحثين. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي/ ١٤٣-١٤٦. انظر أيضا، البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/١٦٤-١٨٥، والإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/١٣٥-١٣٨. ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ٢/٤٢٨، ٤٢٩، وإعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق. تأليف الدكتور حفني محمد شرف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. اللجنة العامة للقرآن والسُّنة. الكتاب الرابع ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م/ ٢٢٠ - ٢٥٤، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان. تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م/ ١٧٢، ١٧٣.

فصل

في مناسبة فواتح السور وخواتمها

ومن أسراره مناسبة فواتح السور وخواتمها. وتأمل سورة القصص وبداءتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: ١٧) وخروجه من وطنه ونصرتُه وإسعافه بالمكانة، وخَتْمَها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألَّا يكون ظهيرا للكافرين، وتسليته بخروجه من مكّة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥).

قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١) خاتمتها: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧)، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة!

فصل

في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها

ومن أسراره مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها؛ حتى إن منها ما يَظهر تعلُّقها به لفظا كما قيل في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل: ٥)، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾. (قريش: ١)

وفي الكواشيِّ لما ختم سورة النساء أمرًا بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. (المائدة: ١).

(الكواشي: هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي الموصلي الشافعي؛ توفي سنة ٦٨٠ وله كتابان في التفسير أحدهما التبصرة والثاني التلخيص؛ ذكرهما صاحب كشف الظنون) [1].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/١٨٥، ١٨٦.

وإلى هنا نأتي إلى ختام بحثنا الذي حاولنا فيه تفصيل أقسام القرآن السبعين التي أجملها الإمام الفيروزآبادي في الفصل الثاني من كتابه النفيس **«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»** وهو الفصل الذي عقده للكلام على إعجاز القرآن وتمييزه بالنظم المعجز عن سائر الكلام (**بصائر** ١/٧٥)، وقال في مجمله هذا: «والغرض من ذكر هذا المجمل التنبيه على أن الكلمات القرآنية كل كلمة منها بحر لا قعر له، ولا ساحل، فأنّى للمعارض الماحل» (المحل: هو الكيد والمكر) وقلنا حين سقنا هذا المجمل في بداية البحث: صدقت فأنّى للمعارض الماحل!

وهنا يكون البحث قد بلغ نهايته، والحمد لله الذي به تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

أسرار التكرار في لغة القرآن. تأليف الدكتور محمود السيد شيخون. مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

إعجاز القرآن. تأليف القاضي أبي بكر الباقلاني المطبوع بأسفل صحائف **الإتقان في علوم القرآن** لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق. تأليف الدكتور حفني محمد شرف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. اللجنة العامة للقرآن والسنُّة. الكتاب الرابع ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠.

البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود ابن حمزة بن نصر الكرماني، المطبوع بعنوان «**أسرار التكرار في القرآن**» - تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م، والطبعة الثالثة - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار التراث. القاهرة. د. ت.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار. المجلس الأعلى الشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة.

الجزء الأول ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

الجزء الثاني ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م.

الجزء الثالث ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.

الجزء الرابع ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م.

البلاغة فنونها وأفنانها. علم المعاني الدكتور فضل حسن عباس. سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١)، وعلم البيان والبديع. سلسلة بلاغتنا ولغتنا (٢). دار الفرقان. عمان - الأردن، الطبعة التاسعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

البيان المبين في علوم كتاب الله رب العالمين. تأليف فضيلة الشيخ فتح الله يس جزء، هدية مجلة الأزهر. جمادي الآخرة ١٤١١هـ.

تاج اللغة وصحاح العربية. تصنيف الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. رواية الشيخ أبي محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري. المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٢هـ و ١٢٩٢هـ.

التحبير في علم التفسير لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري -تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف. جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي - وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

تفسير القرآن الكريم. محمود شلتوت. دار القلم. القاهرة. الطبعة الرابعة ١٩٦٦م.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. تأليف السيد / أحمد الهاشمي - تدقيق وفهرسة حسن نجّار محمد. مكتبة الآداب. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

حروف المعاني لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ح حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. دار الأمل. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الدرر في إعراب أوائل السور. تأليف أحمد السجاعي. دراسة وتحقيق الدكتور حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل. الناشر هو المؤلف. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم - دكتور حسين محمد فهمي الشافعي. جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان. تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. وبهامشه «**حلية اللب المصون على الجوهر المكنون**» للشيخ أحمد الدمنهوري. شركة مكتبة. ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩م.

عجائب علوم القرآن لابن الجوزي - حققه وقدم له وعلّق عليه د. عبد الفتاح عاشور. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

علوم القرآن - دكتور عبد الله محمود شحاته. مكتبة نهضة الشرق. جامعة القاهرة، ودار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م. (الطبعة الأولى. ١٩٨٠م والطبعة الثانية ١٩٨٢م).

الفروق اللغوية للإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري. ضبطه وحققه حسان الدين القدسي. دار زاهر القدس. القاهرة. د.ت.

القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا - سعدي أبو حبيب. دار الفكر. دمشق - سورية - (إعادة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م (طبعة مصححة) والطبعة الأولى ١٩٨٢م.

قاموس القرآن الكريم. طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم. القواعد الأصولية اللغوية - د. عجيل جاسم النشيمي. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الكويت. الطبعة الثانية. ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

قاموس القرآن الكريم. المدخل - إعداد نخبة من العلماء والباحثين. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. الكويت. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

كشاف اصطلاحات الفنون. تأليف الشيخ الأجل المولوي محمد علي بن شيخ علي ابن قاضي محمد حامد بن مولانا محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي. دار صادر. بيروت. ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالمُلاَّ كاتب الحلبي والمعروف بحاجي خليفة. بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، و ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

كشف المعاني في متشابه المثاني تصنيف الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشام حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد محمد داود. دار الجنان. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨.

لا نسخ في القرآن. لماذا..؟ عبد المتعال محمد الجبري. مكتبة وهبة القاهرة. الطبعة الأولى شبعان سنة ١٤٠٠ هـ يونية ١٩٨٠م.

لسان العرب لابن منظور. دار المعارف. القاهرة ١٩٧٩م.

مباحث في علوم القرآن - منّاع القطّان. مكتبة وهبة - القاهرة. الطبعة الخامسة. ربيع الآخر ١٤٠١هـ - فبراير ١٩٨١م.

مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى - بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين دراسة وتعقيب الدكتور نهاد الموسى. مجلة المخطوطات العرب جامعة الدول العربية. المجلد الثالث عشر. الجزء الأول. ربيع ١٣٧٨هـ - مايو ١٩٦٧ م.

معاني الحروف : تأليف أبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي - حققه، وعلّق عليه، وقدّم له، وترجم للرّماني. وأرّخ لعصره الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي. دار نهضة مصر - القاهرة.

معاني القرآن - صنّفه الأخفش الأوسط الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري - حققه الدكتور فائز فارس - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

معجم آيات القرآن - ترتيب دكتور حسين نصار. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م، والطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م.

معجم ألفاظ القرآن الكريم. طبعة منقحة. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. الجزء الأول ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، **الجزء الثاني** ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

معجم ألفاظ القرآن. مجمع اللغة العربية. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة. **الجزء الثالث**، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية. إعداد المرحوم الأستاذ أمين الخولي عضو المجمع، دار الكاتب العربي. القاهرة. **الجزء الرابع** ١٣٨٨هـ ١٩٦٨ م.

معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية - إعداد المرحوم الأستاذ حامد عبد القادر عضو المجمع. دار الكاتب العربي. القاهرة. **الجزء الخامس** ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية - إعداد المرحوم الأستاذ محمد علي النجار عضو المجمع. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة - الجزء السادس ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م.

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. تأليف الدكتور أحمد مطلوب. مطبوعات المجمع العلمي العراقي. مطبعة المجمع العلمي العراقي. الجزء الأول ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، والجزء الثاني ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

معجم المصطلحات النحوية والصرفية. الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م. توزيع دار الفرقان. عمّان. الأردن.

معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية. د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم. دار الفضيلة. القاهرة ١٩٩٩م (ثلاثة أجزاء).

المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم - وضعه محمد منير الدمشقي. مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة. د.ت.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف. وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث. القاهرة. الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

المعجم الوجيز. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية. طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

المعجم الوسيط. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية. قام بإخراج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد. عني بطبعه ونشره عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ١٩٨٥م.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده. دار الكتب العلمية. بيروت. د.ت. (ثلاثة أجزاء).

المفردات في غريب القرآن. تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

مناهل العرفان في علوم القرآن. بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الثالثة د.ت.

الموسوعة الإسلامية العامة. إشراف أ.د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

الموسوعة القرآنية المتخصصة - إشراف وتقديم أ. د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف. جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي. نهضة مصر. القاهرة ٢٠٠٢م.

النظم القرآني في كشاف الزمخشري - الدكتور درويش الجندي. دار نهضة مصر. القاهرة. ١٩٦٩م.

الفهرس